العدد 161
السنة الخامسة عشرة
خريف 2017

مجلة سياسية ثقافية فصلية تصدرها مؤسسة الإعلام والفن للاتحاد الإسلامي الكوردستاني

A political, cultural magazine issued quarterly by Kurdistan Islamic Union

صاحب الامتياز
صلاح الدين بابكر

رئيس التحرير
سالم الحاج
salimalhaj83@yahoo.com
07504499179

هيئة التحرير
سعد الزيباري
saadsuhaib@yahoo.com

د. نبيل فتحي حسين
nabil_fathi72@yahoo.com

سرهد أحمد علي
sarhad_ahmad72@yahoo.com

الإخراج الفني
قوباد ياسين طه
tqubadyasen@yahoo.com

الموقع الألكتروني
http://alhiwarmagazine.blogspot.com

البريد الألكتروني
alhiwar2003@yahoo.com

alhiwarmagazine2002

alhiwarmagazine

العنوان
إقليم كوردستان العراق/ أربيل - محلة طيراوة/ مقابل نقليات الشمال/ قرب المركز الثاني للاتحاد الإسلامي الكوردستاني

المحتويات

ملف العدد		
- التيار الإسلامي في كوردستان وواجب إعادة البناء	أبو بكر كارواني	5– 19
- رؤية معرفية حول علاقة الدعوة بالسياسة	عمر إسماعيل	20– 31
-جدلية العلاقة بين الدين والسياسة..!	سعد الزيباري	32- 38
- خصائص دعوة الأنبياء	قاسم نوفيسي	39- 45
دراسات		46
- الأمثال في القرآن	دژوار صلاح الدين	47- 57
عبق الكلمات/ يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ	عبد الباقي يوسف	58-59
مقالات		60
- دين الكادحين	د. عماد الدين خليل	61-67
- تنبؤات المهدي حول منع قيام دولة كوردية	د. فرست مرعي	68-85
- المعرفة هي الحل	محمد رؤوف	86-87
- أثر القراءة على الصحة العقلية	د. أكرم فتاح سليم	88-90
- دوافع تحريم الصوم عند الباطنية الإسماعيلية	د. سنان أحمد	91-93
- رحلة خالدة	علاء الدين حسن	94-97
- تأملات في قانون القذف والزهق	صالح شيخو الهسنياني	98-103
- عبر حميدة من ذكريات سعيدة	د. حكيم مختار	104-106
- شخصيات كوردية أثرت في التاريخ العربي	عدنان رحمان	107-111
- بين التعليم والإعلام	زهراء مؤيد رمضان	112
مرافئ/ الأغلى من الدولة!	د. يحيى عمر ريشاوي	113
شؤون سياسية		**114**
- الموصل.. ماذا وراء الإرهاب..؟	د. سعد سعيد الديوجي	115-118
- السياسة الأمريكية في العالم ..(محاولة للفهم)	أحمد البياتي	119-122
- على أعتاب استقلال كوردستان	سرهد أحمد	123-124
- الكورد و الانفصال وخطاب (الضحية)	عبدالله ريشاوي	125-127

حوار		**128**
- ملامح تأهيل الورّاق المسلم في القرن الرابع الهجري/النديم أنموذجاً – حوار مع د. جزيل الجومرد	حاوره: د. نبيل فتحي حسين	132-129
تنمية بشرية		**133**
- العادات العشر للأغبياء	سعد الخالدي	137-134
ثقافة/		138
- الخطاط والفنان أحمد عبدالرحمن الأربيلي	أجرى اللقاء: معصوم محمد خلف	143-139
- القراءة المثمرة	إعداد: سالم الحاج	161-144
قراءة في كتاب		162
الأذواء والأقيال دراسة في التاريخ اليمني القديم	د.محمد نزار	168-163
الوسطية الإسلامية دراسة تأصيلية منهجية فكرية	د. محسن عبدالحميد	171-169
بصراحة/ الكورد وحق تقرير المصير	**صلاح سعيد أمين**	172
تقارير		**173**
- برلمان كوردستان .. تفعيل بعد تعطيل	المحرر السياسي	175-174
- الكورد يقررون مصيرهم في استفتاء شعبي على استقلال كوردستان	تقرير: سرهد أحمد	177-176
- ملتقى الديمقراطية وحق التقرير المصير بالسليمانية يجمع مثقفين كورداً وعرباً	المحرر السياسي	179-178
- الاتحاد الإسلامي الكوردستاني يدين جرائم الإبادة ضد مسلمي الروهينغا	المحرر السياسي	181-180
آخر الكلام/ الكورد ضحية جهل المسلمين بالإسلام	**محمد واني**	182

ملف العدد

-التيار الإسلامي في كوردستان وواجب إعادة البناء	أبو بكر كاروانى
-رؤية معرفية حول علاقة الدعوة بالسياسة	عمر إسماعيل
-جدلية العلاقة بين الدين والسياسة..!	سعد الزيباري
-خصائص دعوة الأنبياء	قاسم نوفيسي

التيار الإسلامي في كوردستان

وواجب إعادة البناء

أبو بكر كاروانى ترجمة: سالم الحاج

ذكرتُ في كتاب (من تراث الجماعة إلى الحزب المعاصر ذي المرجعية الإسلامية)، الذي صدر في عام 2010، أنني اعتقد أن التعددية الإسلامية، بشكلها الحالي في كوردستان، لم يعد لها مبرر.. وذلك لعدة أسباب، أبرزها:

1- التقارب الحاصل بين الأحزاب الإسلامية، سواء في المنظومة الفكرية، أم في آليات العمل، حيث لم يعد هناك وجود لحركات مسلحة وأخرى مدنية، فكافة الأحزاب الإسلامية العاملة اليوم على الساحة الكوردستانية، هي أحزاب مدنية تعمل في إطار القوانين السائدة.

2- إن هذه التعددية الموجودة على الساحة أفرزت عدداً من النتائج السلبية، مثل كونها أصبحت مصدراً للإنغلاق الفكري، ومانعاً من التوجه نحو الانفتاح والتجديد، بسبب توجّس كل طرف من غيره من الأطراف الأخرى، وخوفه من أن يكون ذلك مثاراً للمزايدة والتنافس غير الشريف.

ومثل: ظهور بوادر التحسس والحساسية من الأطراف الأخرى...

ومثل: محدودية القدرة على التنافس مع الأحزاب الأخرى، خارج الإطار الإسلامي، أثناء الانتخابات، والحصول على ثقة الناخبين، بحكم أن جماهير هذه الأحزاب الإسلامية متقاربة في

توجهها، ورؤيتها، وبالتالي في تصـــويتها، وأنها كانت توجه قوتها ضـــد منافســـيها ضـــمن التيار الإسلامي..

لكل ما سبق، فإني أدعو كافة الإسلاميين إلى التفكير ملياً في هذا الواقع القائم، ووضعه تحت طائلة المسائلة، في ضوء الواجب والدور الذي ينتظرهم في المستقبل.

وبالطبع، فإني عندما أتحدث عن التعددية الإسلامية بهذا الشكل، معدّداً آثارها السلبية، فهذا لا يعني أنني ضـد التعددية الإسـلامية، كمبدأ، بل إننا يجب أن نكون مع كل أنواع التعدديات: الإسلامية والقومية والدينية والمذهبية والفكرية والسياسية، وبخلاف ذلك سنكون على الضد من سنن الله الكونية.

ما أريد الإشـارة إليه هو ضـعف المبررات التي تسـتند إليها التعددية السـياسـية الإسلامية في كوردســـتـان تحـديـداً، وليس إنكـار التعـددية نفســـهـا.. فهذا نداء إلى تجميع الطاقات والقوى الإسـلامية بأسـلوب جديد، لكي نعطي معنى جديداً وحقيقياً للتعددية، ولكي يصـبح الإسـلاميون، والشرائح المحافظة في المجتمع، طرفاً معتبراً، ومحترماً، وصـاحب هوية، ومشروع، وطرفاً مؤثراً في الأوساط الوطنية والسياسية والجماهيرية، يحسب له حسابه..

ومن جانب آخر، فإنني لســـت مع طريقة البيان والخطاب الذي يتخاطب به الإســـلاميون فيما بينهم، والتي تشدّد على الواجب، ووحدة المسلمين، والأخوة الإسلامية، والابتعاد عن التفرّق والتشـــرذم، والتي أثبت التاريخ أنه لم يكن مؤثراً، ولم يستطع أن يحقّق الهدف الذي كان يرمي إليه.

وقناعتي هذه مبنية على ما يلي:

1- إنّ هذا الخطاب ينتمي إلى زمن كان يشـار فيه إلى الحالة الإسـلامية تحت مسـمّيات وأوصـاف (الحركة)، و(النهضـة) و(الجماعة).. وفضـاؤها، وإطارها، وشـعارها، وأهدافها، وأسلوب عملها، يختلف عمّا هو عليه في الوقت الحالي، في أوجه عديدة.

2- هذا الخطاب فيه نفس طائفي، وتمييز عن المسـلمين والمجتمع بعامة، وكأن الإسـلاميين فقط هم أخوة، وليس كافة المسلمين، وكذلك بالنسبة للأمور الأخرى.

3- الخطاب في الأصـل لا يؤمن بالتعددية، ويعتبرها ظاهرة غير إسلامية، ويعتبر الوحدة في ذاتها واجباً إلهياً ومقدسـاً. وهذا ما جعل الإسلاميين، ليس في كوردستان فحسب، بل في كل العالم الإســـلامي، يكثرون من الحـديـث عن الوحـدة والاتحاد عن طريق الشـــعارات، دون أن يخطوا بـاتجـاههـا عمليـاً، بـل حتى دون أن يفكروا في الوصـــول إلى مجموعة آليات مناســـبة ومؤثرة، يستطيعون عن طريقها إدارة اختلافاتهم بطريقة إسلامية وعقلانية، ويبتعدوا عن الصراع، وكسـر الآخر، والخراب.

4- هناك مخاوف من أن يسـتغل هذا الخطاب سـياسـياً، من أكثر من وجه. على سـبيل المثال: تسـتطيع قوة أن ترفع هذا الشـعار(الوحدة)، وتتهم خصـومها بأنهم لا يلتزمون بالأحكام

الإلهية، ولا يستجيبون لنداء الله، وتستغل ذلك لتجميع الأصوات، واتهام القوى الأخرى. بينما الأمور في العمل السياسي والحركي هي نسبية واجتهادية، ولا يجب أن نصل إلى اتهام إيمان أحد ما، أو انتماء ونيّات طرف ما.

5- هذا الخطاب كثيراً ما يتم التعامل معه كبديل عن البحث عن وسيلة فعالة لتحقيق الوحدة عملياً.. بحيث يصبح نوعاً من إرضاء الوجدان، وإبعاد المسؤولية عن الذات.. في حين إن مسألة الخروج من الدوائر الصغيرة، والتفكير في وضع إطار مشترك واسع، يحتاج إلى تفكير جدي في الدوافع والمشاكل والموانع والضرورات، ولا يتحقّق بمجرد إثارة الإحساسات الإيمانية المؤقتة.. بل يحتاج إلى إجراء دراسات وبحوث، وإلى عمل حقيقي وواقعي، وأما الإحساسات الإيمانية فتكون خميرة للتحفيز والإصرار والتحمّل.

الاتحاد والوحدة بحاجة إلى صيغة جديدة، ونفس وتفكير متجددين!

عندما نتحدث عن ضعف مبررات التعددية الإسلامية، وأضرار تشتت وتفرّق الإسلاميين، وعدم وجود إطار مشترك لتجميع قواهم وطاقاتهم، وتوجيهها، وإعادة الاستثمار فيها، فإننا لا نتحدث عن توحيد الإسلاميين، بهذا الشكل الحالي، في كيان دعوي وسياسي جديد، وذلك:

1- إن هذه القوى لها مشاكلها الداخلية، ولها مع بعضها البعض حساسياتها، وشكوكها، وتناقضاتها، بمستويات مختلفة.. وهذا ما يعني أن ينتقل كل ذلك إلى الكيان الجديد.

2- كان لنا في الماضي تجربة اتحاد من هذا النوع، والتي عرّضتها الأحداث والمتغيّرات إلى التفكّك وعدم النجاح. كما شاهدنا في تجربة اتحاد (الحركة الإسلامية) و(حركة النهضة الإسلامية).

3- أظهر واقع الإسلاميين عندنا، في كوردستان، وفي عموم المنطقة، أن تاريخ التطورات والمتغيّرات قد تجاوز هذا الشكل من عمل الإسلاميين، والذي أحد سماته البارزة اختلاط شكل ومقاييس وتربية الجماعة والدعوة مع العمل الحزبي والسياسي. إن قدرة هذا الشكل على النمو والتطور صعبة جداً، لأنه في ذاته أصبح منبعاً لظهور أنواع المشاكل والتفسخات الداخلية. لا يمكن أن يكون أحد أشكال العمل في مشكل، ونظن أننا بتوسيعه وتكبيره نعالج مشاكله، ونحلها. لا، بل إن مشاكله يمكن أن تتفاقم أكثر، وتتنوع. وهذا ما يعني أنه عدا تحقيق بعض الأهداف الصغيرة، فإن الوحدة والاتحاد لا تستطيع أن تحقّق أهدافها المبتغاة، والمتمثلة بزيادة قدرة الإسلاميين على التأثير في الحياة السياسية والروحية للمجتمع، وفتح آفاق جديدة أمام التطور والتجديد. بل ثمة مخاوف من أن تحدث خيبة أمل كبيرة، نتيجة فشله..

على ضوء ما أشرنا إليه، يجب أن نوسع من رؤيتنا، ونضالنا، من أجل مسألة وحدة الإسلاميين، لا بل أن نترك أساساً مفهوم وشعار الوحدة، وننتقل إلى مستوى تكوين إطار سياسي ودعوي مشترك، وتأسيس كيان جديد. بمعنى آخر، أن ندع هذا الخلط في الطاقات، وقيادتها، على الصورة الحالية، بأن نعيد تعريف الأدوار، من جديد، ونقرأ الواقع، وآفاق المستقبل، ومتطلبات نمو

العمل الدعوي والسـياسي، قراءة شـاملة وعميقة، ومن هناك نعيد التفكير في توظيف الطاقات بشكل جديد، أكثر إنتاجية وثمرة.

بمعنى آخر، قبـل أن نتحدث عن الوحدة، يجب أن يكون لنا فهم جديد للواقع، ولمضـمون مفهوم الإسـلامية، ولذلك الدور الذي من الضرـوري أن يقوم به تيار إسلامي وطني، ويجسّده، في ظروف تاريخية مثل حاضر وطننا.

نعم، قبـل ذلـك يجـب أن يكون لنـا موقف فكري نقـدي تجـاه هذا الشـكل الحالي لعمل الإسـلاميين، الذي تعرّض للجمود، والذي لا يتفق مع أهدافهم المعلنة، ولا مع شروط تطوّرهم.. يجب أن تكون خصـائص وصـفات ذلك النموذج الإسـلامي الوطني الجديد، واضـحة لدينا، ذلك النموذج الذي من الضروري أن نبني أنفسنا على ضوئه، ومن منطلقه.

إعادة توظيف الطاقات والإمكانيات، وبداية تاريخ مشترك جديد:

وأقصـد بذلك – كما أشرنا - أن نخرج بتفكيرنا ومخيالنا السياسي من ثلاث مستويات، ونحلّق في مديات وآفاق جديدة، وهذه المستويات الثلاث التي ينبغي أن نتجاوزها، ونحن في الطريق إلى تأسيس إطار مشترك سياسي ودعوي جديد، هي:

أولاً: ترك الأوضاع على ما هي عليه الآن، مع بعض التنسيق والعمل المشترك.

ويجب علينا أن لا نراهن على هذا الاختيار، بسبب:

أ- إن شـكل وإطار العمل الحالي بلغ طريقاً مسـدوداً، وكافة القوى تعاني من مشـاكل وأزمات بمستويات مختلفة.

ب- إنْ لم يحذروا، فسـتتحول هذه القوى - مع مرور الأيام - إلى دكاكين سـياسـية، أو على الأقل نتخوّف أن يجري التعامل معها على هذا الأساس، أو أن يتم تصويرها بهذا الشكل، ومن ثم تظهر وكـأنهـا تابع أو رديف للقوى والأطراف الأخرى. وهناك حالياً بعض الملامح من هذا، والتي تتجسّد من خلال بعض الأمور، مثل:

1- ذلك الصـراع والتهافت غير الصحي على المناصب الحكومية والمكاسب الشخصية. فعلى سـبيل المثال، فإن قليلاً من الأحزاب حصـل عندها مشاكل كالتي حصلت عند الحزبين الإسلاميين (الاتحاد الإسـلامي، والجماعة الإسـلامية)، أثناء تشـكيل الكابينة الثامنة، إلى الدرجة التي أصـبح ذلك مما يعابون عليه..

2- طمع بعض الأطراف والجهـات في التـدخل في الشـؤون الداخلية لهذه القوى، وتوجيه مؤتمراتها، وانتخاباتها الداخلية، بل والتدخل في تعيين بعض المسؤولين فيها.

3- انتشار نوع من القلق والتردد والضغط النفسـي الملحوظ، لدى الكوادر الإسلامية لهذه الأحزاب.

4- أثبت التاريخ أن بعض التنسيق، وحتى العمل المشترك، في ظل الاستمرار في التعددية السياسية بهذا الشكل، وأسلوب القيادة الحالي، لا يستطيع أن يعمّق من روح الأخوّة، والمصير المشترك، ولا أن يزرع الثقة بين هذه الأطراف، بل سيبقى في حالة من المد والجزر الراكد والعقيم. بل إنه يكاد يُلمس - في بعض الأحيان، والأماكن - أنه أصبح مصدراً لسوء الظن وانعدام الثقة المتزايد بالبعض.

ومن هذا المنطلق، فإن ما أطلق عليه في الماضي اسم (مشروع التعاون الإسلامي)، يجب أن يصبح شيئاً من التاريخ، لأنه كان يفتقد إلى النية والإرادة الجديّة والضرورية لوحدة الموقف والعمل المشترك، ولذا من الضروري أن توجه إليه سهام النقد.

ثانياً: توحيد القوى والشخصيات والمنظمات في إطار منظمة واحدة جديدة.

ولكن ذلك، كما أوضحنا آنفاً، لن يكون في مستوى التوقعات التي ننتظرها، أو التي تُنتظر من التيار، وربما جرّت وراءها انكساراً وخيبة أمل.

ثالثاً: الجبهة الإسلامية: بمعنى اجتماع وتعاون المنظمات والأطراف الإسلامية في إطار اتفاقٍ أقوى من التنسيق، والمحافظة في نفس الوقت على استقلال كلّ منها، مع استمرار بقاء هذه المنظمات والقوى على الشكل الذي هي عليه.

وهذا الاختيار أيضاً يجب أن يتمّ تجاوزه، من منطلق أنه لن يأتي بأيّ تغيير جوهري في شكل العمل وأسلوب القيادة، أو في معالجة مشكلة الدعوة والسياسة، أو تكنيك العمل السياسي المعاصر.. وليس ثمّ ضمان أن لا يتحوّل الاختلاف في الآراء والمصالح، إلى سبب في تفكك الجبهة، أو في ضعفها.. وآنذاك يتمّ تشويه صورة التيار الإسلامي أكثر أمام الرأي العام، وتقل قيمته وثقله في أعين النخبة السياسية..

ولذلك يجوز أن ينظر إلى التنسيق والعمل المشترك، وحتى تأسيس الجبهة، كخطوة ممهدة، وكجزء من متطلبات المرحلة الانتقالية للتيار.. ولكن لا يجوز أن يكون ذلك بديلاً لما هو واجب، والذي يتمثل - في رأينا - في أن يوضع التيار في مرحلة انتقالية، على أن يعيد تنظيم نفسه على أساس جديد، وفي شكل مختلف، وأن يمر بمرحلة مخاض ولادة جديدة، مليئة بالأمل.. وأن يتجاوز هذا الشكل الجديد مشكلة الدعوي والسياسي، ولا يبقى شيء من هذا الانقسام والعناوين الحالية..

وفي هذا السياق، فإن ما ينبغي أن يكون هدفاً، في ضوء قراءة نقدية وجديدة للذات والواقع والمستقبل، هو التفكير الجدي، وتحديد خارطة طريق، لتجاوز كل هذه الأطر والانكسارات الحالية، والخروج من الدوائر الضيقة المخنوقة، وعدم تصوير الواقع الوطني كأنه خراب، وفتح الباب أمام ولادة التيار بصورة هادرة، وذلك بتأسيس حزب وطني ديمقراطي، بمرجعية إسلامية،

من القوى والطاقات - المنظمة وغير المنظمة- والشرائح المحافظة للمجتمع، بعيداً عن المقاييس التقليدية، وتربية الجماعات الدعوية، وبالاستناد إلى القيم الإسلامية والإنسانية الواسعة والواعدة، بالإضافة إلى تدشين تيار دعوي، وبدء فصل جديد من الخدمة الروحية والأخلاقية الإسلامية، في قالب منظمات المجتمع المدني، وبرائحة وعطر كورديين، وبالاستفادة الجذرية - من بعد القرآن الكريم- من (رسائل النور)، والعرفان المحلي..

إن مسألة فصل العمل الدعوي عن العمل الحزبي، ومراعاة خصائص كل منهما، من حيث الخطاب والإدارة والقيادة والمتطلبات، تستطيع أن تفيد التيار بصورة متنوعة. فتاريخ أكثر من بلد وتجربة إسلامية، يخبرنا أنه خارج هذا الشرط المسبق: أي استقلال كل من العمل الدعوي والسياسي والحزبي، ليس من السهل التفكير بأيّ تقدم حقيقي وعميق ومستمر في أيّ من هذين السبيلين، وذلك لما يلي:

أ- إن العمل الحزبي والدعوي المختلط، بالصورة التي يظهر عليها العمل الإسلامي في كوردستان، هو في نظر نسبة كبيرة من مواطني الإقليم، وخاصة الأجيال الجديدة منهم، له مشاكل عميقة مع القومية والديمقراطية والحريات وحقوق المرأة والفنون، كونه يطالب بتأسيس الدولة الإسلامية، وتطبيق الفقه الإسلامي عن طريق القوة والبوليس!! حتى لو كان واقع الإسلاميين – من عدة وجوه - مختلفاً عن هذا الفهم. إن هذه الصورة ينتج عنها النتائج السيئة الآتية:

1- الحملات الإعلامية، والحرب النفسية، التي تشن من قبل الأحزاب الأخرى المنافسة، خلال الصراع السياسي والحزبي، في محاولة لإظهار التيار الإسلامي وتصويره كقوة غريبة، وكخطر على المستقبل، وذلك بهدف أن لا يصبح الإسلاميون جزءاً من التركيبة الطبيعية السياسية والجماهيرية والروحية للمجتمع..

2- يتم إفراد الإسلاميين، وتصويرهم كقوة آيديولوجية، خاصّة بشريحة محدودة من المجتمع، بحيث إن قلّة من الناس خارج تلك الشريحة يجرؤون على التفكير بالدخول ضمن الإسلاميين.. أو حتى إذا أرادوا ذلك، أن يكون له مكان بينهم.

3- يمكن بكل سهولة - أثناء الأزمات، وبعض الظروف الصعبة - تجييش جزء من المجتمع ضدهم، لمعاداتهم، وحتى الهجوم عليهم، ونهب مقراتهم، وحرقها. ويكونون عرضة أكثر لبعض الخطط والأجندة الخارجية.

ب- إن البقاء على الوضع الحالي يصبح سبباً لهدر بعضٍ من الإمكانات والطاقات، وضياعها، وتسرّب الكفاءات، وخروجها، من منطلق يأسها من المستقبل، ولأن كثيراً منها يرى أن استمرارها بهذا الشكل لن يساهم في تحقيق ذواتهم داخل التيار بالشكل الذي يتمنونه، وبالطريقة التي يريدون أن يمارسوا فيها أدوارهم، ويوظفوا طاقاتهم. لذلك نرى أن المئات من الكوادر الإسلامية تركوا العمل، وذهبوا إلى الأجهزة والمؤسسات الأخرى، أو قعدوا يفكرون في تكوين أطر أخرى

للعمل. وبعض هؤلاء الذين لا يزالون يمارسون عملهم ضمن الإسلاميين، من منطلق إحساسهم بالواقع، وأسئلته، وآماله غير المتحققة، فإنهم يمضون أيامهم في حالة من الترقب والقلق.

إن إحدى مبررات هذا النداء، هو معالجة مشكلة محدودية استيعاب الإسلاميين لكوادرهم، وضعف القدرة على الاحتواء. إن الإسلاميين - بشكل عام - لا يستطيعون إقناع غيرهم، وضمهم إلى صفوفهم، ليس ذلك فحسب، ولكنهم فقدوا حتى قدرة ضم وتوجيه بعض كوادرهم وأعضائهم. نعم، صحيح إن بعض أسباب ذلك تعود إلى الوضع المالي، والموقع الضعيف للإسلاميين في السلطة، ولكن أحد أقوى الأسباب يعود إلى تمسكهم بنوع من التنظيم والقيادة والعمل، يفتقد القدرة على الاستجابة لتوقعات الشرائح الحيّة من كوادرهم وأعضائهم.

إن ضمّ واستيعاب الكوادر والأعضاء داخل الأطر الحزبية الضيقة الحالية، وفي ظل بقاء الخلط بين الدعوة والسياسة، والوقوف في مرحلة ما بين الجماعة والحزب، عمل ليس بالسهل. لأن العمل السياسي العلني خلال السنين الماضية، والصراعات، والتطور الفكري، والتأثر بالمحيط المعاش، وانعكاس بعض أوجه العولمة على الواقع، كل ذلك، وغيره، ترك آثاره، بحيث بات من غير الممكن، ضمن الأطر الحالية، تجميع وتوجيه الطاقات المختلفة، وطرائق التفكير، والطموحات المتباينة.

في حين إن وجود إطار دعوي نقي وخالص، خاص بتقديم خدمة روحية وأخلاقية للمجتمع، يستطيع أن يصبح موضع ابتهاج مئات من الكوادر والنشطاء والشخصيات، وميداناً لتفعيل طاقاتهم وتحقيق أحلامهم. لأن تخصيص الإطار بالعمل الدعوي فقط، سيمنحهم الاطمئنان الروحي، والأمل، والحماس والدافعية للعمل. وعن طريق وجود مثل هذه الدعوة الروحية والأخلاقية، المستقلة والعامة، يمكن وضع حدّ لانتشار بعض التيارات الغريبة عن روح الإسلام، والمتطفلة على التراث والطابع الديني الخاص بالكورد، مثل السلفية، وخاصة السلفية المدخلية، التي هي محاولة لتعريب روح التديّن الكوردي، وتضييق الفضاءات الواسعة عليه.

إن وجود حزب سياسي، وطني، منفتح وعصري، ذي مرجعية إسلامية، سيصبح عاملاً لإعادة تجميع، وتنظيم، وتوجيه، أغلب تلك الطاقات والقدرات الإسلامية، والمحافظة، المتفرقة والمتشتة، والتي تنتظر عملاً سياسياً جاداً، ذا برنامج فعال، وهوية خاصة.. عملاً له القدرة على إثبات وجوده، وتفعيل طاقات الآخرين.. عملاً يصبح قطباً مهماً في الحياة السياسية؛ والنضال من أجل الاستقلال والعدالة والإصلاح والرفاه.

وهذا الحزب ذي المرجعية الإسلامية، يجب أن يكون مؤسساً على مبادئ العدالة، والإصلاح، والاستقلال القومي، والديمقراطية، والمواطنة الحرّة والمتساوية. يستلهم من القيم العليا للإسلام (مثل: العدالة، الشورى، المساواة، معاداة الظلم، الكرامة الإنسانية، الإصلاح، التسامح، رعاية الفقراء، والوقوف مع الشرائح المحرومة في المجتمع)، ويستلهم منها مشروعاً وطنياً، يقدمه للمجتمع.

خارج هذا، فإنّ التيار الدعوي، ومئات من منظمات المجتمع المدني، ومنابر المساجد، والمراكز الإسلامية المختلفة، على المستوى الديني والأخلاقي والروحي المباشر، يقع عليها واجب حماية الهوية الإسلامية للمجتمع. ويساندهم الحزب في ذلك، من موقع السلطة، وفي إطار القانون.

وما عدا ذلك، فإن العمل الدعوي السياسي المختلط، لا قدرة له على المنافسة، واستقطاب الجماهير، في ظلّ التنافس الديمقراطي، ولو كان محدوداً.. بل سيصبح منبعاً لظهور العديد من الأمراض والمشاكل الداخلية.

إن هذا النمط من العمل، وهذه المنظمات، التي هي امتداد لفكر الإخوان التقليدي، وللجماعة الإسلامية في باكستان، تحمل، في الأساس، وتبشّر بمشروع الدولة الإسلامية، وأسلمة كافة مظاهر الحياة، وتطبيق الشريعة، وإعادة الخلافة.. ومثل هذا المشروع، دع عنك أن انتصاره صعب، كما تأكد ذلك تاريخياً، فإنه لن يستطيع أن يستجيب لمتطلبات الشعوب في الرفاه والديمقراطية والتنمية والسعادة.. وكذلك، فإن تحقيقه يستلزم الثورة والانقلابات العسكرية.. ومن يقول بغير ذلك، ويمنّي نفسه بتحقيق مثل هذه الدولة والسلطة بالطرق القانونية والديمقراطية، فإنه يحلم، ويعيش وهماً وخيالاً.

ومن الناحية التاريخية، فإن تاريخ الحركة الإسلامية في المنطقة، والعالم، يقول لنا إن الموديل الإسلامي التاريخي غير قابل للتحقق والنمو إلا في ظل الظروف التالية:

أ- في ظل الأنظمة الدكتاتورية وشبه الدكتاتورية، التي تنعدم فيها الحياة السياسية الحقيقية، والمنافسة المدنية، والتي يتحول فيها المسجد، والعمل الدعوي المنظم، إلى أهم مظاهر التعويض النفسي والروحي، والرفض السياسي، وفي إطاره تتم ممارسة السياسة.

ب- الأوضاع المتأزمة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لمجتمع معين، مثلما كان الحال في تسعينات القرن الماضي في الإقليم.

ت- ميادين المواجهة والمقاومة، وما يسمى في الأدبيات الإسلامية الجديدة بـ(الجهاد المسلح)، مثل تجربة المجاهدين الأفغان، و(حماس)، و(حزب الله) اللبناني. ولكن هذه التجارب أيضاً تقول لنا بأن فرصة التطور، وانتصار الجهاد المسلح، هي كبيرة ومتوفرة فقط في تلك الدول التي يكون المقابل فيها غير مسلم، كما رأينا في أفغانستان، ولبنان، والبوسنة، وفلسطين. ومن جانب آخر، فإن هذا الموديل من العمل حتى إذا انتصر، فإنه ليست لديه القدرة على تأسيس تجربة سياسية وحكم إسلامي متطور، يكون مفخرة للشعوب.. على سبيل المثال، فإن مقاومة وجهاد الأفغان كان موضع فخر، ولكن بعد انتصارهم على (الجيش الأحمر)، والحكومة العميلة في (كابول)، فإنه أصبح وبالاً على الشعب الأفغاني، كما أصبح مصدر عار وشنار للشعوب الإسلامية الأخرى. لأنهم ليس فقط لم يتمكنوا من تأسيس سلطة تستطيع أن تعوض ولو شيئاً قليلاً من آلام شعبها، بل إنهم حولوا أفغانستان إلى ساحة للاقتتال الداخلي، واللعنات، وحمامات الدم.

بشـكل عام، فإننا خارج تلك الأمثلة التي فصـلت العمل الدعوي عن السـياسي، ووضـعت أقدامها على مرحلة ما بعد ما سـمّي بالإسلام السياسي، وإبّان تأسيس الأحزاب الإسلامية المعاصرة ذات المرجعية الإسـلامية، لا نملك أيّ تجربة سياسية إسلامية تكون موضع فخر لنا، استطاعت أن تقدم لنا، من موقع السـلطة، نموذجاً جميلاً ومعاصراً. وبعض هذه الحركات والأحزاب لم تصـبح فقط حملاً على شعوبها، بل دفع ضريبتها حتى الإسلام و التيار والآيديولوجيا الإسلامية الجديدة.

ولذلك فإن هذا الموديل، أي الأحزاب ذات المرجعية الإسلامية لمرحلة ما بعد الإسلام السياسي، في إمكانها أن تعالج مشـكلة عدم فعالية الدعوي والسـياسي، وجانباً من أزمات الموديل الحالي، بحيث تأخذ كل من (الدعوة) و(السـياسـة) اسـتقلالها، وفرادتها، ويكمّل بعضـها البعض على مستوى المجتمع، ويخدم كل منهما الآخر، ومعاً يقومون بخدمة المجتمع والشعب والوطن.

نحو إعطاء مضمون جديد لمفهوم الإسلامية:

نعم، صـحيح إن بعضاً مما طرحناه آنفاً معاكس لمجمل التربية والقناعة التي تربى عليها أبناء هذا التيار في الماضي، ولكن فإنه من الصـحيح أيضـاً، في نفس الوقت، وبسـبب تلك الحقيقة، أن اشـتراك جماعة دعوية سـياسـية في الحياة السـياسـية، والمنافسـة المدنية - وبحسـب العديد من الدراسات والبحوث العلمية - يعرّضها للعديد من المشاكل والأزمات.

إن من المهم هو أن نفرّق بين الإسلام، والمشـــروع الإسلامي، والجماعة الدعوية، والحزب ذي المرجعية الإسلامية، وأن لا نخلط بين المفاهيم والمقاييس. فإذا كان الإسلام ديناً عالمياً، فإنه في ظلّ الواقع الجديد، الذي يسوده موديل (الدولة – القومية)، والنظام العالمي، والدولة الحديثة، يجب أن يكون المشـروع الإسـلامي وطنياً. هذه هي تلك الحقيقة والعبرة التي تأخّر في فهمها بعض الإسلاميين، وكذلك الماركسيّون، تحت مسمى (الأممية)، وبذلك آذوا أنفسهم، ومجتمعاتهم.

إن دور الحركة الإسـلامية، والجماعة الدعوية، ذات التوجه السـياسي، والتي هي في الأسـاس، كما يقول (فتحي يكن) في (مـاذا يعني انتمائي إلى الإســلام): هـدفها إعادة الناس إلى عبادة الله، والعمل على تنشئة الفرد المسلم، والأسرة المسلمة، والشعب المسلم، والحكومة والدولة الإسلامية، وتطبيق الشريعة، وإعادة الخلافة، يختلف عن دور الحزب ذي المرجعية الإسلامية، وواجبه.. هذا الموديل الذي يوجد الآن في العديد من الدول، والذي يختلف عن الموديل الإسلامي السائد اليوم، من حيـث ميـدان الاهتمامـات، ونوعهـا، ودوائر الاهتمام، وتعيين الأهـداف. هـذا الموديـل من الأحزب يمثل الطريق الثالث، ويحاول معالجة مشاكل النظام والسلطة، التي أوجدها، في السابق، كلّ من العلمانية والتيار الإسلامي.

لقد جرّبت مجتمعاتنا، في القرن الماضي، وخاصـة في النصـف الثاني منه، عديداً من أشـكال الحكم، ولكن الواقع يخبرنا أن كلّ، أو أغلب، هذه الأشكال، لم يكن ناجحاً.. وبقدر ما كانت –أي: هذه الأشكال والنماذج من الحكم - نتاج ردّات فعل، وثمرة للرؤية الآيديولوجية، والغربة التراثية،

والقطيعة الفكرية، فإنها لم تكن بالدرجة نفسها نتاج قراءة علمية للواقع، ولا فهم عميق وأخلاقي لماهيّة السلطة، والدولة الحديثة، ومخاطرهما على المجتمع.

واليوم، يخبرنا ماضي المنطقة، أن ما عرف باسم الدولة العلمانية والإسلامية، لم يستطع كلاهما، وبدرجات متفاوتة، أن يحقق الحرية والديمقراطية المزعومة، ولا العدالة والتنمية والرفاه المنتظر.. بل إنهما لم يدعا الدولة لتتبلور كإطار عام لاحتضان الجميع، على اختلاف مكوّناتهم، وكمركز للانتماء المشترك، وبوتقة لإنضاج مصطلح المواطن والحكم الرشيد.

لقد مهدّت متغيرات السنوات العشرون الماضية، ومنها ثورات العالم العربي، وهيأت الأرضية لولادة موديل جديد من الحكم.. كان في استطاعة هذا الموديل الجديد أن يكون مصدراً لإعادة بناء الدولة، والفضاء العام، وضمانِ الحقوق والحريات والديمقراطية والتنمية الاقتصادية.. هذا الموديل، والذي كان قد جرى الاتفاق عليه دستورياً في بعض البلدان، كان في إمكانه معالجة مشكلة أزمة الهوية، والتي إنما تأسست الحركات الإسلامية أصلاً لمعالجتها، وللحفاظ على الهوية الإسلامية للمجتمعات، ولمعالجة قضية إقصاء الإسلام عن الفضاء العام..

على سبيل المثال، لو أخذنا المادة (6) من مسوّدة (دستور إقليم كوردستان) كأنموذج، فقد اتفق الإسلاميون والعلمانيون، بخصوص منزلة الشريعة والإسلام في النظام السياسي والدولة، على ما يقارب نسبة الـ 90%، وحتى تلك النسبة المتبقية 10% كانت مسألة وقت لكي يتم الاتفاق عليها، وقد تعثّر ذلك بسبب تعطّل عمل لجنة إعادة صياغة الدستور. ولن يبقى، بعد هذا الاتفاق، شيء باسم (تغيير النظام). وكل حزب وتيار ينبغي أن يكون على استعداد لأن يقوّي لديه قدرة المنافسة والحصول على أصوات الناخبين، لأن عامل التغيير، ووسيلة تقوية المكانة السياسية، والتأثير في صنع القرار السياسي، وتوجيه المجتمع، إنما يتوقف على مستوى الأصوات والحصول على ثقة الناخبين.

إن أوضاع الإقليم في المرحلة الانتقالية، وعدم استقرارها، يجب أن لا تغيّب هذا الواقع عن أعيننا، لأنه حتى إذا احتيج إلى أساليب أخرى للنضال الجماهيري، من أجل الوصول إلى الاستقرار، والديمقراطية، وتثبيت دعائم النظام المتفق عليه، فإن الإسلاميين سيحتاجون - ولا شك - إلى تربية وتأهيل فكري وسياسي جديدين، بحكم أن أسلوب التربية المختلط السابق لديهم، كان سبباً في حدوث نوع من عدم الفعالية، وقلة النشاط، وضعف الدافع، لدى جانب من كوادرهم، وأعضائهم، والقاعدة الجماهيرية لهم.

ومن ناحية أخرى، فإننا حتى إذا احتجنا إلى مرحلة انتقالية للوصول إلى نظام متفق عليه، فإن هدف الإسلاميين والفرقاء السياسيين لا بد أن يكون الوصول إلى هذا النظام المتفق عليه، الذي يتجاوز الصورة التقليدية الضيقة للعلمانية والإسلامية في ماضي المنطقة المعاصر..

والسؤال هو: في الوقت الذي ينتفي فيه ما يسمى بالنضال من أجل تحقيق دولة الإسلام، وتطبيق الشريعة، وفرض الأخلاق الإسلامية الاجتماعية عن طريق الدولة، وذلك بحكم أنه قد تمّ

تجـاوز ذلـك عمليـاً، بالنظر إلى تاريخ تطورات المنطقة، وتجاربها، وضرورات التعايش الســـلمي الإســـلامي العلماني، وتطوير الديمقراطية، وتهيئة الأرضـــية لبناء دولة قادرة على احتواء الجميع، والابتعاد عن الدوائر المغلقة للعنف ورفض الآخر!.. فإن الإصرار على خلط الدين والسياسة، الذي كان الوســـيلة لدى تلك الحركات لتحقيق الأهداف الآنفة، عدا عن أنه يضـــع الحركة في مأزق، ويعزلها عن محيطها، فإنه يضعها أمام اختيار مرّ، وهو التضحية بالقيم الإسلامية، وروح الشريعة، من أجل فهم آيديولوجي جامد، ونمطي، ومحنّط، للإسلام، والحياة، والعصر.

في مثل هذا الظرف، ماذا على القوى، والأحزاب، والتيار الإســلامي، أن تفعل، لكي تحافظ على مواقعها الحالية، ولا تتراجع ، بل - على العكس - تنمو وتتقدم نوعياً، وتحيي منابع صـــنع الأمل في نفوس الكثيرين من أبنائها، والمواطنين؟!.. ماذا يجب على هذه القوى، ومجمل التيار الإسلامي، أن تفعل، في مرحلة تغيّرت فيها الأهداف، وأعيدت فيه صـياغتها، وتغيّرت التوقعات، والواجبات، والأدوار، لكي يصـبحوا رقماً سـياسياً له اعتباره وقوته، ويشاركوا مشاركة فعالة في معالجة مشاكل المجتمع، وفي تنفيذ واجبات المرحلة على المستويات الوطنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، والقيام بدور أكثر فعالية مما هو قائم حالياً، على المستوى الروحي والأخلاقي، كذلك؟

هذه هي الأسئلة التي يجب على الإسلاميين أن يوجهوها لأنفسهم. يجب أن يسألوا أنفسهم: في الوقت الذي تغيرت فيه أكثر الأشـياء المتعلقة بهم، هل تغيرت لديهم أســاليب القيادة، ونوع التنظيم، وآليات العمل السـياسي، والإعداد، ومسـتوى تفعيل الطاقات، وتوجيه الرأي العام، بمثل ذلك، وبما يوازي ويكون في مستوى الاستجابة لتحديات المرحلة، ومتطلبات تطورهم، ومشاركتهم الأســاســية في معركة الاســتقلال والتنمية لأوطانهم؟.. إن هذه الأســئلة تنبع من كون الأحزاب الإسلامية أيضاً، مثل بقية الأحزاب الأخرى، لم تنشأ، في أصل نشأتها، لتحقيق بعض هذه الأهداف التي يواجهونهـا اليوم. إنهم – بحكم الأوضـــاع – يحتاجون اليوم إلى إعادة تعريف، وإعادة بناء فكرية، وصياغة الوعي السياسي من جديد.

ولا بد من الاعتراف أن ثمة تغيّرات في هذا المجال، فالإسلاميون اليوم - من عدّة أوجه - ليسوا هم إسلاميو الثمانينات والتسعينات. لقد تغيّروا في بعض الوجوه، وفرض عليهم الواقع أيضاً بعض التغيّرات، الأمر الـذي انعكس إيجاباً لهم ولمجتمعاتهم.. ولكن وبحكم ثورات المنطقة، والتغيّرات الكبيرة التي طرأت على أهداف التيار الإســلامي، وواجباته، فيها، وبالنظر إلى واقع الإقليم عندنا، ومفرزات العولمة، وأشــياء كثيرة أخرى، فإن الذي فعلوه لحدّ الآن ليس كافياً!!.. بل يجب عليهم أن يخطوا نحو مرحلة جديدة من المتغيرات الفكرية والسـياسـية والتنظيمية.. وباختصار، عليهم أن يقوموا عملياً، وفي العمق، بالتغيير.. وعن طريق التجديد الفكري، والتغيير في أساليب العمل، والقيادة، عليهم أن يتجاوزوا مرحلة الحركة الإسـلامية التقليدية (الإسـلام السـياسي)، وأن يخطوا نحو مســتويـات أكثر فـاعليـة، وأكثر شـــمولية، إلى مرحلة أبعد من تلك المرحلة، ويعطوا روحاً جديدة لمعنى وجودهم الإسلامي.

وذلك بحكم أن فهمهم في الماضي لمغزى الإسلامية كان مرتبطاً بالأهداف التقليدية للحركة الإسلامية الحديثة، المتمثلة في إعلان الدولة الإسلامية، ورفض الديمقراطية، والقومية، وإعادة الخلافة، وتطبيق حكم الشريعة.. في الوقت الذي تحتاج فيه المنطقة، والمجتمع، والتيار الإسلامي، إلى إعادة تعريف المفاهيم، وفي مقدمتها مفهوم الإسلامية، والذي هو في ذاته ليس مصطلحاً جامداً ثابتاً عابراً للتاريخ، بحيث لا يتأثر عبر الزمان والمكان، ويكون له مفهوم واحد ثابت، بل هو في تجدد دائم، ويضم معاني وإشارات جديدة، بحسب تجدّد مصادر المعرفة، والأسئلة، والقضايا، والتحديات، والواجبات، والمراحل.. وكل تفكير مخالف لهذا يضعنا في خانة الفكر السلفي، والتعلق الرومانسي بالماضي، وإعادة إنتاجه، ورفض الحاضر على ضوء ماضي أجيال خلت قبلنا، والاغتراب عن الحياة والعصر، أو الاصطدام معها.

إن فهمنا لمجتمع المسلمين، والدولة الإسلامية، وطبيعة السلطة، وأشياء كثيرة غيرها، يحتاج أيضاً إلى التجديد والنقد. إن بعضاً مما روّج له في السابق باسم السلطة الإسلامية، والدولة الإسلامية، كان - في الحقيقة - نوعاً من عبادة السلطة، والعبودية للدولة. وبقدر ما كان ذلك تأثراً بالآيديولوجيا الحديثة، وخاصة الراديكالية منها، فإنه لم يكن انعكاساً لروح الإسلام، الذي يعمل على تقوية الأمة والمجتمع، وليس الدولة الكليّانيّة، ذات القبضة الحديدية، المتحكمة في الحياة والمجتمع وكافة المفاصل. وهذا حديث آخر، ليس هنا مجال تفصيله.

ولتحقيق هذه المراجعة، وإعادة هيكلة البناء الفكري، يجب أن تدخل التغيّرات مرحلة جديدة.. والذي يستطيع أن يحقق ذلك هو القائد الفكري والسياسي الجريء، والشباب والفتيات الواعين، والكوادر والأعضاء النشيطين والكفوئين.

إنّ التردد، والنظر إلى الأصالة على أنها انعزال عن المجتمع، والتخوف، والتشّبث بخطاب البقاء، والعمل بمقياس الاحتفاظ بما هو موجود، وعدم التفريط به، واتباع سياسة يومية غير مثمرة، وغير واضحة المعالم، والتمسك بالواقع لتبرير تأخير خطوات التغيير وما يجب أن يفعل.. كل ذلك لا ينسجم مع متطلبات هذه المرحلة، والسعي نحو إبداع شكل إسلامي جديد، وعدم الرضا عن الدور الدعوي والسياسي المأزوم والموجود حالياً.

إنّ بعض تغيّرات المرحلة السابقة، كان من أجل التكيّف مع الواقع والمحيط، وكان هذا عملاً جيداً. وكان، في الغالب، من أجل بقاء وحضور محدود، على هامش السياسة والحكومة.. ولقد أظهر الماضي أن الإسلاميين لم تكن لديهم القدرة حتى على ضم قدراتهم وطاقاتهم، والاحتفاظ بها، فضلاً عن أن يستطيعوا ضخ دماء وطاقات جديدة، واحتضان بعض الشرائح المحافظة للمجتمع، والذين يرفضون الموديل السياسي السائد في الإقليم.

لا شك أن بعض الأصوات، من داخل التيار، تقول: إن الواقع السياسي للإقليم لم يسمح لنا بأن نفعل كثيراً من الأشياء، وهو يمنعنا الآن أيضاً.. وهذا صحيح، على الأقلّ جزئياً..

ونحن عندما نتحدث هكذا، ونطرح هذا الطرح، فإننا نفكر هنا من داخل الإقليم، ونتعامل مع الوقائع والأحداث يومياً، ونراقب الأوضاع. فالذي نقوله نحن ليس نسياناً للواقع السياسي والعسكري والحزبي في الإقليم، ولكنه صرخة من أجل التيار الإسلامي، الذي هو تاريخياً قد ولد وتطوّر خارج - أو بعيداً عن - المدرسة التقليدية لفكر (الكوردايتى)، لكي لا يصبح - باستمراره على هذا النهج من القيادة والتنظيم والآليات والشكل -، ضحية لهذا الواقع، ولا تفرض عليه جبريات الواقع أن يتحول إلى قوة سياسية مستلمة للزكاة، ولا تتعمق مشاكله الداخلية أكثر من هذا.. بحيث تصل إلى مستوى انعدام الأمل فيه بأن يصبح الاتجاه الثالث للسياسة، والمنبع الجديد للأمل في كوردستان الجنوبية. حيث إن الأجواء الآن مناسبة من بعض الوجوه، ويستطيع أن يخطو الخطوة الأولى باتجاه تحقيق هذا الهدف.

نحن نعلم أن واقع الإقليم مأزوم، وأن لنا ديمقراطية مشروطة، ولكن مع هذا يجب الاعتراف أيضاً بأن واقع الإسلاميين يعاني من مشاكل متعددة. وما لم تلملم هذه القوة نفسها، وتنظّم حركتها، بشكل حديث، وما لم يعتمل في رؤوس قادتها، وكوادرها، وجماهيرها، خيال سياسي جديد، وتتحرك بروح تيار واسع، حيّ، واضح الرؤى والأهداف، فإنها تقترب من أن تصبح ضحية لواقع الإقليم السيء.

وليس من الصحيح أن نجعل من واقع الإقليم مبرراً للاستمرار في هذا الوضع التقليدي والمشتت للإسلاميين، وهذا الخلط والتداخل والشمولية في أعمالهم.. تلك المشاكل التي سببها لهم هذا التداخل والخلط غير المنهجي، وغير الضروري، بين العمل الدعوي والتبليغي، وبين العمل السياسي والحزبي..

إن الأوضاع في الإقليم لن تبقى على حالها، وستتغير، فيجب على التيار عن طريق إعادة التنظيم، أن يقوّي فيه قدرة وإمكانية استغلال الفرص، لخدمة شعبه، وتطوير برامجه..

بل إن الواقع الحالي للإقليم هو أكبر محفّز ومبرّر لإعادة بناء خطاب الإسلاميين، وأساليب عملهم، وتأسيس حزب وطني، جماهيري، ذي مرجعية إسلامية، وتيار دعوي وروحي جديد، لكي يحققوا مشاركة أكثر فاعلية، وأكثر حضوراً، في تجاوز مشاكل هذه المرحلة في كوردستان الجنوبية، وحلّها. لكي نخرج المجتمع من هذا الانقسام التاريخي شبه الدائم، ونعطي السياسة في الإقليم مساحة وفرصة لانتعاش جديد.

من أجل كل ما سبق، ومن أجل كل ما قيل، وما لم نقله - وهو في قلوب كثير منا، ولا نستطيع التعبير عنه، أو البوح به - أوجه ندائي إلى الإسلاميين جميعاً - المنتظمين منهم في أحزاب، وغير المنتظمين - للتوجّه والسير نحو هذه المرحلة الجديدة. ومن أجل هذا، عليهم - منذ الآن - أن يبدأوا الحوار فيما بينهم بروح جديدة، وأن يخرجوا من الدوائر الضيقة الحزبية، والتنظيمية، والمناطقية، وأن لا يخافوا من تردّد البعض، وتخلّف آخرين، لأن المجتمع مهما حوى واشتمل على أفضل النماذج الحزبية السياسية، وأحسن التيارات الدعوية، فإنه سيبقى ثمة فريق صغير،

متطرّف، على هامش المجتمع، يستمرون في حياتهم، وينشرون فكرهم الشاذ، ورؤيتهم المتشائمة السوداوية، ينثرون التهم، ويعتبرون أنفسهم الحرّاس والحماة الموكلين بالدفاع عن الدين والأصالة والنقاء. ولا تسمعوا لمن لم يستطع إن يجدّد نفسه، وكان عاجزاً عن تكييف نفسه مع متطلبات المرحلة، حتى إذا كان قيادياً من قياداتكم البارزين، وإذا وقف عائقاً، فمن الضروري تجاوزه، ويبقى له حق احترام ماضيه، وأستاذيته.

إنّ قادة وقيادة الأحزاب والأطراف الإسلامية، الحاليّة، والتجمّعات والجمعيات والشخصيات الإسلامية، يقع عليها حمل إسلامي، ووطني، وأخلاقي، كبير.. ومن الواجب أن لا ينظروا إلى هذا العمل من منطلق كراسيّهم، ومناصبهم، ومصالحهم، بل فلينظروا إلى كراسيّهم، وألقابهم، من منطلق مصلحة العمل، والتيار الإسلامي، والمجتمع.. إنّ قدرات عشرات الآلاف من الأعضاء، وجماهير غفيرة من الناس، وإمكانياتهم، هي أمانة من الناحية الإسلامية، وتجميدها، وعدم توظيفها حسب المطلوب، يعدّ خطيئة قيادية كبرى، ويعتبر من باب خيانة الأمانة.

إن المجتمع يحتاج إلى الإسلاميين في ثلاثة جوانب مهمة، ويجب عليهم أن يرتفعوا إلى مستوى ذلك، ويخرجوا من الأطر الضيقة:

أولاً: أن يصبحوا روحاً جديدة لإنعاش روح القومية والوطنية..

فعشرات السنوات من الاقتتال والصراعات الداخلية، والانقسامات، والفساد، وسوء استعمال السلطة، والانحراف في الحياة الحزبية، والأداء السيء لموديل القيادة والحكم، عملت - من بعض الوجوه - على أن تبدو (الكوردايتى) بمظهر العجوز الضعيف، وأن يتعرض التراث والفكرة الوطنية إلى الضعف والتمزق، بسبب الإحساس بعدم العدالة، والأنانية السياسية، وتجاهل المصلحة العامة.

إنّ الإسلاميين يستطيعون، عن طريق مزج القيم الإسلامية والأخلاقية بالروح القومية، وتجاوز الهويات المحلية، أن يصبحوا رمزاً لانتعاش هائل في الروح القومية والوطنية النظيفة.

ثانياً: أثبتت تجارب العالم الإسلامي في الماضي، أنه لكي تصبح قيم الديمقراطية، في المجتمعات المسلمة، جزءاً من قاموس الحياة اليومية للأفراد، وتترسخ فيها، وتتجذر، فإنه من المهم أن تصبح حلقة في مسيرة تطور الفكر الإسلامي نفسه، وليس أن تفرض من خارجه.

وهذا يتطلب ليس أن لا يكون للإسلاميين تحفظ على الديمقراطية فحسب، بل عليهم أن يثبتوا أنهم في طليعة المؤمنين بالديمقراطية الحقيقية لأوطانهم، وأنهم يستطيعون من هذا الوجه أن يكونوا أكثر مصداقية وصدقيّة من كافة القوى الأخرى. وهم بهذا أيضاً يستطيعون أن يبطلوا حجة العلمانية المعادية للدين، ويثبتوا أن العالم الإسلامي، ومنه إقليم كوردستان، في حاجة إلى الجمع بين المحافظة الاجتماعية وقيم الديمقراطية.

ثالثاً: أن نصبح مدار تيار إصلاحي قوي، حقيقي، وغير قابل للهزيمة.

إن تجارب بعض دول المنطقة في السنوات الماضية، أوضحت لنا أن القوى الإصلاحية الكبيرة، على مستوى الشرق الأوسط (باستثناء منطقة كوردستان الجنوبية)، وعلى مستويات متباينة من النجاح، والتي ظهرت بالضدّ من الفساد، وهدر المال العام، وسوء استغلال السلطة، قد خرجت من قلب التيار الإسلامي، عندما استطاعت أن تحرّر نفسها من قيود الإسلام السياسي، وتتحول إلى أحزاب عصرية، وتجمع جماهير غفيرة حول مشروعها.. إن الإسلاميين في كوردستان ينبغي عليهم أن يلعبوا نفس الدور بالنسبة إلى المشروع الإصلاحي في وطنهم.

وبهذه الصورة يصبح الإسلاميون خميرة أنموذج جديد للعمل الوطني السياسي، وسبباً في انتعاش قيم (الكوردايتي) المغدورة، وإعادة الروح إلى مسيرة النضال من أجل العدالة، والحفاظ بصورة متزايدة على كرامة إنساننا، والاستفادة من القيم الإسلامية الكونية، لتزيين خارطة الطريق، والمشروع السياسي، والخدمة الروحية والأخلاقية.

إن الإسلاميين يجب أن يطلّوا من هذا الأفق الواسع، وأن ينظروا إلى مستقبلهم، وإلى الواجبات التي تنتظرهم، من منطلق هذا الواجب الحضاري والإسلامي والقومي والإصلاحي والديمقراطي الكبير.. وأن يفكروا - من منظور متطلبات تلك الواجبات أيضاً- في المتغيرات، وتجديد طرائق التفكير، وأساليب عملهم، ولا يشغلوا أنفسهم بأمور جانبية، وهامشية، وأهداف محدودة.

وهذا يتطلب منا أن ننبذ الخوف، وأن نتحصن باليقظة والوعي، لأن الخوف والإيمان لا يجتمعان في عقل وقلب واحد.. دعنا نتخلّص من أسر بعض أشكال التفكير الحزبية، والدعوية، لأنه من المفترض لا أن نكون أحراراً فحسب، وإنما أن ندافع عن حرية المجتمع والآخرين أيضاً.

لا تتعاملوا مع بعضكم البعض بالدبلوماسية والتحفظات، حطّموا القيود، هيّئوا النفوس، وطمئنوها، قرّروا، وضَعُوا التيار في مرحلة انتقالية، حدّدوا خارطة طريق لمدة سنتين، للتمهيد لإعادة بناء التيار، والخطاب، وأساليب القيادة، والعمل، على الشكل الذي تحدثنا عنه.

تحركوا أيها القادة.. إن عدم الاهتمام، والتقصير، وعدم الجدية والصدق، ووضع العراقيل، لن تنزع المسؤولية عن أعناقكم.

إن الوضع ناضج ومهيّأ لولادة موديل جديد من العمل الدعوي والسياسي في الإطار الإسلامي، بحيث إننا إذا لم نخط بمنهجية، وانطلاقاً من قرارنا، فإن المولود سيولد لا محالة، فإن لم يلد المولود بصحة وسلامة، فإن المسؤولين عن ذلك سيكونون أولئك الذين يستطيعون أن يقرروا، ولكنهم يمتنعون عن إصدار القرار الصائب والضروري❐

رؤية معرفية
حول علاقة الدعوة بالسياسة

بقلم: عمر إسماعيل - باحث في الفكر الإسلامي ترجمة: سرهد أحمد

مقدمة:

✍يعد موضوع العلاقة بين (الدعوة) و(السياسة) اليوم من المواضيع الساخنة التي تشغل الساحة الفكرية والسياسية في العالم الإسلامي، بما فيه إقليم كوردستان، على مستويات المراكز الثقافية والسياسية والحزبية ومؤسسات المجتمع المدني، وعلى مستوى التيارات الإسلامية والعلمانية.

ولا شك أن عُمر هذه الجدلية ليس بالقصير، حيث ظهرت على أقل تقدير في نهايات القرن الماضي، داخلة في الحوارات الفكرية والأدبيات التنظيرية للأحزاب السياسية والجماعات الإسلامية، لكنها أصبحت أكثر حضوراً في السنوات الأخيرة، خاصة بعد إجهاض تجارب الإسلاميين في فترة الربيع العربي، فمعظم المفكرين وأصحاب القرار داخل الحركة الإسلامية، والقوى والاتجاهات المشكّلة لها، استعرضوا رؤاهم المختلفة بشأن تنظيم العلاقة بين هذين الأساسين (الدعوة والسياسة)، حيث قيل الكثير عن هذا الموضوع، خطاباً وكتابة، وطرحت أفكار متباينة حوله، وكل

واحدة من هذه النظريات تسعى لإثبات صحة مقولاتها، مستندة إلى أدلة مستقاة من الواقع والأدلة الشرعية والأصولية، ومتعضدة بتجارب الآخرين، أو مجبرة على التجاوب مع مطالبات التأقلم والسير مع التيار الراهن والمتغيرات الحاصلة، وجعلها ذريعة، كنوع من التجديد وتطوير أنماط العمل الإسلامي.

وإننا من موقع الشعور بالمسؤولية، وتوقنا لحركة، قضينا فيها (35) عاماً من عمرنا، وقدمنا لأجلها التضحيات، وفي الوقت نفسه بنينا شخصياتنا في صفوفها، وصقلناها وفق تعاليمها، وبرامجها التربوية، لذلك فنحن مدينون لها، ونعد أنفسنا مسؤولين إزاء أي تراجع أو انكسار يعتريها، لذا فإن أي شيء نراه نافعاً يخدم وينشط ويسهم في تقدمها، سنقول به، ونكتبه، ونعمل على إيصاله.

حقائق لا بد منها:

أولاً- جذور هذه المسألة: من أين جاءت؟ ومن أي مصدر انبثقت؟ هل شاعت دون مغزى ومقصد؟ لا شك أن هذه المسألة مرتبطة على مستوى كبير بمسألة دور الدين في توجيه وإدارة المجتمع، بشكل عام، وعلاقة الدين بالسياسة، والفصل أو الوصل بينهما، على وجه الخصوص. ومن الواضح والثابت أن هذه المسألة مستمدة في البداية من المجتمعات المسيحية، خصوصاً في أوروبا، نتيجة الصراع العنيف بين الكنيسة والمؤسسات الدينية، وبين السلطة الزمنية (الإمبراطورية)، على احتكار السلطة السياسية والحكم، من جهة، وبين البابا والكنيسة مع العلماء على احتكار الحقيقة، من جهة أخرى.

أما عندنا في هذه المنطقة المسماة بالعالم الإسلامي، فقد ظهرت دعوات الفصل بين الدين والسياسة نتيجة الاحتكاك بالفلسفة والتصور الغربي غداة تفكك الخلافة الإسلامية، حيث برزت عدة تيارات وتوجهات، انتقلت عن طريقها تلكم الفلسفة إلى العالم الإسلامي.

ثانياً- عدم فصل الدعوة عن السياسة لا يعني نشأة ذاك التصور الذي يؤسس لخلط الدين والدولة والسلطة السياسية التنفيذية، وهذا يعيدنا إلى دولة السلطة الدينية (الثيوقراطية)، ومن الواضح أن هذا ناجم عن سوء فهم عن الدين الإسلامي، وحتى عن المفهوم (الثيوقراطي).

ثالثاً- تغليب فكرة عدم فصل الدعوة عن السياسة يثير مخاوف الناس من وصول أشخاص يحملون تلك الفكرة إلى السلطة، حيث سيعملون على التدخل في شؤون الفرد والمجتمع، كما حصل في السابق، حين برزت مجموعات متشددة ومتطرفة سعت إلى السيطرة الشاملة على المجتمع، والتدخل في خصوصيات المواطنين.

رابعاً- حين نتحدث عن عدم صحة الفصل بين الدعوة والسياسة، فذلك لا يعني ترك الواعظ أو الخطيب يمارس العمل السياسي، لكن يجب أن يتفرغ الوعاظ والخطباء لوظيفتهم الأساسية، ويبتعدوا عن السياسة والصراع على المناصب والمصالح ...إلخ، ليس لأن ممارسة السياسة محرمة

عليهم، بل الهدف هو الحفاظ على مكانتهم وشـــخصـــياتهم، والإبقاء على تأثيرات تلك المكانة، والحؤول دون تشويهها، بفعل الجري وراء المصالح، والنزوع نحو المعارك السياسية.

خـامســاً- هذه الفكرة التي ارتأيت أن أعبّر عنها ضـــمن هذا المقال، ليس معناها التخندق ورفض الطروحـات الأخرى المغـايرة، وهي طروحـات لجماعـات مختلفـة، نابعة من زوايا تربوية وعلميـة وفكريـة، حتى تلـك الطروحات المنادية بتجزئة الدين بدعوى التجديد. وبهذا الصـــدد يقول المفكر الهنـدي (وحيـد الـدين خـان): "يمكن أن يكون لنـا تجـديـد مجزأ، كـأن يقوم عـالم بالتجديد في مجال أحد الأحكام الإسلامية، وهذا عمل اعتيادي جداً".

سـادسـاً- الإسـلام دين شـامل، فأيّ نوع من الفصل بين الدين والسياسة - الدعوة والسياسة، ســيلحق ضرراً بهـذه الشـــموليـة، ويشـــوّه هـذا الفهم. وعلاوة على ذلك يرى بعض المفكرين والباحثين، أن جميع أنواع الفصـل والاقتطاع القنواتي بين فروع وأجزاء الدين، هو سهم موجه إلى عقيدة المسـلمين وإيمانهم.. وطبعاً إن اختلاف الرؤى حول تصنيف وتسلسل فروع وأجزاء الدين، بين العلماء والمفكرين والـدعـاة، عمـل شرعي واعتيـادي، مرتبط بـالظروف، ونوعيـة الفهم.

تعريف المفاهيم:

منذ البداية لا بد من تعريف المفاهيم، وتفســـيرها، وفهمها، لكي نســـتطيع الحديث عن العلاقة والربط والفصـل، ونكون على بينة مما نتحدث عنه، وحينها ستتبلور رؤى متباينة، نتيجة وجود أفهـام مختلفـة عن هذه العلاقة. ولا يخفى أن اختلاف الرؤى والتنظير المعرفي للعلاقة بين عدة مسـائل، أو عدة مفاهيم فكرية متفاعلة فيما بينها، يرجع - في بعض الأحايين - إلى اختلاف الرؤى حول أصل المفاهيم وتعريفاتها.

ومن هنا، فإننا نسـعى لإيجاد أرضـية مشـتركة للفهم، مع أولئك الذين يختلفون معنا بشـأن أصـل العلاقة، ويتحتم على كل واحد منا أن يعبّر - بشـكل واضح - من أي نافذة فلسفية، ووفق أي مدرسـة، وفي ظل أي مرجعية، تنبثق نظرتنا إلى الدين والسـياسـة - الدعوة والسـياسة، وحتى نظرتنا للقيم العليا، والمصـالح العامة، ورؤيتنا للحياة الدنيا والآخرة، وكيفية تعريف كل ما تقدم، ثم نـأتي بعد ذلك إلى الحديث عن العلاقة بين الدين والدعوة والســـياســـة، والتأثير الذي يتركه أحدهما على الآخر.

إنّ التنظير والتحليل لا ينتهيان عند الإشـارة إلى التطورات السـياسـية والاجتماعية، أو التبادل الإقليمي والدولي، أو تقبل إحدى تلك الرؤى من عدمه عند معارضـينا، فمن الواضح أنه لا يمكن تأصـــيل المفاهيم، ولا بناء نظريات للأطر، ولا تحديد وســـائل وأدوات، تحت تأثير وهيمنة واقع أنتجتـه فلســـفـة ونظرة عولمية مختلفة، أو في ظل وجود إرغام ســـياسي. إنّ لنا نظرتنا العالمية، ومرجعيتنا الخاصة، وفي ظلها يجب أن نفهم الأشياء، ونعرّفها أيضاً.

الدعوة:

الـدعوة: تعني إلايصـــال والتذكير والإقناع بمبادئ الإســـلام من عقيدة وشريعة وقيم عليا وعبادات ومعاملات ... إلخ، بهدف إجراء تغييرات على القيم والعادات والســـلوكيات الشـــائعة، واستبدالها بالقيم العليا التي جاء بها الإسلام.

وعليه، فإن الدعوة وظيفة لتنقية الفطرة والطبيعة الإنسانية من الشوائب، ولتصحيح الخلل الذي يعتري الأسس الفكرية والسلوكيات الاجتماعية للفرد والمجتمع، على اعتبار أن تلكم الأسس المختلة هي انحراف عن جادة الحق والصواب { وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ}.

لا شك أن أحد أبعاد التغييرات التي يجب على الإسلاميين العمل عليها بشكل أعمق وأوسع – سـواء كانوا أحزاباً سياسية، أو مجموعات دعوية، أو مراكز فكرية - هو البعد السياسي، إصلاح النظام السـياسي والسـلطة. بمعنى أن مسـؤولية الحزب السـياسي الإسـلامي، طالما يعمل بمرجعية إسـلامية، أشـمل من مسـؤولية الحزب السياسي، بتعريفه الشائع حالياً، وهو التعريف الوارد من منظور الفلسـفة الغربية للحزب السـياسي، مع الأخذ بنظر الاعتبار الصـعوبات والتعقيدات التي تواجه مسـار الدعوة، مع انتهاج كافة الوسـائل المشروعة والسبل المدنية والسلمية، على مستوى الخطاب، والأخذ بوسـائل التأثير في الفرد والجماهير، على شـكل مواعظ ونصـائح، أو مشـاريع اجتماعية أو ســـياســـية وثقافية وتربوية، كديدن أي دعوة أخرى مرتبطة بالدين والآيديولوجيا والمذهب، في شرق هذا العالم وغربه.

السياسة:

أما السياسة، فتعني فن التنظيم وإدارة الشؤون العامة بشكل يحقق المصالح العامة العليا من الحـاجـات المختلفـة للأفراد، ويبـدأ من تحقيق الأمن الغـذائي، وســـلامـة الفرد من النـاحية الجســـديـة والمعنوية، إلى توفير أمن المجتمع، وتنظيم العلاقات والأدوار الاجتماعية، وتجســـيد العدالة، وينتهي بأمن الوجود والهوية.. وعليه، فإن السياسة هي نضال من أجل التغيير في الأفق العام، لصـنع واقع جديد، يحصـل فيه المجتمع على نسـبة كبيرة من المصـالح العامة التي تخدم الحياة اليومية للفرد والجماعة.

جذور فكرة الفصل بين الدعوة والسياسة:

لا شـك أن أي إشكالية فكرية وفلسفية ونظرية لها بداية، أي جذور وعوامل ظهور وتوسع خاصـة بها. مسـألة العزل والفصـل التام بين الدعوة والسياسة، أو علاقة وتأثير الدعوة والسياسة، مثل أي مسـألة أخرى، لها بداية وجذور وعوامل خاصـة بها، تنشـأ من البيئة الثقافية والفكرية نفسها.

وكما أشرنا في بداية الموضوع إلى أن أوروبا شهدت صراعاً بين السلطة الزمنية، الممثلة بسلطة الملوك والأباطرة، وبين السلطة الدينية والبابوية، حول احتكار السلطة السياسية، والسيطرة على المجتمع، من جهة، ومن جهة أخرى: صراع بين الكنيسة ورجال الدين، وبين العلماء، على احتكار الحقيقة العلمية. وكانت النتيجة انكفاء الكنيسة، وعزلها عن الحياة، باستثناء انشغالها ببعض الطقوس الدينية بين جدارن الكنيسة. وعلى الجانب الآخر، ثبتت السلطة الزمنية أركانها من خلال تحكمها بالقرار السياسي، وسيطرتها الكلية على المجتمع، وتحرير العلماء، وابتعاثهم لميدان البحث والإبداع العلمي، فأضحى الدين علاقة روحية بين الإنسان والرب، بالمفهوم الغربي.

لكن استنساخ هذه الحالة، ونقلها بنفس الفلسفة والتصور والمفهوم، إلى العالم الإسلامي، خطأ كبير للغاية. يقول المفكر والفيلسوف الدكتور (حامد ربيع) - رحمه الله - بهذا الصدد: "كذلك فإن التماسك بين الحياة الدينية والحياة المدنية، هو أمر لا يمكن تجاهله على مستوى الفرد. الفرد حقيقة واحدة تنصهر في داخله المعطيات المدنية والدينية، السياسية وغير السياسية، المعنوية وغير المعنوية، إنه جسد واحد، وعقل واحد، فكيف يمكن تجزئته؟ والدين هو عنصر من عناصر الوجود المعنوي، والواقع الفكري، للمواطن، ومن ثم فمن الطبيعي أن تتعانق في ذلك البعد الفكري جميع العناصر المثالية للوجود الإنساني: دينية كانت أم أخلاقية.

هذا المفهوم لم يكن إلا نتيجة استقبال التراث الغربي، دون إدراك بحقيقة ذلك التراث.

فالتاريخ الأوربي فرض تنظيماً كنسياً يصارع التنظيم القومي. الكنيسة كانت تحمل الطابع النظامي من جانب، والطبيعة الرجعية، من جانب ثان، والتعامل ضد الحركات القومية، من جانب ثالث. ومن ثم كانت الحرب ضد الكنيسة باسم الثورة الفرنسية. في الواقع العربي معطيات مختلفة: الإسلام لا يعرف التنظيم الكهنوتي، وهو أداة التطوير والتقدم من جانب ثان، ثم هو منطق الثورة القومية، من جانب ثالث. (مستقبل الإسلام السياسي، ص10).

تصور العلاقة الثنائية بين الدعوة والسياسة:

باختصار، يمكننا تصنيف تلك التصورات والأفكار التي يتداولها الإسلاميون على ثلاث مستويات متفاوتة:

أولاً: التماهي بين الدعوة والسياسة، والنظر إليهما كجزء واحد، وإزالة الحدود والفواصل بين ممارسة المسؤوليات السياسية، والعبادات، والمسائل الدينية الخاصة. فالشخص الذي يخوض غمار المعارك السياسية الحامية الوطيس، مثل الصراع الانتخابي، والمنافسة الإعلامية، وعملية صنع القرارات ذات الصلة بالمصالح العليا للمجتمع...إلخ، هو الشخص نفسه الذي يصدر الفتوى الدينية، دون الأخذ بنظر الاعتبار نوع التخصص.

فوفق هـذه الرؤيـة، ينبغي دمج الفتوى الـدينيـة وخطـاب الحلال والحرام بكافة مفاصـل الحياة، ويتوجب عدم الإبقاء على المسـافات بين الخطاب الجيد والسيء، والسيء والأسوء، والجيد والجيد جداً، أو بين المصـلحة وتحقيق المراد والمقاصـد، والنظر إلى الفعل السـياسي مثل الفعل الروحي، على حد سواء، وقراءة كافة مفاصل الحياة بمنظار الدين بمعناه الخاص.

وأنا أطلق على هذا النوع من العلاقة تسـمية (التماهي)، التماهي بين الدعوي والسـياسي، ودمجهما مع بعض.

ثانياً: فصل كلا الأساسين، وإنهاء كافة أشكال العلاقة بين الدعوة والسياسة. وهذا المستوى هو بعكس المسـتوى الأول تماماً، وهما لا يتلقيان مطلقاً، ولا يترك أحدهما أثراً إيجابياً كان أو سـلبياً على الآخر.. وأطلق على هذا النوع من العلاقة تسمية (الفصل) أو (الانقطاع) النظري والمؤسسـي بينهما.

ثالثاً: التمييز، ويعني توزيع المسـؤوليات والوظائف على الأشـخاص والمؤسـسـات وفق التخصصات، لكن ضمن إطار كيان واحد منظم. وسنأتي على ذكره بشيء من التفصيل لاحقاً.

حقيقة العلاقة:

الحركات الإسـلامية، ومنذ بداية نشـأتها، تنظر إلى الدعوة والسـياسـة كجزء لا يتجزأ، وترى السـياسة حاجة وضرورة دعوية، لا يمكن للداعية الاستغناء عنها، أو تهميشها، لأنها عامل مساعد ومكون قوي للنجاحات والوصـول إلى الأهداف، ومصـدر لإعلاء المشـروع الاسـلامي على كافة المستويات.

وقد اجتهدت الحركات الإسلامية في تأصيل هذه الفكرة بعدّة أدلة، مباشرة وغير مباشرة، من القرآن والسـنة.. كما حذرت تلك الحركات الإسـلامية من اتسـاع دائرة الاشـتغال بالسـياسـة على حسـاب الـدعوة، وظهر ذلـك جليـاً في كتـابات القادة الأوائل لهذه الحركات عموماً، والقسـم المعروف بالاعتدال والوسـطية على وجه الخصـوص، لذلك تراها تشـدّد على التدقيق في المسـاحة الطبيعية التي يجب أن تشـغلها السـياسة من مجمل الحجم العام للدعوة، وكذلك داخل النسق الديني العام.

وهذه السـياسـة القصـيرة والطويلة تتسـع وتتقلص تبعا للظروف وأولويات المرحلة، لكن لا يسـمح لها أن تتمدد كالأخطبوط، لتسـتحوذ على جميع فروع ومكونات الدين الأخرى، بشـكل تجعل الدعوة سياسة، والسياسة دعوة.

وإذا كان منطق السـياسـة يقتصـر على تحقيق مصالح الناس، وتأمين معايشهم، عندها سيكون من الواضح أنه لا يمكن - ولن يحدث - بالانقطاع عن وجود منظور ورؤية، تحدّد الحسن والسيء، والمصالح وأضدادها، ووضعها داخل إطار محدد، وواضح، ومعرّف، وفق مرجعية واضحة المعالم، بعيداً عن أي هيمنة وإرغام من الواقع والرغبات الإنسانية.

وهنا تلعب الدعوة دوراً واضحاً ومؤثراً في تهيئة المجتمع، وتصنيفه، وتنظيم استراتيجية المصالح الخاصة والعامة. بمعنى أن الدعوة قادرة، من مسار قناعتها الذاتية، على تشكيل رأي عام حول قواعد وتوجيه ومواقف طبيعة المجتمع، وعلاقاته، وطرق الحياة المتعددة التي ينتظرها الأفراد والجماعات. في الوقت الذي تجد السياسة دورها في إطار استثمار هذه الحالة، والاستفادة من هذا الاجتهاد، ومن فرض الشروط الموضوعية، بشكل إجابات على تلك القواعد..

وإذا كانت كذلك، فإن تعطيل الدعوة، أو إضعافها، أو إرجاء أهميتها، على حساب توسيع دائرة الفعل السياسي المجرد، ربما يشكل تهديداً جدياً على الدعوة والسياسة معاً.

إن وجود الفروع الأخرى للدعوة يقف في وجه نشوء هذه الحالة من التهديد، ويشكل حصانة قيمية دينية، ولن يسمح بتضخم السياسة، وتحولها إلى تهديد لبقية الفروع والأسس الأخرى، بما فيها السياسة ذاتها. هذا في الوقت الذي تعد السياسة مثل فرع من فروع الدعوة، مسؤوليتها تحقيق المصالح العامة، في ظل القيم القائمة. وهذا سيؤدي إلى بلورة مستويين من الوظيفة: الأول: شامل وثابت، الثاني: جزئي ومتغير، وهذه الحقيقة في ظاهرها تعطي نوعاً من التمييز والخصوصية لمنطق الدعوة والسياسة، أو تعطي نوعاً من التكامل، من موقع أن السياسة جزء من مسألة الدعوة.

إنّ انتهاج الدعوة ذات مسار ممارسة السياسة، وتهميش باقي الفروع الأخرى، هو من الأخطاء الكبيرة والفتاكة الشائعة.. إذ حينئذ ستتوسع دائرة المشكلة، وتؤدي إلى تحجيم متطلبات الدعوة.. وهنا يلعب الشخص بذاته - أي الفاعل السياسي والدعوي - دوراً هاماً في الحفاظ على التوازن بين وظيفة الدعوة والعمل السياسي.

عوامل تأزّم العلاقة بين الدين السياسة:

إحدى المشكلات التي تواجه الفكر السياسي للإسلاميين، ولم يجدوا لها حلاً، مسألة تعريف الحزب، ومهامه، من منظور الدين الإسلامي، وفي إطار الفكر الإسلامي، وما هو متوفر حالياً، ويتم الأخذ به، هو نتاج الفكر الأوروبي. ونحن ندرك أن الجذور الفلسفية لهذا النموذج تنادي بفصل الدين عن مرافق الحياة والمجتمع، خاصة مرفق السياسة، ولهذا الطرح حضور مؤثر، فهو يردد بأن الحزب ليس وسيلة وحاضنة لترسيخ الفضائل الأخلاقية، ولا يشكل مصدراً للتنشئة والتربية الروحية، ولا باعثاً للتدين.

فالحزب وفق هذا الطرح الفلسفي، ما هو إلا مشروع سياسي ينحصر هدفه في إحداث تغييرات في كافة المرافق العامة. ولكننا نجد في الفكر والفلسفة الإسلامية، وحسب النموذج الذي صاغه (القرآن الكريم)، تلاحماً بين هذين البعدين، أي تربية وتنشئة الفرد الصالح، وإحداث تغييرات في المرافق العامة، فالبعد الأول يشكل أساساً للبعد الثاني.

وهنا تثور إشكالية فكرية وتنظيرية، هذه الإشكالية مردها عدم تقصّي العوامل الحقيقية وراء بعض الانتكاسات التي تواجه الإسلاميين، حيث يسارع في إرجاع الأسباب إلى دمج الدعوة بالسياسة، متناسين أن غالبية التيارات الإسلامية ذات الجماهيرية المؤثرة، خاصة في كوردستان، هي التي تنشط في المجالين الدعوي والسياسي معاً.

وباعتقادي إن بعض المشتغلين بالتنظير في هذا المجال – مع احترامي – مصابون بشكل من الأشكال بـ(فايروس) العلمانية، فهم يرددون ببساطة: الدين بهذه الطهارة ميدانه الدعوة فقط، وأما السياسة بهذا التحايل والتعقيد، فميدانها العمل الحزبي، ولا يمكن دمج الدعوة بالسياسة! وهناك البعض ممن يفتقد تصوراً واضحاً وخطاباً صريحاً حيال هذه المسألة، ويعيش باستمرار في قلق دائم وتردد بين الحزبية والجماعية.. كما أن هناك البعض ممن لم يجهد نفسه في البحث عن إجابات، من خلال التصور الإسلامي، على أسئلة من قبيل، ماذا يعني الحزب؟ ما هي خصائص الأحزاب ذات المرجعية الإسلامية؟ ما هي واجبات الحزب، وآليات عمله؟

للأسف، معظم الطروحات الواردة هي ترديد لمقولات العلمانية، ونسخة منها، ولذلك فإن إحدى مهام المنظرين الإسلاميين الجسيمة هي التركيز على تعريف الحزب، وتحديد خصائصه، وتأشير دوره، وفقاً للمنظور الإسلامي.

تلك الحقيقة التي تحدثت عنها أعلاه، هي بعينها العامل الأساسي لتأزّم وتعقيد العلاقة بين الدعوة والسياسة، وربما هناك عوامل أخرى، لكن من وجهة نظري هي هامشية، مثل: طبيعة الثقافة الدينية السائدة في المجتمع، السياق التاريخي، طبيعة وخصائص المجتمع، وفهم السياسة، وتعريفها.

نمط العلاقة بين الدعوة والسياسة:

في الحقيقة إن الحديث عن فصل الدعوة عن السياسة، وفق التعريف الذي أوردنا، يظهر وكأن المصطلحين شيئان مختلفان من حيث السياق والوظيفة، وهذا التعريف غير منطقي للغاية، لأن هذا النوع من المقارنة والفصل بين شيئين متوازيين، لهما نفس المسؤولية والوظيفة، بل أحياناً يشكل أحدهما بديلاً للآخر، بل ويكمّل أحدهما الآخر في مجالات أخرى، من حيث العموم والخصوص، كأن نقول: سلطتين، أو جيشين ...إلخ، غير مقبول بالمرّة.

وعليه لا يمكن أن نلزم جهة ما تمارس العمل السياسي، بالامتناع عن ممارسة وظيفة الدعوة. وهنا يبرز السؤال: ماذا تسمي عملية إقناع الآخرين بالمشروع السياسي؟ وكذلك الذي يمارس وظيفة الدعوة، إلى أي مرجعية وفكر وسياسة يدعو؟ لذلك وفق هذا الفهم لا بد من ممارسة الدعوة والسياسة معاً، ومن غير الملائم أن ندعو إلى فصل الدين عن السياسة، أو الدعوة عن السياسة، في أي مجتمع كان، لأن الدين لدى الفرد المنتمي - وإنْ لم يكن مسلماً، ملتزماً كان أو غير ذلك - يشكل مصدر تنشئة الفرد ذاته، حتى بالنسبة للدين - أي دين كان - يعرض منظومة

من القيم في المجتمع، يهدف من خلالها إلى تنظيم سلوك الفرد ويوجه بها المسيرة الحضارية، مثل العدالة والأخوة والمساواة والحرية وصون كرامة الإنسان، والوضوح والشفافية، ويتوخى الدين أن تنعكس هذه القيم والمبادئ على علاقات الأفراد والحياة والأفعال السياسية، لذا فإن الدين في السياسة هو مثل القيم والمعايير والأهداف، مثل الروح والمحرك والدافع، مثل المحور والقوة الجامعة للشعب والأمة، وبالإمكان ممارسة العمل السياسي ضمن مؤسسات مستقلة بعيدة عن أي سلطة دينية كهنوتية، وإن توزيع الواجبات واستقلالية مؤسسات المفصلين معاً ضروري، ويجب التأكيد على ذلك، فالخطاب السياسي ولغة إعداد البرلمانيين والمقاعد والمواقف السياسية والمشاريع الاقتصادية تختص بها مؤسسة مختصة ومحددة الوظيفة هي المؤسسة السياسية، وأما الدعوة والإرشاد فمكانهما المجتمع على اعتبار أن المجتمع مؤسسة عامة.

والحقيقة التي لا لبس فيها، ويعلمها جميع المختصين، أن طبيعة الإسلام كدين لا تسمح بفصل الدين عن السياسة، لأن جوهر الإسلام حقيقة كلية، هذا الجوهر يجمع بين القول والفعل، فالسياسة تستقي من الدين، ويحكم كلا الأمرين نوع واحد من الأخلاقيات، لكن هذه الحقائق أيضاً لا تمنع التمييز الوظيفي والإجرائي بين وظيفة الدعوة وممارسة العمل السياسي، والأبعد من ذلك أن الواقع الراهن يفرض هذا التمييز الوظيفي، وللاطلاع أكثر يمكن الرجوع إلى كتاب (مستقبل الإسلام السياسي) ص 46.

كما أشرنا سابقاً إلى احتمال تولي الإسلاميين السلطة، خاصة التيار الاعتدالي الوسطي، المعروف عنه فهمه الصحيح للإسلام ودور الدين في حياة الأفراد، هذه الرؤية لا تثير مخاوف من نشوء سلطة دينية بمعناها الضيق.

في الواقع إن دمج مؤسسة نظم الممارسة السياسية والسلطة، مع نظم التعاملات المجتمعية على مستوى الأفراد، يعد شيئاً طارئاً على المجتمعات الإسلامية، وقد تسربت هذه المفاهيم من مصادر أخرى إلى منظومة الأعراف والممارسة الإسلامية.

فالفقهاء - وفي مقدمتهم الأئمة الأربعة - لم يسمحوا لأنفسهم بإصدار فتاوى حول مسألة من المسائل المتعلقة بالسلطة الحاكمة، والتي يطلق عليها اليوم (التعامل السياسي).. إن مشروع ربط المواقف الفكرية والآيديولوجية بالنظم الإجتماعية لا يظهر سوى في المجتمعات النامية. (المدخل لدراسة التراث الإسلامي ص 236).

التمييز الأكاديمي والإجرائي بين وظيفة الدعوة والعمل السياسي في التراث والتجربة الإسلامية، وفق مقولات بعض العلماء والمفكرين:

ولتوضيح العبارة الواردة في المقدمة، نقول: إن التمييز على المستويين الأكاديمي والإجرائي بين المسائل الدينية والدنيوية، المبادئ الثابتة والمتغيرة، السياسية والدينية بمعناها الضيق، أو بعبارة أخرى تلك المواضيع المرتبطة بالأفعال السياسية والحكم، وتلك المرتبطة بالأبعاد الفكرية

والنظريات في التاريخ الإسـلامي، واضـحة للغاية.. وعلى عكس الفهم الشـائع المألوف فإنّ دمج الدعوي بالسـياسي هو نوع من الثيوقراطية، هذه الحقيقة معلومة ومعترف بها - نوعاً ما - من قبل الأصـوليين وعلماء الشريعة، وهذه الحقيقة تظهر في بعض أحاديث الرسـول (صلى الله عليه وسلم)، ومن أبرز الأدلة على ذلك:

أولاً: يتفق أغلب العلماء على تصنيف وتقسيم تصرفات الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى:

1- ما صدر عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) باعتباره بشراً له تصرفات خاصة.

2- ما صـدر عنه (صـلى الله عليه وسـلم) على وجه الإمامة والقيادة في الحرب والسـلم، والاجتهاد في حصر أحاديث الأحكام التي خرجت على هذا الوجه، وبيان أثر هذا الحصر في تقليل الخلاف.

3- ما صـدر عنه (صـلى الله عليه وسلم) على وجه القضاء أو الإصلاح بين الناس، والاجتهاد في حصر أحاديث الأحكام التي خرجت على هذا الوجه، وبيان أثر هذا الحصر في تقليل الخلاف.

4- ما صـدر عنه (صـلى الله عليه وسـلم) وسبيله التشريع العام، لكنه خرج على غير سبيل العزم والعموم، والاجتهاد في حصر أحاديث الأحكام التي خرجت على هذا الوجه، وبيان أثر هذا الحصر في تقليل الخلاف.

وقـد ذهـب هـذا المنحى من التقسـيم الكثير من العلماء، يتقـدمهم (الإمـام القرافي)، في مصنفه (الفروق)، ومن العلماء المعاصرين الفقيه المقاصدي (أحمد الريسوني)، في مؤلفه (مقاصد المقاصد).

ثانياً: التمييز بين المفاهيم والمصطلحات (الدنيوية) و(الدينية)، وقد ورد في الكتابات الفقهية وتراث وتجـارب المسـلمين، فغـالبية كتب الأصـوليين تتحدث في محتواها عن الأحكام الدينية والأحكام الدنيوية، وعن المصـالح الدنيوية والمصـالح الدينية، وعند النظر في كتاب (الموافقات) للإمام الشـاطبـي، أو كتاب (قواعد الأحكام في مصالح الأنام) للإمام العز بن عبد السلام، أو أي كتاب أصـولي آخر، سنلمس هذا التمييز الأكاديمي تماماً بين مفهومي (الديني) و(الدنيوي)، حتى الإمام (الماوردي)، المعروف عنه مقولاته السـياسـية إلى جانب أنه فقيه أصولي، يذكر هذا التمييز في كتابه (أدب الدنيا والدين)، ويصـنف كتابه هذا ضمن علم الاجتماع السياسي. وقد أشرنا أعلاه كيف أن الفقهاء امتنعوا عن الخوض في الشـؤون السياسية، أو إصدار فتاوى في هذا المجال، فقد تركوا هذا الأمر لأهله.

بعض الخطوط العامة المقترحة لتجسيد هذا الشكل من العلاقة:

يجب على الحزب أن يمارس السـياسـة وفق شـمولية الدين الإسـلامي، الإسـلام دين شامل، وهـذه الشـمولية يجب أن تظهر في كافة ممارسـات الحزب، الدعوة الفردية والعامة، العمل

السـياسي والاجتماعي والاقتصـادي والنقابي والتوعوي والفكري ...إلخ، مع الأخذ بنظر الاعتبار النقاط التالية:

1- يجب أن لا ينسـى أن المجتمع مجتمع مسـلم، ومن الوارد وجود بعض الانحرافات والتقصير، لكنه لم يخرج عن الإسلام. بمعنى آخر: إن الدعوة ليست لأسلمة المجتمع، بل لإعادة المرجعية الإسلامية إلى المجتمع.

2- يجب على الحزب أن لا يعتبر نفسه بديلاً عن الجميع، بل هو تجربة من التجارب، تضاف إلى مكاسب المجتمع الأخرى.

3- في البعد السياسي، يدخل كأي قوة سياسية معترك العمل السياسي والتنافس على تقديم مشروع بديل، ويسعى للوصول إلى السلطة، لكن في الأبعاد الأخرى يطرح نفسه كتجربة مكمّلة للمكتسبات الوطنية.

4- تسيير جميع تلك الأبعاد بتوازن، ودون الإخلال بجزء لصالح جزء آخر، وضمن مؤسسات خاصة، وأشخاص مختصين.

5- يجب أن يعكس السمة الإسلامية من خلال التقيد بمرجعية الإسلام، ويكون ذلك عبر مؤسسات مختصة تسعى للتنظير وتأصيل المصطلحات والمفاهيم.

6- ينبغي أن يكون توزيع المهام والواجبات بشكل يتم فيه إحالة العمل السياسي بالكامل إلى مجلس أو مكتب، أو مؤسسة سياسية مختصة.. وأن يحال العمل الاجتماعي إلى الجمعيات والمجاميع المختصة.. فيما تحال الخطب الدينية والإرشادية والتوعية إلى الدعاة والعلماء.. وكذلك العمل المهني محلّه النقابات والمنظمات المهنية، بينما يمارس العمل الثقافي والفكري عن طريق المراكز المختصة بهذا الشأن.

لكن يتوجب مراعاة النقاط التالية: أ- المرجعية الفكرية للجميع هي الإسلام. ب- المرجعية العامة للعمل هي الحزب، ولكنها تمتلك الحرية من حيث الهيكل المؤسسي والتنظيمي لها.

ج- التكامل في المشروع الإسلامي من حيث اشتراكها جميعاً في إقامة الدين، واختلافها الوظيفي في المسؤوليات. د- ولتحقيق التنسيق والتعاون فيما بينها، يستحسن تنظيم مؤتمرات سنوية لهذا الغرض.

7- أثناء ممارسة العمل السياسي لا يمكن بأي شكل من الأشكال استخدام الرموز والشعارات الدينية، وإقحام الرموز الدينية، المكتسبة للشعبية عن طريق الخطب والمواعظ، في الصراعات السياسية والمنافسات الانتخابية.. وإذا رغب رمز الولوج في هذا المضمار، فعليه ترك وظيفة الدعوة، والتفرغ للسياسة.

8- عدم السماح للرموز الدينية والشخصيات الاجتماعية التحدث باسم الأحزاب السياسية، لأنها ملك للجميع، بعكس الرموز السياسية فهي الممثلة لأحزابها، ويمكنها التزاحم مع مثيلاتها في الشؤون العامة.

الخاتمة:

في الختام، أؤكد على عدة نقاط أراها مطلوبة، وهي:

أولاً: إن أي طرح فكري، أو اقتراح، لا بد من إخضاعه للتحليل، وتقييم نتائجه بشكل علمي وموضوعي، وبدون ذلك لن تظهر جوانبه الإيجابية والسلبية، ولا علامات نجاحه أو فشله، ويبقى ذلك الطرح الفكري – بعد ذلك - مجرد تجربة. ولذا، فلا يمكن الدعوة لأي فكر، دون تحليل وتقييم، على أنه العصا السحرية والمنقذ من الأزمات الفكرية.

ومن هنا أطرح رأيي، وأرى بأنه شكل من الأشكال التي يمكن في ظلها، أن نفهم الإسلام، كدين شمولي متكامل، يربط الدنيا بالآخرة، والجوانب المعنوية بالجوانب المادية، والسياسة بالأخلاق..إلخ.

ثانياً: إنّ التأكيد على الشكل الذي تتزامن فيه وظيفة الدعوة والعمل السياسي في كيان حزبي واحد، لم يعترض طريق التجديد والتنمية الفكرية والانفتاح على الآخر، بل على العكس بإمكانه استيعاب متغيرات العصر، وأن يطور الخطاب السياسي والديني، بالاستفادة من وسائل العصر مع تغيير أساليب التعامل، واستثمار مختلف الكفاءات، وإدامة النضال السياسي والمدني، بالتزامن مع الدعوة، بهدف تعزيز القيم العليا، والمعايير الدينية، وإعادة مرجعية الإسلام إلى المجتمع، من جهة، وترسيخ مبادئ الحقوق المدنية والسياسية المتعلقة بالفرد، وصيانة كرامته، والمحافظة على هويته القومية، من جهة أخرى. وكل ذلك – في الحقيقة- هي أغصان وفروع لشجرة الإسلام.

ثالثا: أؤكد أن المقصود من الدعوة ليس الخطاب الوعظي والإرشادي فقط، بل الدعوة هي تلك العملية التي تقوم بنقل القيم العليا والمعايير الإسلامية إلى المجتمع، وترسيخ أسس المرجعية الإسلامية فيه، وتنشئة الفرد على الالتزام بالقيم الأخلاقية والفضائل التي يدعو إليها الإسلام، وإعادة المعايير الأخلاقية إلى المفاصل العامة، ومنها الممارسة والعلاقات السياسية...إلخ.

رابعاً: هذه الرؤية لعلاقة الدعوي بالسياسي لا تشكل عقبة أمام تشكيل أحزاب سياسية على أسس قومية، أو مشاريع وطنية.. بمعنى آخر: لا يتم التعامل بمنطق الحلال والحرام مع تأسيس الأحزاب، بل إن السلوكيات والمشاريع هي التي تخضع لعملية التحليل والتقييم، وليس الشكل والوسائل فحسب❐

جدلية العلاقة
بين الدين والسياسة..!

سـعـد الزيباري

saadsuhaib@yahoo.com

✍الصـراع بين البُعد الديني والسياسي قد تفَجَّر إبَّان الاجتياح الأمريكي لمنطقةِ الشرق الأوسط، وانبثاق ما يُسمَّى بـ(الحرب على الإرهاب)، تلك الحرب التي عُرِّفت بأنها "كفاحٌ مِنْ أجلِ الحداثة والعَلمانيَّة والتعدديَّة والديمقراطيَّة والتنمية الاقتصاديَّة الحقيقيَّة". والمثير للجدل أنّ هذهِ الحرب الشّامِلة قدِ اقتصرَ على ما يُسمّى بـ"الإرهاب الإسلاميّ" على الرّغم مِنْ أنّ (80%) من هذا الإرهاب، سيختفي – حسب توصيفِ د.عبدالوهاب المسيري – إذا انسحبتِ القوَّاتِ الأجنبيّة من البلدانِ العربيّة والإسلاميّة، وتوقّفت عَنْ دَعْمِ الإرهاب ماديّاً أو معنويّاً، وإن (20%) مما بقيَ مِنْ هذا العنف سيزولُ أيضاً، إذا ما توقّفتِ الأنظمةُ الحاكمة عن ممارسةِ الاستبداد السياسي بحقِّ المعارضة السياسيَّة..! فهذا العنف الذي قد نراهُ هنا أو هناك - بتعبيرِ فهمي هويدي - هو مِنْ إفرازاتِ الظلمِ السياسي أكثر من كونه إفرازاً للإسلام السياسي. وأن هناك قوى دوليَّة وراء تشويهِ صُورة الإسلام، حتى أنه "لم تَعُدْ صورةُ الإسلام في العالَم مرتبطةً بالرحمةِ والعَدْلِ والإحسانِ والمساواةِ والخيرِ والأَمَل، وإنما أصبحتْ مرتبطةً بالرُّعْبِ والخَوْفِ والتفجيرِ والإرهاب".

هذه الحربُ الكاسِحة على الإرهاب قد توسَّلت لتحقيق أهدافها بوسائِلَ مُتعدِّدة، سياسيَّة، ودينيَّة، واقتصاديَّة، ففي المجال السياسيّ دَعَتْ إلى أهميةِ (التحوُّل الديمقراطي) من خلال تغيير الأنظمة غير المرغوب فيها، وفي المجال الديني أكّدت ضرورةَ (تجديد الخطاب الديني) بما يتناسبُ والمتغيّرات المعاصرة، وتحديث الإسلام بما يوافق العَلمانيَّة الغربيّة، والترويج لإسلام حداثيٍّ ليبراليٍّ مُعَلْمَنْ، من خلال تسويقِ خطاب اعتدالي تحت ذريعةِ تجسير الهُوة بين العالم العربي والإسلاميّ والعالم الغربي والأوروبي. أمَّا في المجال الثقافي فقد تمثلَ في (تغييرِ مناهج التعليم) بما يتوافق مع القيم الليبراليَّة على امتدادِ جغرافية العالم العربي والإسلامي. فالولايات المتحدة - التي قادت هذه الحملة الفكريَّة والعسكريَّة - كانت قد خطّطت منذ عقود لتجريد المسلمين من كُلِّ وسائلِ المقاومة والتحدِّي، من خلال ترسانتها الإعلاميَّة الجبَّارة، مما أسقطَ الكثيرَ من النخبِ الفكريَّة والسياسيَّة صرعى تلك التوجهات التي ساقها منظِّرو سياسة العالم الجديد باستراتيجياتٍ علميَّة أكاديميَّة بحتة، حتى إن الكثير من الإسلاميين أنفسهم مِمّنْ كانوا يُمارسون العملَ السياسي بضوابِط إسلاميَّة، قد وقعُوا أُسارى تلك الأفكار الوافدة، حتى إنهم قاموا بتنظير هذه التوجهات الدخيلة فكريَّاً وفلسفيَّاً، دون أن يَشعرُوا أنهم مُوَجَّهون مِنْ قِبَلِ منظومةٍ غير مرئية، ومُنَمَّطون أيديولوجيَّاً، ولكأنهم أدوات يُحَرِّكُها المتلاعبون بالعقول، أو أنهم بيادق شطرنج يَتَلاعَبُ بها المتنفِّذون، فليس لهم البتة دورٌ في هذه اللعبة السياسيَّة الشاملة. ومن هنا، فإن هذا الفصل العنصري المشحُون بالضدية ما هو إلّا استراتيجية غربيّة وافِدة، ولم تكن البتة تعبيراً عن حاجةٍ قوميَّة، أو وطنيَّة، ولا حتَّى سياسيَّة، وهؤلاء الذين نراهُم يتحمَّسُون لهذا الفصام النكد سيتراجعون يوماً ما، ويندمون على تلك الطفولة الفكريَّة التي كانوا يعيشونها تحت غيبة الوعي، وانشطار المعرفة، وفقدان المعنى، على غرار رواد النهضة العَلمانيَّة في مصر، الذين تراجعوا أخيراً، وكتبوا عن تجاربهم الفاشلة، رغم العديد والعديد مِنَ الحملات التي جَرَّدُوها ضِدَّ الدين والسياسة، والفصل بينهما، ورغم امتلاكهم لأدوات السلطة هناك، ولكن تلك التجارِب التي توسَّلت بالعَلمانية قد أثبتت فشلها للعالم أجمع، لأنها أدَّت إلى الاستتباع السياسي، والاستلحاق الحضاري، والركود الاقتصادي، ولم يكن لهؤلاء الرموز الفكريَّة والأدبيَّة من بُدٍّ إلّا العودة إلى دينهم وهُويتهم وتراثهم..!

ولا جرمَ أنّ الدعوة إلى هذا الفصل بين الدعوي والسياسي، أو الديني والزمنيّ أصبحت ظاهرةً طالتِ الكثير من الحركاتِ الإسلاميَّة ذات التوجهات السياسيَّة، فظهرت نخبٌ فكريَّة سياسيَّة تؤكِّدُ ضرورةَ فصل الدعوة عن الحزب، والبُعْدِ عن تسييس الـدّين، وتديين السياسة، كما تؤكِّدُ بإلحاح ضرورة توافر جناحينِ للحزبِ: جناحٌ يعملُ وفق آليات وبرامج سياسيَّة بحتة، لا عَلاقة له بالدعوة، وبالمناسبات الإسلاميَّة، ولا يخاطبُ العاطفة، والمشاعر الدينيَّة، وليس له تماسٌ مباشر مع الجماهير الإسلاميَّة، بحجةِ تخليصِ العمل السياسيِّ من الفكر الذي يعملُ مِنْ أجلِ أسلمةِ المجتمع، وجناحٌ يتوسَّلُ إلى الوسائل الدعويَّة والخيريَّة، ويتوجَّه إلى الجماهيرِ أساساً، ويحتكّ معها من خلال القنوات المرئية والمسموعة والمقروءة، فالاتِّجاه المتحمِّس للأيديولوجيا السياسية يتذرَّعُ

بالقول: إن هذا النوع من العمل السياسي الإسلاميِّ الذي كان مُناسباً للقرن الماضي، لا يُناسب هذا القرن، وأنه: لا سياسة في الدعوة، ولا دعوة في السياسة، لأن السياسة - برأيه - هي "فن ممارسة الممكن"، وفنُّ ممارسة الممكن، يخضعُ لظروفٍ وآلياتٍ قد تتصادمُ مع جوهر الدين..! مع أنّ الأصل هو الجمعُ بينهما، وفي ذلك قال: أحمد الريسوني: "مَنْ تسيّس ولم يتديّن فقد تَعَلْمَنَ، ومَنْ تديّن ولم يتسيّس فقد ترهْبَنَ، ومَنْ جمعَ بينهما فقد تمكّن". وإذا كان الهدفُ هو فصلُ الدعوة عن الحزب السياسي، والإبقاء على القيم العليا للدين فقط، كالحريَّة، والعدالة، وضمان حقوق الإنسان، فإنَّ الدعوة إلى هذه القيم ليستْ من أهداف الإسلام وحدَهُ، فالمسيحيَّة أيضاً، وقبلها اليهوديَّة قد دَعَتا إليها..!

وهكذا يتوسَّلُ هذا الاتِّجاه - في شرعنة هذه التوجهات - باستخدامِ استراتيجيَّات المحاججة والاستدلال، والعبث بالدوال، وهو يدعو لتحقيق هذا الهدف إلى احتذاء تجربة إصلاحيّة نيوليبرالية كالّتي يمثلها "حزب العدالة والتنمية" التركي، ذلك الحزب السياسيِّ الذي تخلّى عن اليافطة الإسلاميَّة، واستخدامِ الشعارات والبرامج الدينيّة، وأصبحَ يقبلُ بالمبادئ العَلمانيَّة بمعناها الأوروبي، ويحولُ دون ربط الدين بالسياسة، وتحكمُه كوادر قياديّة من مشاربَ سياسية متعدِّدة، ليبرالية، ومحافظة، وراديكالية..! ومن هنا فإن تجربة "حزب العدالة والتنمية" على الرّغم من كونها تمثِّل ظاهرةً استثنائيةً في تاريخِ الحركات الإسلاميَّة، إلّا أنّ لها خصوصيَّةً فكريَّة وسياسيّة واضحة، لذا، فلا غَرْوَ أنْ يقع الإسلاميّون على اختلافاتٍ واضِحة في التجربة السياسيّة التركيّة مع غيرها من التجارِب السياسيّة الإسلاميّة إذا عقدوا مقارناتٍ بينهما. وعلى الرّغم من هذه المآخذ التي قد تقدح بمسيرةِ هذه الحركة السياسيَّة الرائدة في هذا المجال، إلّا أنّ لها مواقفَ إسلاميَّة مُشـرّفة كانت - ولا زالت - محلَّ تقديرِ الجميع في داخِل تركيا وخارجها.

إنّ احتذاءَ التجارِب السياسيَّة مع إهدار الخصوصيَّات المحليَّة قد يُعَرِّض العملَ الإسلاميّ لمشكلاتٍ جوهريَّة، نظراً لاختلاف الواقع السياسي الذي تنتمي إليه هذه الحركات، فالاستراتيجيَّات التي تكون صالحةً لـ"حزب العدالة والتنمية"، قد تكون غير مجدية للحزب الإسلامي العراقي، مثلاً، لأن لكُلِّ حيِّزٍ جغرافي خصوصيتَه السياسيَّة المستقلة، حتى ولو كان في نطاق دولةٍ واحدة، فكيف مع اختلاف الدول وتفارق البيئات..! إذاً، يا ترى ما هي السبل الكفيلة لاحتذاء تجربة العدالة والتنمية؟! ألا ينبغي أن نراعي الفوارق الموجودة بين النسق التركي والنسق العربي أو الكردي؟! ألا نلحظ أن الرموز السياسيَّة لحزب العدالة والتنمية هم مِنَ المهندسين والمهنيين ورجال الأعمال، وأن المؤهلات العلميَّة عندهم هي أسبق مِنَ المراتب الحزبيَّة؟! ترى أين نحنُ مِنَ هذه الشـروط الموضوعيَّة؟! وإذا كانت السياسة مطلُوبة للإنسان في الدعوة الفردية، فهي أكثر طلباً للدعوة الجماعيَّة؟! أليست الدعوة أيضاً بحاجةٍ إلى تنظيراتٍ سياسيَّة، حتى تؤتي أكلها؟! ومَنْ قال إن الدعوة محصورةٌ في الخطاب الوعظي؟! ومتى أصبحت السياسة حكراً على فئةٍ دون غيرها؟! ومن أعطى هذه الجهة دون الأخرى تفويضاً لتمثيل السياسة؟! وهل غابَ عنّا أنّ السياسةَ هي فنُّ

الممكن، وهي ليست قواعِد نحويَّة تُحْفَظ، ولا إجراءات هندسيَّة تُطبَّق، وليست حكراً على أحد..! وهل هناك غرابة البتة في أن يمارس الدعاة السياسة، أو ينهض السياسيون بالعمل الدعوي؟! وربما هناك إجاباتٌ غير موضوعيَّة عن مثلِ هذه التساؤلات الجوهريّة، إلا أنها ستكون مُنطلقاتٍ لعملٍ سياسيّ جديد على الساحة السياسيَّة، وبموازاة هذا التيار السياسيِّ الخالِص، هناك تيارٌ ثالث يدعو إلى أن يكون لهذا الحزب السياسي تيارٌ اجتماعي جماهيريٌّ يدعمُ المشروع السياسي للحزب ويؤيِّده، دون أن يكون جزءاً فيه، مثلما نجدُ في تركيا جماعة (فتح الله كولن) وهي حركة دعويّة خالِصة - على الرّغم من الملاحظاتِ الّتي سُجّلت عليها -، كانت تؤيِّدُ - في أوقاتٍ سابقة - حزبَ (العدالة والتنمية) ذا التوجُّه السياسي الخالص، وهذه القوَّة الدعوية كانت تضاهي جماهيريَّاً - قبل الفصام السياسي والعزل الاجتماعيّ - حزبَ العدالة والتنمية، ومثّلتْ قوَّةً دينيَّةً، واجتماعيَّة، واقتصاديَّة كبيرة فرضتْ نفسَها وبقوَّة على المجتمع التركي، إلاّ أنّها دفعتِ الثمنَ غالياً بعدَ اتِّهامِها بالتواطؤ مع قادةِ الانقلابِ الفاشِل في تركيا. وبالرّغم من وجاهةِ هذا الطرح منطقيَّاً، إلا أنه عمليَّاً قد يكون من المستحيلات، إذ كيف السبيل إلى بناء قوَّة دينيَّة واجتماعيَّة على غِرار قوَّة (فتح الله كولن)، ذلك الرّجل الذي وقفَ خلفَهُ جيشٌ من حُفّاظِ القرآن، والأكاديميين، ورجالاتِ الأعمال من أصحابِ الملايين، فضلاً عن توافره على العديدِ مِنَ المدارس والكليَّات والمؤسسات الخيريَّة والخدميَّة، فكانت حركته - في يومٍ من الأيّام - دولةً داخِل دولة..! في حين أن الحزب عندنا لا يكاد يسدُّ رمقه، نظراً لشحةِ موارده الاقتصاديَّة، وضآلة استثماراته الماليَّة..! فكيف السبيلُ إذاً، إلى منافسة هذه القوَّة المترامية الأطراف؟! وما هي وجوه الشبه بيننا وبينها حتى نقوم بعقد مثل هذه المقارنات؟!

ومن النظريّات المطروحة في هذا المجال "نظريّة التمييز لا الفصل" الّتي طرحَها الدكتور سعدالدين العثماني - القيادي البارز في حزب العدالة والتنمية المغربي -، في كتابه "الدين والسياسة تمييز لا فصل". وتؤكِّدُ هذهِ النظريّة "أنّ العَلاقةَ بينَ الدّين والسياسة ليستْ عَلاقة فَصْل، لأنّ الدّينَ حاضِرٌ في السّياسةِ - بشكلٍ مِنَ الأشكال - في جميعِ الثقافاتِ والحضاراتِ والمجتمعات، بما فيها المجتمعات الغربيّة اليوم، ولكنّها في الوقتِ نفسِه ليستْ علاقة وَصْل تام، لأنّ الفعلَ السياسيَّ هو دنيويٌّ في الإسلامِ بامتياز، فهو بشـريّ اجتهاديّ تقديري، بالرّغمِ مِنْ كونِه مِنْ حيثُ العمُوم يخضعُ لمبادئ الدّين وأحكامِه". وهذهِ النظريّة "قد تمّ تطبيقُها فعلاً في المغرب، حيثُ التّمييز بين العملِ الدعويّ والعملِ السياسيّ. فـ"حركةُ التوحيد والإصلاح" هي حركةٌ للدّعوةِ والتربية وغيرِها مِنَ الأعمالِ النضاليّة والمجتمعيّة، غير أنّها لا تمارِسُ العملَ السياسيَّ، وتسند الأمر إلى هيئةٍ مُختلِفة هي "حزب العدالة والتنمية"، ذات استقلاليّة تامّة عنِ الحركة، ولكُلٍّ واحدةٍ مِنَ الهيئتَيْنِ مسؤولُوها وبرامِجُها ومؤسّساتُها المستقلّة عنِ المؤسّساتِ الأُخرى". والدّين - حسب هذهِ الرؤية - هو ما كان مطلُوباً (لمصالِح الآخرة)، أي ما هُو مُطلَق مِنْ تعاليمَ وأحكامٍ في الدّين، بينما أحكامُ السّياسةِ تدخلُ ضمنَ ما هُو مطلُوب (لمصالِح الدُّنيا)، فهي ليستْ ديناً بالمعنى الأوّل، أي ليستْ وحياً ولا أحكاماً مُطلقة، لكنّها دينٌ بالمعنى الثاني، أي خاضِعةٌ لرؤيةِ الدّينِ العامّة للإنسانِ وللمجتمع، ومُلتزمة

بمبادئه وأخلاقهِ وإطارِه العام". ولا جرمَ أنّ "هذا الفهمَ، وإنْ كان يثيرُ الخِلافَ داخِل الحقلِ الإسلاميّ، فإنّهُ يؤسِّسُ إلى فهمٍ مرِن، يستوعِب العَلاقة الحركيّة والمتجدِّدة بينَ الدّين والسّياسة، ويؤدِّي إلى الوعي بالتمايُز بينهما، دون أنْ يتطوّر ذلِكَ إلى تنابُذ وتنافُر. ويُمكن أنْ يَنتُجَ عن هذا النّمطِ مِنَ العَلاقةِ – الّتي قد تختلِفُ مِنْ مُجتمعٍ مُسلِم لآخر - إعادة تأسيس العَلاقةِ بينَ الدعويّ والسياسيّ داخِل الحركةِ الإسلاميّة، بما يزيدُ مِنْ عطائِها الفكريّ والحضاريّ، وكسبها السياسيّ والاجتماعيّ، ثراءً وتجذراً". فهذه الرؤية السياسيّة قد حدّدتِ العَلاقة بين الدينيّ والسياسيّ، فالدينُ – بحسبِ هذا الاتّجاه – إنّما ينهضُ بتوجيهِ العمل السياسي توجيهاً مقاصديّاً، ويسهمُ في ضبط أدائِه العملي بما يتوافق مع روح الشريعة، ومن هنا فإنّ الدّينَ – عندَ أصحاب هذه النظريّة – يمثِّل منظومةً مِنَ "المبادئ المُوجّهة، ويُجسِّدُ روحاً دافقة دافعة.. أمّا الممارسة السياسية فهي مستقلّة عن أيِّ سلطة تحكمُ باسم الدين أو السلطة الدينية، فليس من حقِّ الدولة إذاً – وَفْقاً لهذا المنظُور – فرض النظام الدينيّ على المجتمع بالقوّة".

وهناك توجُّهٌ آخر يؤكِّدُ ضرورةَ الإبقاء على ترابُط الحزب والدعوة في المجال السياسيّ، دون تطرفٍ أُحاديٍّ الجانِب، لأن السياسة - عنده - هي بمثابة الرئة التي لا تتنفّسُ بوحدها، فالحزب جسمٌ والدعوة روحها، وعليه فالدعوة ينبغي أن تسيرَ جنباً إلى جنب مع الحزب السياسي؛ لأن الدعوة هي بمثابة البوصلة التي تُوجِّه الأداء السياسي، وتعمل على ضبط السياسيين، لذا فهما يسيران كخطين متوازيين، ويمثلان عنصرين يُتمِّم أحدهما الآخر، وبينهما تواصل وتواشج وتزاوج، ولا يوجد هناك مجال للتفاصل والتنافر والتنابذ. فما الغريب إذاً، أن يكون السياسي داعياً والداعي سياسياً؟! فالدعاة على مرِّ التاريخ كانوا سياسيين والعكسُ صحيح، ومن هنا فنحن نريد سياسيين متدينين يُمارسون العمل السياسي وَفْق أُسسٍ إسلاميَّة أصيلة، وفي حدود أوامر الله ونواهيه، لأنه ليس هناك في ديننا وجود للنظام الكنسي والكهنوتي، وليس هناك رجال للدين ورجال للسياسة، ولا نقول: "ما لله لله وما لقيصر لقيصر"، وإنما كلّنا لله جلّ وعلا، قال تعالى: [أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْر](الأعراف: 54)، ومن هذا المنطلق فإنّ العملَ على تدشين عملية التفاصُل هذه بين الحزب والدعوة في الحياة السياسيَّة الراهنة، إنما هو من ثمار العَلمانيَّة الغربيَّة، التي تُجرِّد حملتها لتنحية الدين عن السياسة، حتى ينفردَ العَلمانيُّون بتسيير شؤون الحياة، ومِنْ ثَمَّ مُحاصرة الدعاة بين جُدران المساجد والجوامِع. فإذا ما قُمنا بتدشين عملية التفاصُل بين السياسي والدعوي فهذا يعني أن هناك استراتيجياتٍ مرحليةً أُخرى ستلحق مثل هذه الخطابات..! ومن هنا كان على الحركات السياسيَّة الإسلاميَّة "مراعاة الجانب الرُّوحيِّ والدعوي في الممارسة الإسلاميَّة، والحؤول دون طغيان الجانب التَّسْيِيسـي على الجانب التَّأْنِيسـيّ الذي يحكمُ الظَّاهرة الدينية عموماً".

وفي الوقتِ الذي نجدُ فيه - هُنا وهناك - العديدَ من التوجهات التي تدعو إلى ضرورة التفاصل بين الدين والسياسة، أو بكلمة أدق الدعوة والحزب، نجد في معظم الدول الأوروبية - وإلى حدٍّ الآن - أحزاب "مسيحيَّة – ديمقراطيَّة" تستوحي الكثير من أفكارها وتوجهاتها من الدين

المسيحي، "وتسعى إلى تطبيق المبادئ المسيحيَّة في السياسة العامَّة، وقد ظهرتْ في أوروبا في القرن التاسع عشر، تحت تأثير التعاليم الاجتماعيَّة الكاثوليكيَّة، وأنها لا تزالُ مؤثرةً في أوروبا وأمريكا اللاتينية"، وهذه "الأحزاب المسيحيَّة في أوروبا الغربيَّة - وبدرجة أقلّ في أميركا اللاتينيَّة - تمثل أنموذجاً واضِحاً للحزب المعتدل دينياً، والملتزم بقواعد اللعبة الديمقراطية". ونظرة عابرة إلى مبادئ هذه الأحزاب تكشفُ لنا بوضوح أثر الفكر المسيحي في أدائها السياسي، فالحزب الديمقراطي المسيحي الألماني، المشارك في الائتلاف الحاكم، وترأسه السيدة (أنجيلا ميركل)، يُعَرِّف نفسه بأنه حزبٌ "يملكُ مفهوماً سياسياً قائماً على الديانة، والقيم المسيحيَّة، وعلى مسؤولية الفرد أمام الله"، أمَّا الحزب الديمقراطي المسيحي الفرنسي، فهو كذلك يؤمن بالقيم المسيحيَّة، ويعارضُ الشذوذ الجنسي، والقتل الرحيم، والإجهاض، في حين أن الحزب الديمقراطي المسيحي الأسترالي، هو الآخر يؤمن بالحريَّة في التصويت على القوانين، ولكن في إطار توجيهات الله، ويسعى لدعم القيم المسيحيَّة وتعزيزها، ومُوالاة الأسرة، والطفل، كما يسعى إلى ضمانِ أنْ تكون جميع التشـريعات متّفقة مع الكتاب المقدّس، وهناك الحزب الديمقراطي المسيحي الإيطالي الذي توسَّل بالمبادئ المسيحيَّة، حتى أنه حكم إيطاليا لما يقرب من نصف قرن. والسؤال الذي ينهضُ هنا ترى: أليست هذه الأحزاب - على امتداد الفضاء الأوروبي - هي أحزابٌ "دينيَّة"، أو هي على الأقل ذاتُ "مرجعيَّةٍ دينيَّة". فإلى متى النظرُ بعينِ الريبة والشك إلى الأحزاب الإسلاميَّة، والنظرُ بعين الرضا والاحترام إلى الأحزاب المسيحيَّة..؟!

وبالرّغم من كُلِّ ما قيل ويُقال عن هذه الظاهرة، فهي جديرة برصدها ومتابعتها، ومعرفة محرِّكاتها، وأسبابها ودواعيها، وأهم العناصر التي تقف وراءها، فهي قبل كُلَّ شيء تعبيرٌ عن ذلك التغيير الذي طرأ اليوم على النِشَاط السياسي الإسلامي، بعد ذلك الحِراك الذي تفجَّر في عُمْقِ ذلك الكمُون السياسيّ، فكان بحق لحظة ميلاد قاسية تمخّضت في واقعنا المعاش، فضلاً عن كونه تقليداً للتيارات الإسلاميَّة التي تحوَّلت إلى أحزاب سياسيَّة وطنيَّة أو تنمويَّة. ولكأني بهذه التوجهات، وقد أصبح التاريخ يُعيد نفسه، حيث لم تتغيَّر إلا الأسماء والمسمّيات، فبينما كان الشيوعيون والليبراليُّون يُطلقون في حقبةِ الستينيَّات والسبعينيَّات وما بعدها مِنَ القرن الماضي، مقولة (فصل الدين عن السياسة)، ودعوات فصل (الدين عن الدولة) كما عوّدتنا الاسطوانات العَلمانية المشـروخة لاحقاً، فإننا نسمعُ هذه المقولة نفسَها ولكن من أفواهِ الإسلاميين أنفسِهم.. فهذه المقولة الجاهزة تعبِّر اليوم عن نفسها وبقوَّة، ولكنها اليوم - كما نرى - تأتي من لدن الأحزاب الإسلاميّة، بعدما كانت سلعة يساريَّة - ماركسيَّة بامتياز، ومن هنا فإنّ هذه التوجهات ليست من بناتِ أفكار اليوم، وإنما هي مطارحاتٌ تفتَّقت عن سياقاتٍ ومناخاتٍ فكريَّة وسياسيَّة سبقت لحظتنا التاريخيَّة! ولذا من حقنا أن نقول: إن هذا التوجه الذي نراهُ اليومَ في بعضِ الأدبيات - هنا أو هناك – إنما هو تعبيرٌ عن رؤية جديدة في المجال السياسي الإسلاميّ.

ولا بُدَّ لنا في هذا السّياق "من التمييز بين المنظور السياسي والنظام السياسي كمصطلحاتٍ فلسفيّة فكريّة لا تنتمي إلى قاموس المصطلحات الشـرعيّة، وهذا يوجب علينا أن نبحث عن مفهومها بين المفكرين السياسيين وليس بين الفقهاء، قبل أن نعطي حكمنا الشرعي فيها حتى لا يقعَ الخلل بين الحكم والتصوّر، فغايتنا محاكمة المفاهيم وليس المسمّيات، فالمنظور السياسي هو شبكةٌ من القيم السياسية الهادية والمقاصد الراشدة والغايات التي تحدِّد الرؤية السياسية في الإسلام". وما نلحظهُ من استقراءِ نصُوص التشريع الإسلامي هو: "إجمال المتغير وتفصيل الثابت! فما كان متغيّراً بتغيّر الزمان والمكان جاء بالشريعة مُجْمَلاً، كالشأنِ السياسي، مثلاً، أمّا ما كان ثابتاً فجاء مُفَصَّلاً منتهى التفصيل؛ مثل: الصلاة والزكاة، وقضايا الزواج والطلاق ومسائل الميراث، فإنها مواضيع منصوص عليها ومُفَصّلة غاية التفصيل، ومبيّنة غاية البيان، وهذا من عظمة الشريعة، وصلاحِها لكُلِّ زمانٍ ومكان، واستيعابها للثوابت والمتغيّرات".

ونظرة دقيقة في نصُوص الوحي – القرآن والسنة – تطلعنا على منظومةِ القيم السياسية الهادية؛ كالشورى والعدل وأداء الأمانة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا تتناولُ وسائلَ تطبيقيّة جاهزة، ولا أدوات تنفيذية مُحدّدة، من قبيل كيفيّة اختيار الحاكم، وما هي مدة ولايته؟ ومَنْ يختارُه، وكيف نحاسِبَ تصـرفاته؟ وكيف نفصلُ بين السلطات؟ وكيف ننظم عمل المعارضة السياسية؟ وآلياتِ الأمر بالمعروف السياسي والنهي عن المنكر السياسي؟ من هنا نخلص إلى قضية وهي: أنه لا يوجد جدول عمل محدّد للنظام السياسي الإسلاميّ بالمعنى الفلسفي للنظام، بينما هناك منظور وتصوّر سياسي، وقيم سياسية هادية وضابطة للفعل السياسي الإنساني، وهذه القيم السياسيّة عندما تتحوّل إلى نظام مؤسساتي، فإنّها تتحوّل إلى نظامٍ سياسي". ومن هُنا فإنّ "مأسسةَ القيم السياسية التي جاء بها الإسلام هو جهد بشريّ محض موكُولٌ لاجتهاد البشر بحسب ظروف الزمان والمكان، ولا يجوز أن نقدِّس الوسائل - بشكلٍ من الأشكال - بسبب قِدمها، أو بسبب انتمائها للسلف. فلو كان السلف في عصـرنا لغيّروا الكثيرَ منها تحت ضغطِ الواقِع وحاجاتهِ المتجدِّدة، لذا، فإن شرعيّة أيّ وسيلة وآلية ومؤسسة تكمُن في قدرتها على تحقيق المقاصد والغايات التي جاءت بها الشريعةُ الإسلاميّة".

ومن هُنا فإن "اختزالَ الإسلامِ في السياسة فقط - حسب توصيف د.محمد عمارة - والاهتمام بالدولة وامتلاكها، والثورة، والقفزِ على الحكم، هو خطيئة فكريَّة، لأن السياسةَ عند أهلِ السنة الذين يمثلون (90%) من الأُمَّة الإسلاميَّة، هي مِنَ الفروع، وليستْ من أُمّاتِ العقائد، والحركةُ الإصلاحيَّة - كظاهرة - كانت تُركِّز على إعادةِ صياغةِ النفس الإنسانيَّة بالإسلام كمنهجِ الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي بدأ به في مكّة، لأنه عندما يُعَاد صياغة الإنسان بالأصول الإسلاميَّة، تأتي الفروع، وتأتي السياسة، وغيرها، فأولويَّة الأصُول لا بُدَّ أن تَسْبِقَ الفرُوع، وأولويَّة الأُمَّة لا بُدَّ أن تَسْبِقَ الدولة، وهذا واضِحٌ في فكرِ الحركةِ الإصلاحيَّة وضُوحاً شديداً".❐

خصائص دعوة الأنبياء

قاسم جميل نوفيسي

إن الله الذي أرسل الرسل والأنبياء هو الذي حدد وظائفهم، ومن ضمن وظائفهم الدعوة إلى الله، وتبيين ما أنزل الله عليهم للناس.

وقد بيّن الله تعالى الهدف من إرسال الرسل، وإنزال الكتب، في (سورة الحديد) بياناً واضحاً، حيث يقول الله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} ﴿الحديد: ٢٥﴾، لقد حدّد الله تعالى في هذه الآية الهدف من إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وهو أن يقوم الناس بالقسط. ولم يقل الله تعالى: ليقوم الرسل، أو الأنبياء، أو المؤمنون، بل قال: ليقوم الناس، ومعلوم أن لفظ الناس يشمل الجميع، فهذا يدل على أن من ضمن وظيفة الرسل والأنبياء: تبيين ما أنزله الله عليهم للناس جميعاً بلا استثناء، ولا بد على المؤمنين - الذين يقومون بدعوة الأنبياء والرسل - أن يعملوا مثلما عمل الأنبياء والرسل، وأن يدعموا كل من يحاول أن يقيم العدل، ويتعاونوا معه.

وهناك آيات عديدة في القرآن الكريم بهذا المعنى والمفهوم، منها الآيات الآتية:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} ﴿المائدة: ٢﴾..

لقد نهى الله تعالى النبي والمؤمنين أن يعتدوا، حتى على الذين منعوهم عن المسجد الحرام، وأمرهم بالتعاون على البر والتقوى، ومنعهم عن التعاون على الإثم والعدوان. ولقد أمر الله تعالى في هذه الآية بالتعاون على البر والتقوى، ولم يقيده بالمؤمنين وغير المؤمنين، فلا بد على

المؤمنين أن يتعاونوا مع كل من يدعو إلى البر والتقوى، وكذلك لا بد على المؤمنين أن لا يتعاونوا على الإثم والعدوان، مهما يكن الأمر، كما قال تعالى: {إِنَّ اللّـهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}﴿النحل: ٩٠﴾ وكذلك قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّـهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللّـهَ إِنَّ اللّـهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} ﴿المائدة: ٨﴾..

لقد منع الله تعالى النبـــي والمؤمنين أن يجعلوا العداوة مع الآخرين سبباً لمنع إقامة العدل، فلا بد عليهم أن يقيموا العدل، وإن كان مع أعدائهم. وكذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّـهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّـهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللّـهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}﴿النساء: ١٣٥﴾..

هذه هي دعوة الأنبياء: أن تقول الحق، وإن يكن في ضررك، وضرر أقرب المقربين إليك، سواء كان غنيا أو فقيرا.. فلننظر أين نحن من هذه الآية الكريمة، ولينظر الذين يدّعون أنهم دعاة إلى الله، أين هم منها؟!

ولقد بيّن الله تعالى لنبيّه كيفية الدعوة في هذه الآية الكريمة:

{فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللّـهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللّـهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللّـهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}﴿الشورى: ١٥﴾.. لقد أمر الله تعالى نبيّه في هذه الآية أن يستقيم كما أمره، وأن لا يتبع أهواء الناس، وأن يعدل بينهم بغضّ النظر عن أعمالهم.

وقال الله تعالى: {شَهِدَ اللّـهُ أَنَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}﴿آل عمران: ١٨﴾، وقال تعالى: {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ، فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّـهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}﴿المائدة: ٤٢﴾. مع إن الله سبحانه يثبت في بداية هذه الآية أن هؤلاء هم سماعون للكذب، وأكالون للسحت، ولكنه لم يقل لنبيه: فإن جاءوك فقل لهم إنكم كذابون، لا تقبلون الحقيقة، وأنتم أكّالون للسحت، لا تقبلون العدالة. بل أمر الله تعالى نبيه أن يقوم بمسؤوليته، ويحكم بينهم بالقسط، ثم أكّد الله تعالى إنه يحب المقسطين.

وقال الله تعالى: {وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}﴿هود: ٨٥﴾. هذه الآية مثل كثير من آيات أخرى تبيّن كيفية التعامل بين الناس في حياتهم اليومية، فلا يمكن فصلها عن الحياة اليومية للعباد.

وقال الله تعالى: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّـهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ}﴿هود: ٦١﴾، هذه الآية تبيّن جزءاً من وظيفة العباد على هذه الأرض، ألا وهو عمارتها.

وإذا كان القرآن قد ركز على قضية الشرك كثيراً، فإنه وصف الشرك بالظلم العظيم، كما قال الله تعالى في (سورة لقمان): {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}﴿لقمان: ١٣﴾.

خلاصة الكلام: إن القرآن الكريم قد ركّز على ثلاثة أهداف:

1- إقامة العدل.

2- إصلاح المجتمع.

3- عمارة الأرض.

فلا شك أن هذه الأشياء هي جزء من الحياة اليومية للإنسان، ولا يمكن فصلها عن حياة الناس، ويمكن للمؤمنين أن يتعاونوا في هذه القضايا مع غير المؤمنين أيضاً، وهي كلها عملية، وليست بمجرد أقوال.

بناء على هذه الآيات القرآنية، فإن دعوة الأنبياء التي أمر الله تعالى الأنبياء والرسل أن يقوموا بها، لا يمكن فصلها عن الحياة اليومية للعباد، سواء كانوا حكاماً أو محكومين. ولكن لا يحق لأحد - مهما يكن - أن يستغل دعوة الأنبياء للوصول إلى الحكم، أو الحصول على منصب، فيعيش عيشة الملوك، ويدعي أنه يقوم بدعوة الأنبياء، فهذا الشيء مرفوض في النظام الذي أنزل الله تعالى لعباده.

المؤمنون بالنظام الذي اختاره الله تعالى لعباده، والذين يقومون بالدعوة إلى الله، هم الذين يضحون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ليدافعوا عن إقامة العدل، وهم الذين يسلكون مسلك الأنبياء، فلا يطلبون أجرهم من غير الله رب العالمين، كما أمر الله الأنبياء أن لا يطلبوا الأجر من غير الله، فإذا أراد شخص منصباً من مناصب الحكومة، أو الوصول إلى الحكم، فلا يحق له أن يستخدم الدعوة إلى الله للحصول على ما يطلبه.. وكذلك إذا أرادت جماعة الوصول إلى السلطة، فلا يحق لها أن تستخدم الدعوة إلى الله، أو الشعائر الدينية، بادعاء أنها ستقيم العدالة بعدما تصل إلى الحكم، وليس ببعيد أن يكون ادعاؤها مثل ادعاء الآخرين، مجرد جعجعة بلا طحين، وأقوال بلا أفعال، كما تبينت هذه الحقيقة في كثير من الأماكن والدول. ولكن باستطاعتهم، إذا أرادوا أن يثبتوا دعوتهم إلى الله بأعمالهم، فلا يحتاجون أن يرفعوا أصواتهم في كل مكان وزمان. وقديماً قيل: إن الأقوال تؤثر أكثر من الأفعال. ويقول الله تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}﴿التوبة: ١٠٥﴾، فليدعوا إلى الله بأعمالهم قبل أقوالهم.. ولكن إذا أراد أحد أن يقوم بدعوة الأنبياء، فليعش عيشتهم، وليقم بدعوتهم، وليرفع صوته في كل مكان وزمان مناسبين، ولا يطلب السلطة أو المنصب. أما أن يعيش عيشة الملوك، ويصرف جهوداً جبارة في الحصول على منصب من

المناصب، أو الوصول إلى الحكم، ثم يدّعي إنه يقوم بدعوة الأنبياء، فهذا مرفوض في النظام الذي اختاره الله تعالى لعباده!..

والآن نريد أن نطرح هذه الأسئلة: هل كان الناس في زمن النبي (صلى الله عليه وسلم) يسألونه عن الأعمال، أم كانوا يسألونه عن العبادات؟ وهل القرآن يشجع على الأقوال، أم يشجع على الأعمال؟ وهل ورد في القرآن الكريم لفظ العبادات أم الأعمال؟ وهل يوجد في القرآن ما يثبت أن العبد سيدخل الجنة بعباداته، أم بأعماله وما كسب؟

إن الدعاة الذين يخوضون في المسائل التاريخية التي عفى عليها الزمن، والمسائل الكلامية والعقائدية البعيدة عن الحياة اليومية للناس، بحيث لو حذفت تلك المسائل لما تأثرت حياتهم بحذفها، ولمشت أمورهم وكأن شيئاً لم يحدث، مع هذا يزعمون أنها مسائل دعوية، فيخوضون فيها في كل مكان وزمان، بادعاء أنهم يدعون إلى الله، وفي الحقيقة نستطيع أن نقول إن هذه المسائل لا علاقة لها بالدعوة إلى الله، وليست من ضمن وظيفة الأنبياء والرسل، فكيف يمكن أن يسموها دعوة إلى الله، أو يحسبوها من ضمن وظائف الأنبياء والرسل.

عدم التدخل فيما ليس له به علم:

لا بد على الداعي إلى الله أن لا يتدخل فيما ليس له به علم، وما ليس من تخصصه، كما تشير إلى هذا المعنى رواية تأبير النخل: فعَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: "مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ، فَقَالَ: (مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟)، فَقَالُوا: يُلَقِّحُونَهُ، يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الْأُنْثَى فَيَلْقَحُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا). قَالَ فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَ: (إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ، فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا، فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ، فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ).

عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: "قَدِمَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يَأْبُرُونَ النَّخْلَ، يَقُولُونَ يُلَقِّحُونَ النَّخْلَ، فَقَالَ: (مَا تَصْنَعُونَ ؟)، قَالُوا: كُنَّا نَصْنَعُهُ، قَالَ: (لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا)، فَتَرَكُوهُ، فَنَفَضَتْ أَوْ فَنَقَصَتْ، قَالَ: فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيِي، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ).

ولفظ الرواية المشتهر بين الناس، جاء معناه في آخر الحديث السابق، وهو قوله: (أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ)، أو: (إِذَا كَانَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ بِهِ، فَإِذَا كَانَ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ فَإِلَيَّ).

إن ألفاظ الرواية تبيّن أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أظهر رأياً في غير تخصصه (أيْ: تبليغ ما أنزل الله عليه، وتبيينه)، ثم تبيّن له أن ما أبداه لم يكن صواباً، فبيّن لهم أنه بشر مثل بقية البشر، يمكن أن يصيب ويخطأ في الأمور الدنيوية، ولكن لا يمكن أن يكذب على الله، وشرح لهم

أنـه ليس بصـــاحـب زرع ولا نخـل، وأمرهم أن يلقحوا، وقـال لهم: أنتم أعلم بأمر دنياكم، وقد أمرهم النبـي أن يستمروا في عملهم في التأبير.

ولقد بيّن الله تعالى في كتابه أن النبـــــي لا يقدر أن يكذب على الله، كما بيّن في هذه الآيات: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُـولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّـا تَـذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿ ٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿ ٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ}﴿الحاقة: ٤٨﴾.. لقد بيّن الله تعالى في هذه الآيات أن النبـــــي لو تقوّل على الله، لأخذه بشدة، ثم لقتله، ولا يقدر أحد أن يدافع عنه.

ومجمل القول: إن هذه الرواية تبيّن لنا إنه لا بد على الدعاة المؤمنين أن لا يتدخلوا فيما ليس لهم به علم، أو ليس من اختصاصهم.

اختصاص المكان:

كانت الحياة في زمن النبـــي صلى الله عليه وسلم، في المدينة المنورة، بسيطة، وكانت المشاكل تحل بسـهولـــــة، وكان المسـجد يحسـب كمجمّع الدوائر الحكومية، وكان يقوم بدور المحكمة والجـامعـة والمـدرســـة وبقيـة الـدوائر. ولكن في الحال الحاضر هناك في كل بلد وزارات ودوائر عديدة، وكل وزارة أو دائرة لها اختصـاصـها، فلا يمكن بأي شـكل من الأشـكال أن يقوم المسـجد بتلك الأعمال والوظائف كلها، ولا بد أن تترك لكل دائرة لما تختص به، وعدم التدخل في شـــأنها. على سبيل المثال: وزارة الدفاع، فإن وظيفتها، في جميع الدول التي تحترم القوانين والدساتير، هي الـدفـاع عن الـدولـة، وحـدودها، وليس لها حق التدخل في غير ذلك. وليس بمخفيّ على أحد إنه عندما تكون الدولة مؤسـسـاتية، يكون الفصـل بين هذه الأشـياء طبيعياً، وتكون كل مؤسـسـة مشـغولة بعملها، وكل مسـؤول مشـغول بمسـؤوليته. وعندما تكون الدولة سـلطوية واستبدادية، تختلط هـذه الأمور بعضـــهـا ببعض، وعنـدمـا تختلط الأمور، ويلبس الحق بـالباطل، يكون من الصعب التمييز بينها.. والوضع في الدول الإسلامية أكبر دليل على هذا!!

خلاصة الكلام:

إن المشـكلة الحقيقية لن تنحل بفصـل الدعوة عن السـياسـة، بل المشكلة الحقيقية هي في كيفية الدعوة!!

فإن الخوض في المسائل الفلسفية والكلامية والمنطقية والجدلية، وشرح أقوال العلماء، والدفاع عن آرائهم، وتمجيـدهم، وتـأويل الروايات، والأحاديث، والخوض في الجرح والتعديل، والتعمق في العقائد، التي ما أنزل الله تعالى بها من سـلطان، ولكنها ذكرت في كتب العقائد المسماة بالإسلامية على أساس أنها من الدعوة إلى الله، أو من المسائل الدعوية، فلن نحصل منها أكثر مما حصل عليه من سبقنا، سواء فصلناها عن السياسة، أو دمجناها فيها..

إذاً، فلا بد على المؤمنين (لا أريد أن أستعمل مصطلح الإسلاميين) أن يراجعوا أنفسهم، ويبدأوا بالأشياء العملية، ولا يصرفوا أوقاتهم في الأشياء النظرية والجدلية، سواء كان اسمها السياسة أو الدعوة.

هناك أمر مهم، وهو أن القرآن لم يذكر أحداً بالاسم ويصفه بالظلم أو بالكفر أو بالفسق، ولكن ذكر أوصاف الظالمين والفاسقين والكافرين. فلماذا عندما يختلف بعضنا مع بعض يستدل كل واحد منا بآيات قرآنية، وكأنها نازلة من جديد في حق مخالفيه، ولا نكتفي بالآيات، بل نستدل بأحاديث نبوية أيضاً!! ألا ترون أننا بهذا الشكل نقوم بدور الخصم والحكم في آن واحد؟ أليس هذا أمراً عجيباً؟! وفي الحقيقة فإن بعضاً منا لا يكتفون بهذا، بل يحكمون على أناس آخرين، مخالفين لهم، بنار جهنم، وعذابها، ناسين أو متناسين أنهم بعملهم هذا يتدخلون في أمر الله، ويرسلون الناس إلى جهنم، قبل أن يحاسبهم الله ويحاكمهم . .

والخلاصة، إن النظام الذي أنزله الله تعالى لعباده نظام مبني على أسس مستقلة، وله أهداف سامية. ومن أهم أهدافه الأساسية: إقامة العدل في المجتمع، وعمارة الأرض، وإصلاح المجتمع، ولا يمكن فصل هذه الأهداف والمواضيع عن الحياة اليومية للإنسان، بأي شكل من الأشكال.

ولكن - مع الأسف - هناك مصطلحات ما أنزل الله بها من سلطان، وليس لها أساس في دين الله، ولكن بعض الناس اتخذها أساساً لمناهجهم الدعوية، ويدافعون عنها بكل جهودهم في المساجد والمدارس، وكأنها نصوص قرآنية لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

ولأجل هذا لا بد أن نفرق ونميز الأوامر الإلهية، وهي كلها عملية، وتحضّ على إقامة العدل، وتخدم البشرية، وبين المصطلحات المصنوعة من طرف المذاهب والطوائف والجماعات، التي ليس لها أساس في دين الله..

فعلى سبيل المثال، وليس الحصر، هناك في عصرنا الحاضر مصطلح (الإسلام هو الحل)، الذي انتشر بشكل واسع بين الناس، مع أننا لا نجد لهذا المصطلح في كتاب الله تعالى أي أساس، بل إن كتاب الله يبين لنا أن الحل يكون في إقامة العدل. صحيح أن الإسلام دين الله، وأن الله لا يأمر بغير العدل، ولكننا نتحدث عن المصطلح..

وكذلك مثل مصطلح: (التوحيد)، لقد صرف العلماء أوقاتهم منذ قرون طويلة في شرح التوحيد، وأنواعه، مع أنه ليس له أي أساس في دين الله، لا في كتاب الله، ولا في السنة النبوية. وكذلك مصطلح (العقيدة) و(الاعتقاد)، وإلى آخره من هذه المصطلحات النظرية والجدلية، التي ما أنز الله بها من سلطان، ولكنها عند أغلب المسلمين وكأنها نصوص قرآنية لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

هناك مصيبة أصابت الجميع بلا استثناء، إلا من رحم ربي، ولكن مع التفاوت في الدرجات، ألا وهي إن الغالبية العظمى - إن لم يكن الجميع - من الذين يزعمون أنهم يعملون في الدعوة إلى لله، يهاجمون من يخالفونهم في التوجهات الفكرية، سواء كانت تلك التوجهات سياسية أو دينية،

بالآيات والأحاديث، عندما يريدون أن ينتقدوهم، بدل أن يشـــرحوا أفكارهم وأقوالهم وأضرارها على المجتمع البشـري، ويظهرون للناس وكأن الآيات قد نزلت في حق مخالفيهم من جديد، وهم يبينون للعباد وكأن هذه الأعمال والأقوال هي الدعوة إلى الله، ومع الأسف الشديد إن كثيراً منهم لا يراعون لا المكان ولا الزمان ولا المناسبات.

حق لكـل مؤمن أن يتطوع، ويبين للناس ما أنزل الله تعالى على رســله للعباد، ويقوم بدعوة الأنبياء، ولكن بشرـط أن يعيش عيشـة الأنبياء، ويطلب أجره من رب العالمين، مثلما فعل الأنبياء بأمر من الله، لا أن يســتغل دعوة الأنبياء لكي يعيش عيشـــة الملوك والأمراء، أو يســتغل دعوة الأنبياء للوصول إلى الحكم، أو الحصول على منصب من المناصب الحكومية، أو أي منصب آخر .

مع كـل مـا ســبق، فالدعوة إلى الله في الحقيقة هي تبيان للحقوق والحدود والواجبات، فلا يمكن لمن لا يكون محـايـداً أن يبينهـا حق التبيين والتوضـــيح، وإن الداعي إلى الله لا بد عليه أن يشرـح النظام الذي اختاره الله لعباده جميعاً، ويبقى في تبيينه للدين محايداً لا يميل لجماعة من الناس، أو طرف ســياسي. فكيف يمكن لمن يكون له ميل ســياسي أن يبينه للجميع بدون أن يميل إلى طرف على حســـاب طرف آخر. ولقـد قـال الله مخـاطبـاً نبيه: {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّـهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا}﴿النساء: ١٠٥﴾❐

دراسات

- الأمثال في القرآن	أ.دژوار صلاح الدين

أهمية ضرب الأمثال في الدعوة إلى الله تعالى

دژوار صلاح الدين محمد طاهر

✍ أ- تعريف الأمثال لغة واصطلاحاً:

المثل لغة: يقول ابن فارس: الميم والثاء واللام أصل صحيح يدل على مناظره الشـيء للشـيء وهذا مثل هذا أي: نظيره، والمثل والمثال في معنى واحد، وربما قالوا مثيل كشبيه، والمثل المضروب مأخوذ من هذا، لأنه يذكر مورى به عن مثله في المعنى.[1]

والمثل يستعمل على ثلاثة أوجه بمعنى الشبيه، وبمعنى نفس الشـيء وذاته وزائدة، والجمع (أمثـال)، ويوصـف بـه المـذكر والمؤنـث والجمع، فيقـال هو وهي وهما وهم وهن مثلـه، وفي التنزيل: {أنؤمن لبشرين مثلنا}. و(المثال) بالكسر، اسم من (ماثله) (مماثلة)، إذا شابهه.[2]

وضرب الأمثال اعتبار الشيء بغيره. وقوله تعالى: {واضرب لهم مثلا أصحاب القرية}، أي: اذكر لهم، ومثل لهم [3].

وأما اصـطلاحاً: قال الراغب الأصـفهاني: المَثَلُ عبارة عن قول في شيء، يشـبه قولاً في شيء آخر بينهما مشـابهة، ليبيّن أحدهما الآخر ويصـوّره، وعلى هذا الوجه ما ضرب الله تعالى من الأمثال، فقال: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[4].

ب- أهمية ضرب الأمثال في الدعوة:

لأهميـة ضرب الأمثال، ضرب الله تعالى لنا الأمثال في القرآن الكريم، وكذلك النبي (صـلى الله عليـه وسـلم)، فللأمثـال في اللغـة مكـانـة رفيعة لما لها من دور بارز في الإقناع، وسرعة التفهيم، وإزالة الإشكال.

1- ينظر :مقاييس اللغة، 296/5.

2- ينظر :المصباح المنير،563/2- 564،وأساس البلاغة، ص/580- 581.

3- ينظر :لسان العرب،548/1،مادة(ضرب).

4- (الحشر): 21 . ينظر :المفردات في غريب القرآن، ص759.

وأحســـن الأمثال هي أمثال القرآن الكريم، لما حوته من المعاني الحســـنة، والدلائل العميقة، المتضمنة للحكمة، ودلائل الحق في المطالب العالية.[5]

ويتبين هنا أن الله تعالى، بعزته وجلاله، يضرب الأمثال للناس، وإن أهمية المثل تكمن في لغته الرمزية التي تنطبق على أشخاص بعينهم دون ذكرهم بالإسم، وهنا يبقى المثل مفتوحا وينطبق على الإنســـان في أي زمان ومكان، فالمثل مهما بلغ من قدم، يســـتمد تجدده من الحدث الجديد والواقع الجديد[6] ، وقد قيل: الأمثال تضرب ولا تقاس.

ويجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وأصـــابه المعنى، وحســـن التشـــبيه، وجودة الكناية؛ فهو نهاية البلاغة. وقال ابن المقفع: إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضـــح للمنطق، وأنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث[7].

يقول ابن القيم رحمه الله: لقد أخبر ســـبحانه أنه ضرب الأمثال لعباده، في غير موضـــع من كتابـه، وأمر بـاســـتماع أمثـالـه، ودعـا عبـاده إلى تعقلها، والتفكير فيها، والاعتبار بها، وهذا هو المقصود بها.

وقد ضرب الله ســـبحانه الأمثال، وصرفها قدراً وشرعاً، ويقظة ومناماً، ودلّ عباده على الاعتبار بذلك، وعبورهم من الشـــــيء إلى نظيره، واستدلالهم بالنظير على النظير {لو أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِـــعًا مُّتَصَـــدِّعًا مِّنْ خَشْـــيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْـــــــــرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}الحشر:21.

وقد كان رسـول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن المسألة فيضرب لها الأمثال ويشبهها[8]، فإن الأمثال كلها قياســـات يعلم منها حكم الممثل من الممثل به. وقد اشـــتمل القرآن على بضـــعة وأربعين مثلاً تتضـمن تشبيه الشـــــيء بنظيره، والتسوية بينهما في الحكم[9]. قال الله تعالى: {وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنّاسِ لَعَلّهُمْ يَتَفَكّرُونَ}، وقال تعالى: {وَيَضْـرِبُ الله الأَمْثَالَ لِلنّاسِ لَعَلّهُمْ يَتَذَكّرُونَ} [10]، وبيّن سبحانه أنه ضرب للناس أمثالهم التي يتعرفون بها على الهدى والضلال، والخير والشـــر، والحق والبـاطـل، ومـا آل إليـه أهلها من العواقب الحميدة، أو النهايات الســـيئة الوخيمة. قَال

5- ينظر :الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة :الأولى،1424هـ/2003م 11/1.

6- مجلة الحوار، العدد :133 ، سنة :2014 م، ص/60-61،بقلم عبدالباقي يوسف.

7- مجلة الحوار، العدد :133 ، سنة :2014 م، ص/60-61،بقلم عبدالباقي يوسف.

8- إعلام الموقعين،190/1، و 195/1.

9- نفس المصدر،260/4

11- نفس المصدر،130/1.

تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا البَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّه لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ}[11].

وأعظم أمثال القرآن أهمية، وأرفعها شأناً ومنزلة، الأمثال الإيمانية، التي تبين أركان الإيمان، وتبين أسس الدين، وتعرف بالله رب العالمين، وبحقه على عباده، وغير ذلك من المطالب الإيمانية[12].

ولأهمية الأمثال في الدعوة الى الله عَدَّهُ (الشَّافِعِيُّ) مِمَّا يَجِبُ عَلَى الْمُجْتَهِدِ مَعْرِفَتُهُ مِنْ عُلُومِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: ثُمَّ مَعْرِفَةُ مَا ضَرَبَ فِيهِ مِنَ الْأَمْثَالِ، الدَّوَالِّ عَلَى طاعته المثبتة، لاجتناب معصيته، وترك الغفلة عن الحفظ، والازدياد من نوافل الفضل[13].

والغرض من الدعوة هو المدعو، وإصلاحه، وهدايته، بالوسائل التي تناسب حالته، ومن هذه الوسائل ضرب الأمثال، فيجب على الداعية التنبه لها، ومعرفة كيفية عرضها في دعوته.

ج- أساليب ضرب الأمثال في القرآن:

أ - إخراج المعاني الذهنية في صورة حسية، ترسم في المخيلة حية متحركة. خذ هذا المعنى الذهني المجرد، وهو أن الكفار محرومون من دخول الجنة، وأنهم غير مقبولين عند الله بتاتاً، وتأمل كيف عرضه الله في القرآن: {إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ}[14] ، هكذا في صورة حسية ترسم في الخيال صورة تفتح أبواب السماء، وصورة ولوج الجمل في سم الخياط. وسواء أكان الجمل هو الحيوان المعروف أم الحبل الغليظ، فقد استقر في مخيلة السامع استحالة دخول الكافرين الجنة.

ومن أمثلة ذلك أيضاً أنك لو أردت أن تعرض لمعنى النفور الشديد من دعوة الإيمان بصورته التجريدية تقول: إن القوم ينفرون أشد النفرة من دعوة الإيمان، أما القرآن فقد عرض فيه الأمر بأسلوب تصويري حسي، فقال تعالى: {فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ}[15]، فاشترك هنا مع الذهن حاسة البصر، وملكة الخيال، وانفعال السخرية من هؤلاء الذين يفرون من الحق كما تفر حمر الوحش من الأسد.

12- (ابراهيم) : 25.

[12]- (محمد):3.

[13]- الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله،15/1.

[14]- البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، دار المعرفة- بيروت،1391، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم،468/1.

[15]- (الاعراف:40).

ب - تصوير الحالات النفسية والمعنوية في صورة حسية متخيلة، حية متحركة. فعندما أراد الله سبحانه أن يفضح ويعري أولئك الذين هيأ لهم سبيل الهداية لكنهم رفضوا، فأصبحوا في شقاء بما علموا وما جهلوا، فلا هم استراحوا بما هيأ الله لهم من سبيل الخير والرشاد، ولا هم استراحوا بإعراضهم عن هذا الخير، فيصور القرآن حالتهم النفسية والمعنوية هذه في صورة حسية متحركة. قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[16].

يقول سيد قطب: إنه مشهد من المشاهد العجيبة، الجديدة كل الجدة على ذخيرة هذه اللغة من التصورات والتصويرات، إنسان يؤتيه الله آياته، ويخلع عليه من فضله، ويكسوه من علمه، ويعطيه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع، ولكن ها هو ذا ينسلخ من هذا كله انسلاخاً، ويتجرد من الغطاء الواقي، والدرع الحامي، وينحرف عن الهدى، ليتّبع الهوى، ويهبط من الأفق المشرق، فيلتصق بالطين المعتم، فيصبح غرضاً للشيطان، لا يقيه منه واق، ولا يحميه منه حام، فيتبعه ويلزمه ويستحوذ عليه... ثم إذا نحن أولاء أمام مشهد مفزع بائس نكد. إذا نحن بهذا المخلوق لاصقاً بالأرض، ملوثاً بالطين، ثم إذا هو مسخ في هيئة الكلب: يلهث إن طورد، ويلهث إن لم يطارد، كل هذه المشاهد المتحركة تتتابع وتتوالى، والخيال شاخص يتبعها في انفعال وانبهار وتأثر[17].

ج - عرض القضايا المنطقية والجدلية في أسلوب ضرب الأمثال، وذلك في معرض الاستدلال على عظمة الخالق وقدرته، فالقرآن يأتي بالدليل المقنع من واقع الناس وما يشاهدونه ويعايشونه، لكنه معروض في صورة مؤثرة، ومن ذلك قوله تعالى: {وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}[18]. ومع أن هذا المشهد كما تلاحظ يتكرر في حياة الناس، إلا أنه عرض بأسلوب تصويري، وكأنها لوحة طبيعية رسمت عليها النخيل والأعناب المثمرة.

د - إعطاء الحركة لما من شأنه السكون، وخلع الحياة على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية، والانفعالات الوجدانية، فتصبح كأنها أشخاص بارزة لها عواطفها وخلجاتها الإنسانية. تأمل في

---

[16]- (المدثر: 49- 51).

[17]-(الأعراف:175 – 176).

[18]- ينظر :في ظلال القرآن 3/ 1396- 1397.

قوله تعالى: {وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا}[19] تجد التعبير بالاشتعال يجعل الخيال يتصور أن للشيب حركة في الرأس كحركة اشتعال النار في الهشيم، مما يضفي على النص الحياة والجمال.

وأما خلع الحياة على المواد الجامدة، فمثاله قوله تعالى: {وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ}[20]، فالصبح مشهد معروف متكرر للناس، لكنه في التعبير القرآني كأنه شخص حي يتنفس كما يتنفس الأحياء.

وطريقة التصوير التي يتبعها القرآن الكريم في التعبير، لها فائدة عظيمة في وصول المعاني إلى النفس بشتى الوسائل؛ لأن المعاني إذا عرضت في صورتها التجريدية خاطبت الذهن فقط، أما إذا عرضت بالأسلوب التصويري، فإنها تخاطب الذهن والحس والوجدان، وتصل إلى النفس من منافذ شتى، "من الحواس بالتخييل، ومن الحس عن طريق الحواس، ومن الوجدان المنفعل بالأصداء والأضواء، ويكون الذهن منفذاً واحداً من منافذها الكثيرة إلى النفس، لا منفذها المفرد الوحيد[21].

وهدف الداعية في دعوته: الوصول إلى النفس، وتزكيتها، وتغييرها من الأمارة بالسوء إلى الداعية إلى الخير.

د- أنواع الأمثال

- الأمثال في القرآن الكريم

كما سبق، بأن الله ضرب لنا الأمثال في كتابه العزيز. وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة: التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وترتيب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس، بحيث يكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس إلى الحس. وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر، قال تعالى: {وضربنا لكم الأمثال}[22]. فامتن علينا بذلك، لما تضمنت هذه الفوائد، وقال تعالى: {ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[23] ، وقال: {وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون}[24].

---

[19]- (الرعد:4).

[20]- (مريم:4).

[21]- (التكوير:18).

[22]- ينظر :مجلة البحوث الإسلامية ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، العدد :23 ، ص 234 ، بقلم :الدكتور :حسين مطاوع الترتوري.

[23]- (ابراهيم:45).

[24]-(الزمر:27).

والأمثال مقادير الأفعال، والمتمثل كالصـانع الذي يقدر صـناعته، كالخياط يقدر الثوب على قامة المخيط، ثم يفريه، ثم يقطع، وكل شيء به قالب ومقدار، وقالب الكلام ومقداره الأمثال[25].

وإن ضرب الْأَمْثَال لمن غَابَ عَن الْأَشْـيَاء، وخفيت عَلَيْهِ الْأَشْـيَاء، فالعباد يَحْتَاجُونَ إِلَى ضرب الْأَمْثَال، لما خفيت عَلَيْهِم الْأَشْيَاء، فَضرب الله لَهُم مثلاً من عِنْد أنفسهم، لَا من عِنْد نَفسه، ليدركوا مَا غَابَ عَنْهُم[26].

ويمكن حصر الأغراض التي تُضرب لها أمثال القرآن بما يلي:

1- ضرب المثل لإيضاح المراد، وتقريبه للمخاطب.

2- إقامة الحجة والبرهان.

3- الإقناع بالترغيب في الحقّ، وتحسينه، والترهيب من الباطل، وبيان قبحه، والمدح والذم.

4- الدلالة على كثير من الحكم والفوائد العلمية.

5- التربية بإبراز القدوة الحسنة، والحث على الاقتداء بها، والتنفير من ضدها[27].

ونحن في عرضـنا للأمثال في القرآن الكريم، نذكر بعضاً منها من باب التذكرة. والعبرة في المثل ليسـت في الحجم والشـكل، إنما الأمثال أدوات للتنوير والتبصير. وليس في ضرب الأمثال ما يعاب، وما من شأنه الاستحياء من ذكره[28].

ومن هذه الأمثال: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا}[29] ، فَـإِنَّ الْغَرَضَ تَشْـبِيـهُ حَـالِ الْيَهُودِ، فِي جَهْلِهَا بِمَا مَعَهَا مِنَ التَّوْرَاةِ، وَآيَاتِهَا الْبَاهِرَةِ، بِحَالِ الْحِمَارِ الَّذِي يَحْمِلُ أَسْـفَارَ الْحِكْمَةِ، وَلَيْسَ لَهُ مِنْ حَمْلِهَا إِلَّا الثِّقَلُ وَالتَّعَبُ مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ من السـماء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْـبَحَ هَشِـيمًا تَـذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْ ءٍ مُقْتَدِرًا}[30] ، الْمُرَادُ: قِلَّةُ ثَبَاتِ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، كَقِلَّةِ بَقَاءِ الْخُضْـرَةِ. وَقَدْ ضَرَبَ اللَّه تَعَالَى لِمَا أَنْزَلَهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ مَثَلَيْنِ: مَثَّلَهُ بِالْمَاءِ، وَمَثَّلَهُ بِالنَّارِ، فَمَثَّلَهُ بِالْمَاءِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْحَيَاةِ، وَبِالنَّارِ لِمَا فِيهِ مِنَ النُّورِ وَالْبَيَانِ، وَلِهَذَا سَـمَّاهُ اللَّه رُوحًا، لِمَا فِيهِ مِنَ الْحَيَاةِ، وَسَـمَّاهُ نُورًا لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِنَارَةِ. فَفِي (سُـورَةِ الرَّعْدِ) قَدْ مَثَّلَهُ بِالْمَاءِ فَقَالَ: {أَنْزَلَ مِنَ

---

[25]-(العنكبوت :43).

[26]- البرهان في علوم القرآن، للزركشي،487/1.

[27]- الأمثال من الكتاب والسنة، محمد بن علي بن الحسن، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي، المحقق :د .السيد الجميلي، دار ابن زيدون / دار أسامة - بيروت – دمشق، ص 13-14.

[28]- الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله،156/1.

[29]- في ظلال القرآن،50/1.

[30]- (الجمعة:5).

السَّـمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا}[31] ، فَضَـــرَبَ اللَّه الْمَاءَ الَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ، فَتَسِيلُ الْأَوْدِيَةُ بِقَـدَرِهَا، كَذَلِكَ مَا يُنْزِلُهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، فَتَأْخُذُهُ الْقُلُوبُ، كُلُّ قَلْبٍ بِقَدْرِهِ، وَ السَّـــيْلُ يَحْتَمِلُ زَبَدًا رَابِيًا، كَذَلِكَ مَا فِي الْقُلُوبِ يَحْتَمِلُ شُـــبَهَاتٍ وَشَـــهَوَاتٍ. ثُمَّ قَالَ: {وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ متاع زبد مثله}، وَهَذَا الْمَثَلُ بِالنَّارِ الَّتِي تُوقَدُ عَلَى الذَّهَبِ وَالْفِضَّـــةِ وَالرَّصَـــاصِ وَالنُّحَاسِ، فَيَخْتَلِطُ بِذَلِكَ زَبَدٌ أَيْضًا، كَالزَّبَدِ الَّذِي يَعْلُو السَّيْلَ. قَالَ اللَّه تَعَالَى: {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَـاءً وَأَمَّـا مَا يَنْفَعُ الناس فيمكث في الأرض}[32] ، كَذَلِكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ يَمْكُثُ فِي الْقُلُوبِ بِالتَّوْحِيدِ وَعِبَادَةِ اللَّه وَحْدَهُ.

رَوَى ابْنُ أَبِي حَـاتِمٍ عَنْ قَتَـادَةَ، قَالَ: هَذِهِ ثَلَاثَةُ أَمْثَالٍ ضَرَبَهَا اللَّه فِي مَثَلٍ وَاحِدٍ. وَقَدْ ضَرَبَ اللَّه لِلْمُنَافِقِينَ مَثَلَيْنِ: مَثَلًا بِالنَّارِ، وَمَثَلًا بِالْمَطَرِ، فَقَالَ: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسـتوقد نارا فلما أضـاءت ما حوله}[33]. يُقَالُ: أَضَـاءَ الشَّـــيْءُ، وَأَضَـاءَهُ غَيْرُهُ، فَيُسْتَعْمَلُ لازماً ومتعدياً، فقوله: {أضاءت ما حوله}، هُوَ مُتَعَدٍّ، لِأَنَّ الْمَقْصُـودَ أَنْ تُضـــيءَ النَّارُ مَا حَوْلَ مَنْ يُرِيدُهَا حَتَّى يَرَاهَا. وَفِي قوله في البرق: {كلما أضاء لهم}، ذِكْرُ اللَّازِمِ، لِأَنَّ الْبَرْقَ بِنَفْسِهِ يُضـــيءُ بِغَيْرِ اخْتِيَارِ الْإِنْسَانِ، فَإِذا أَضَاءَ الْبَرْقُ سَـارَ، وَقَدْ لَا يُضـــيءُ مَا حَوْلَ الْإِنْسَانِ، إِذْ يَكُونُ الْبَرْقُ وَصَلَ إِلَى مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ، فَجَعَلَ سُـبْحَانَهُ الْمُنَافِقِينَ كَالَّذِي أَوْقَدَ نَارًا فَأَضَـاءَتْ ثُمَّ ذَهَبَ ضَوْءُهَا، وَلَمْ يَقُلِ انْطَفَأَتَ، بَلْ قَالَ ذهب الله بنورهم، وَقَدْ يَبْقَى مَعَ ذَهَابِ النُّورِ حَرَارَتُهَا، فَتَضُرُّ.[34]

- الأمثال في الحديث النبوي

نجد في كتب الحديث العديد من أحاديث الأمثال. والأمثال التي ضربها رسـول الله (صلى الله عليه وسـلم)، كما يقول ابن القيم: لتقريب المواد، وتفهيم المعنى، وإيصـاله إلى ذهن السـامع، وإحضاره في نفسـه بصورة المثال الذي مثل به، فإنه قد يكون أقرب إلى تعقله، وفهمه، وضبطه، واسـتحضـاره له، باسـتحضـار نظيره، فإن النفس تأنس بالنظائر والأشـباه الأنس التام، وتنفر من الغربـة والوحدة، وعدم النظير. ففي الأمثال من تأنيس النفس، وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لهـا مثلـه من الحق، أمر لا يجحـده أحـد، ولا ينكره، وكلما ظهرت له الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً، فالأمثال شواهد المعنى المراد، ومزكيّة له، وهي خاصة العقل ولبه وثمرته[35].

---

[31]-(الكهف :45).

[32]-(الرعد:17).

[33]-(الرعد:17).

[34]-(البقرة:17).

[35]- البرهان في علوم القرآن، للزركشي،494/1 .والأمثال في القرآن الكريم - لابن قيم الجوزية، تحقيق: إبراهيم بن محمد، مكتبة الصحابة – طنطا، الطبعة الأولى،1406- 1986، ص 11-13.

ونذكر هنا من باب التذكرة والاستدلال بعضاً من أحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم):

الحديث الأول:

عن النُّعْمَانَ بن بَشِـيرٍ (رضي الله عنهما) عن النبي (صـلى الله عليه وسـلم) قال: (مَثَلُ الْقَائِمِ على حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فيها، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْـتَهَمُوا على سَـفِينَةٍ، فَأَصَـابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْـفلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ في أَسْـفَلِهَا إذا اسْـتَقَوْا من الْمَاءِ مَرُّوا على من فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا لو أَنَّا خَرَقْنَا في نَصِـيبِنَا خَرْقًا، ولم نُؤْذِ من فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وما أَرَادُوا هَلَكُوا جميعاً، وَإِنْ أَخَذُوا على أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَ نجَوْا جميعاً)[36].

الحديث الثاني:

عن أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُـولَ اللَّهِ (صـلى الله عليه وسـلم) قال: (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ من قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَـنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إلا مَوْضِـعَ لَبِنَةٍ من زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ الناس يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ له، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هذه اللَّبِنَةُ. قال فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وأنا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ)[37].

الحديث الثالث:

عن أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّهُ سـمع رَسُـولَ اللَّهِ (صـلى الله عليه وسـلم) يقول: (إنما مَثَلِي وَمَثَلُ الناس كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْـتَوْقَدَ نَارًا، فلما أَضَـاءَتْ ما حَوْلَهُ، جَعَلَ الْفَرَاشُ، وَهَذِهِ الدَّوَابُّ التي تَقَعُ في النَّارِ، يَقَعْنَ فيها، فَجَعَـلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَـهُ فَيَقْتَحِمْنَ فيها، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عن النَّارِ، وأنتم تقحمون فيها)[38].

الحديث الرابع:

عن أبي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (مَثَلُ الذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالتَّمْرَةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ ولا رِيحَ لها، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الذي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ ولا رِيحَ لها)[39].

الحديث الخامس:

---

[36]- إعلام الموقعين، 1/ 239- 240.

[37]- صحيح البخاري، كِتَاب الشَّرِكَةِ، بَاب هل يُقْرَعُ في الْقِسْمَةِ وَالِاسْتِهَامِ فيه،882/2،رقم الحديث:2361.

[38]- صحيح البخاري، كِتَاب الْمَنَاقِبِ، بَاب خَاتِمِ النَّبِي ينَ صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 1300/3.

[39]- صحيح البخاري، كِتَاب ال رقَاقِ، بَاب الِانْتِهَاءِ عن الْمَعَاصِي،2379/5،رقم الحديث: 6118.

عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: (أَرَأَيْتُمْ لو أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ منه كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هل يَبْقَى من دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ قالوا: لَا يَبْقَى من دَرَنِهِ شَيْءٌ. قال: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو الله بِهِنَّ الْخَطَايَا)[40].

الحديث السادس:

عن الحرث الأشعري أن نبي الله صلى الله عليه و سلم قال: إن الله عز وجلّ أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن. فكاد أن يبطئ، فقال له عيسى: إنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن، وأن تأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فأما أن تبلغهن، وإما أبلغهن، فقال له: يا أخي إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي، قال فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد، وقعد على الشرف، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن، أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، فإن مثل ذلك مثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله، بورق أو ذهب، فجعل يعمل، ويؤدي عمله إلى غير سيده، فأيّكم يسره أن يكون عبده كذلك، وإنّ الله عز وجل خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأمركم بالصلاة، فإن الله عز وجل ينصب وجهه لوجه عبده، ما لم يلتفت، فإذا صليتم فلا تلتفتوا، وأمركم بالصيام، فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك، في عصابة، كلهم يجد ريح المسك، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وأمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فشدوا يديه إلى عنقه، وقربوه ليضربوا عنقه، فقال: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم، فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير، حتى فك نفسه، وأمركم بذكر الله كثيراً، وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره، فأتى حصناً حصيناً فتحصن فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عز وجل. قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا آمركم بخمس، الله أمرني بهن: بالجماعة، وبالسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، إلى أن يرجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية، فهو من جثاء جهنم. قالوا: يا رسول الله، وإنْ صام وصلى، قال: وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، فادعوا المسلمين بما سماهم: المسلمين المؤمنين عباد الله عز وجل)[41].

[40]- صحيح البخاري، كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب فَضْلِ الْقُرْآنِ على سَائِرِ الْكَلَامِ،4/ 1917،رقم الحديث:4732.

[41]- صحيح مسلم، كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِ عِ الصَّلَاةِ، بَاب الْمَشْي إلى الصَّلَاةِ تُمْحَى بِهِ الْخَطَايَا وَتُرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتُ،462/1،رقم الحديث:667.

- الأمثال في لسان العرب:

يجب على الداعية أن يهتم بالأمثال العامة والمشهورة التي توافق الشـــريعة، ولكل قوم مثل، وأن يكون حكيماً في عرض المثل. وألا يكون المثل غريباً لا يفهمه إلا قلة قليلة من المخاطبين، لأن المقصود من الكلام هو الفهم والإدراك.

ومن هذه الأمثال: (أَنْصَـــحُ مِنْ شَـــوْلَةَ)، هي كانت خادمةً في دار من دور (الكوفة)، كانت تُرْسِـلُ في كل يوم تَشْتَرِي بدرهم سمناً، فبينما هي ذاهبة إلى السوق وجَدَتْ درهماً، فأضافته إلى الدرهم الذي كان معها، واشترت بهما سمناً، وردَّتْه إلى مَوَاليها، فضـــربوها، وقَالَوا: أنت تأخذين كل يوم هذا المقدار من السمن، فتسرقين نصفه، فضرب بها المثل، فقيل لها: شَوْلَة الناصحة[42].

(إذَا زَلّ العَالِمُ، زَلَّ بِزَلَّتِهِ عَالَمٌ).

لأن للعالم تبعاً، فهم به يقتدون، قال الشاعر:

إن الفقيه إذا غَوَى وأطاعه ... قومٌ غَوَوْا معه فَضَاع وَضَيَّعَا

مثل السفينة إن هَوَتْ في لجة ... تَغْرَقْ ويَغْرَقْ كُلُّ ما فيها مَعَا[43].

(أجهل من فراشة).

لأنّها إذا رأت ناراً ألقت نفسـها فيها، جهلاً بها[44]. يأتي هذا المثل للذين يعملون السوء بجهالة ولا يتوبون، ويعرفون أن السيئات تجرّ بهم إلى النار.

(أن تسمع بالمعيديّ، خير من أن تراه).

قاله النّعمان لصـقعب بن عمرو النّهدي، من قضاعة معدّ، وقد استحقر جسمه. وقاله المنذر لضمرة بن ضمرة. فالمعيديّ: تصغير معدّيّ [45] .

(أبِي يَغْزو، وأُمِّي تُحَدِّثُ).

قـال ابن الأعرابي: ذكروا أن رجلاً قـدِم من غَزَاة، فـأتـاه جيرانُه يســألونه عن الخبر، فجعلت امرأتـه تقول: قَتَـل من القوم كـذا، وهَزَم كـذا، وجُرِح فلان، فقـال ابنهـا متعجباً: أبي يغزو، وأُمّي تحدّث[46]. يأتي هذا المثل حول احترام التخصص، والفتوى، والصبر، وغيرها.

---

[42]- مسند الإمام أحمد، من حديث الحرث الأشعري،202/4،رقم الحديث:17833 . تعليق شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح.

[43]- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، المحقق :محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان،356/2.

[44]- نفس المصدر44/1.

[45]- الأمثال، زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة، أبو الخير الهاشمي، دار سعد الدين، دمشق الطبعة :الأولى،1423هـ ص7.

[46]- نفس المصدر :ص/51.

(إنَّكَ لا تَجْنِي مِنَ الشَّوْكِ العِنَبَ).

أي: لا تجد عند ذي المَنْبِتِ السوء جميلاً. والمثلُ من قول أكْثَم، يقال: أراد: إذا ظُلمت، فاحذر الانتصار، فإن الظلم لا يَكْسِبُكَ إلا مثلَ فعلك.

يأتي هذا المثل حول صلاح الآباء، واختيار الأصدقاء، وأن الجزاء من جنس العمل.

(إياكَ وَأنْ يَضْرِبَ لِسَانُكَ عُنُقَكَ).

أي: إياك أن تَلْفِظَ بما فيه هلاكك. ونُسِبَ الضـــربُ إلى اللسـان، لأنه السبب. كقوله تعالى: {يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِباسَـهُمَا}[47]. يأتي هذا المثل حول خطر اللسـان، وأنه سـلاح ذو حدين، يسـتخدم في الخير والشر.

(أوَّلُ الشَّجَرَةِ النَّوَاةُ).

يضرب للأمر الصغير يتولد منه الأمرُ الكبير، ويأتي هذا المثل حول تربية الأبناء، والاهتمام بهم في الصغر، وغيرها.

(آفَةُ الْعِلْمِ النِّسْيَانُ).

قال النسـابة البكريّ: إن للعلم آفة ونكداً وهُجْنَة واسـتجاعة، فآفته نسـيانه، ونكده الكذب فيه، وهُجْنته نَشْـــــره في غير أهله، واسـتجاعته ألا تشـبع منه[48]. يأتي هذا المثل حول الاهتمام بالعلم، وكتابته، وتعلمه، وتعليمه، والإخلاص فيه.

(لجّ فحج).

يضـــرب للرجل إذا بلغ من لجاجته أن يخرج إلى شيء ليس من شأنه. وأصله أنَّ رجلاً لجّ في الغيبـة عن أهلـه، حتى خرج إلى حج، ومـا يريـد الحج[49]. يـأتي هـذا المثل حول التنظيم، وتحديد الهدف، والخروج من العشوائية والفوضى.

(إنّه لنقاب).

والنقّاب: الرجل الفطن الذكي الفهم[50]. يأتي هذا المثل للذي يعرف ما يقول، وما يفعل، وأهمية ذلك في الحياة.

ونكتفي بهذا القدر من الأمثال، وعلى الداعية أن يحســـن اســـتخدامها، وإنزال المثل منزلته، وبيان المقصود منه❐

---

[47]- مجمع الأمثال للنيسابوري،49/1.

[48]- نفس المصدر52/1-53.

[49]- نفس المصدر59/1.

[50]- الأمثال، أبو عُبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، المحقق: الدكتور عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، الطبعة :الأولى،1400هـ ،1980م،ص/96.

عبق الكلمات

يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ

عبد الباقي يوسف

عندما تذهب إلى بيت شخص ما، فإنّك ترتّب نفسك، وتتطيَّب، وتتمشَّط، وترتدي ثياباً جديدة، وتتهَندَم، وما إلى ذلك، فتكون بذلك قد أخذتَ زينتك [عِندَ كُلِّ] بيت من البيوت التي تدخلها. ولكنك عندما تذهب إلى بيت الله - وكل مسجد هو بيت من بيوت الله - لعلّك لا تفعل نصف ما تفعله بالنسبة للاستعدادات في الذهاب إلى بيوت الناس، والبعض يذهب ببيجامة نوم مهترئة، أو بثياب بالية، أو متّسخة، تفوح منه روائح كريهة، ويكون شعره أجعد، وشعرات ذقنه مشتّتة، ويكون وجهه جَهماً، على نقيض ما يذهب إلى أيّ بيت من بيوت الناس. فتلك الاستعدادات، وذاك الإشراق، وذاك الوجه المبتَسم، وتلك الثياب الجديدة، وذاك العطر، وما إلى ذلك، فكلّه مُخَصّصٌ لبيوت الناس، أمّا بيوت الله، فلا شيء من ذلك، بل على النقيض.

يقول الله (عز وجل): {يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} الأعراف/31.

في هذه الآية الكريمة، ينبّهك الله تعالى إلى هذه المسألة، فالأولوية في كل تلك المظاهر، وكل تلك الاستعدادات، تتّخذها وأنت متّجه إلى بيت الله، وهو أَولى بهذا الحُسن المادّي والمَعنَوي من أيّ بيت دونه. ويُستَحسَن أن يغار المؤمنون على بيوت الله كغيرتهم على بيوتهم أو أكثر، فيحافظوا على حاجات المسجد، كل بمقتضى استطاعته، فإن انتبهتَ إلى سجّادة مهترئة، استبدلتها بجديدة، إن وجدتَ إبريقاً مثقوباً، استبدلته بإبريق جديد، إن وجدتَ صنبوراً عاطلاً، استبدلته بجديد، إن وجدتَ مصباحاً لا يضيء، استبدلته بجديد، وما إلى ذلك، ممَا يمكن أن يقوم به كل فرد وفق استطاعته، دون أن يُخبر أحداً. فترى بعض الميسورين الذين يرفلون ويتقلّبون في نِعَم الله، لا يحرّكهم ساكن وهم يرون مسجد الحي مَعدوماً من وسائل الراحة والنظافة،

وبئس الأحياء التي تكون بيوتها فخمة راقية، ومساجدها فقيرة معدومة. فَمِنَ الأغنياء، أغنياءٌ لا يرضون أن يكون أثاث بيوتهم أفضل من أثاث بيت الله في حَيّهم، لا يرضون أن تكون زينة بيوتهم، أفضل من زينة بيت الله، فيخجلون من الله تعالى، ويحسبون حِساباً لساعة يلقون فيها الله، فيسألهم هذا السؤال، فهؤلاء تقشعرّ أبدانهم حياءً من الله. فكم مِن بادرة لطيفة عند رجل مقتدر، وهو يرى شخصاً فقيراً يدخل المسجد بثياب رثّة، فيأخذه بسيارته، ويبتاع له ثياباً جديدة ثمينة، حتى يأتي بها إلى المسجد، فكم مِن مواقف نورانية يمكن للإنسان أن يفعلها، وهو يعبّر عن حبه لله، وعن غيرته الشديدة على بيوت الله. فذاك الغني لم يرفل له جفن وهو في بيته ينظر إلى فخامة الأثاث، وإلى ألوان السجّاد، وأناقة الديكور، وزخرفة البناء، ويتخيّل ما عليه بيت الله من فقر، فيخرج من بيته في اليوم التالي، ويقرّر ترميم بناء المسجد بزخرفة لا تقل عن زخرفة بيته، وكسوة لا تقل عن كسوة بيته، وهو يقول: خجلتُ يا رب أن أقيم في بيت أجمل من بيتك. فلعلّ موقفاً واحداً يُعادل عمراً من العبادة، فإن كنتَ كريماً، يبيّن الله بأنك لستَ أكرم منه، وأنه أكرم منك، فيجازيك بما هو أكثر، وإن غرتَ على بيته، يكون أكثر غيرة على بيتك، فهناك أناس من أصحاب المواقف الكبرى التي يحفظها الله لهم. يستخلصهم من سائر الناس، فهذه أمور واردة، وهي تكون لأناس استثنائيين تقرّبوا إلى الله بأعمال استثنائية خالصة لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته، فحفظها الله لهم.

عن أبي أمامة: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "وَعَدَنِي رَبِّي سُبْحَانَهُ أَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفاً لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ، وَلا عَذَابَ، مَعَ كُلّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفاً، وَثَلاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ").

{يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ}. امضوا إلى المساجد بإشراق، بزهو، بلياقة، بخطوات واثقة، بعز، بافتخار، فلا بيوت، ولا أمكنة قط أفضل من هذه التي تمضون إليها.

[وَ] في ذلك [لاَ تُسْرِفُواْ] لا تنفقوا أموالكم فيما لا طائل منه، والإسراف كالهدر، أيْ تهدر ممَا أنعم الله عليك، فلا تحرم نفسك، ولا تزيد عن حاجتك {إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}. حتى لا تخرجوا من محبة الله لكم، فتنقلبوا من النعيم إلى الشقاء، فحافظوا على محبة الله لكم بعدم الإسراف❐

مقالات

- دين الكادحين	د. عماد الدين خليل
- تنبؤات المهدي حول منع قيام دولة كوردية	د. فرست مرعي
- المعرفة هي الحل	أ. محمد رؤوف
- أثر القراءة على الصحة العقلية	د. أكرم فتاح سليم
- دوافع تحريم الصوم عند الباطنية الإسماعيلية	د. سنان أحمد
- رحلة خالدة	علاء الدين حسن
- تأملات في قانون القذف والزهق	صالح شيخو الهسنياني
- عبر حميدة من ذكريات سعيدة	د. حكيم مختار
- شخصيات كوردية أثرت في التاريخ العربي	عدنان رحمان
- بين التعليم والإعلام	زهراء مؤيد رمضان

دين الكادحين

بقلم: أ.د.عمادالدين خليل

✍هل يمكننا القول بأن الإسلام هو دين الكادحين ؟

نعم.. وبكل تأكيد.. وقد سبق لي أن عرضت في كتابي (مقال في العدل الاجتماعي)، الذي صدر في سبعينيات القرن الماضي، وأعيد طبعه مراراً فيما بعد، وكانت آخر طبعاته تلك التي أصدرتها دار ابن كثير في بيروت عام 2008 م.. حشوداً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ومعطيات السيرة النبوية، ما يغطي عشرات الصفحات، ويقدّم بالدليل المؤكد القاطع أن هذا الدين هو – بالفعل – دين الكادحين.

ولكني أريد، في مقالي الموجز هذا، أن أوسّع المنظور، لكي يمضي إلى التراث النبوي كلّه عبر تاريخ البشرية، والذي جاء الإسلام لكي يتممه، ويضع لمساته الأخيرة، ويقدمه للناس في كل زمن ومكان نموذجاً فذّاً في العدل الاجتماعي عبر أقصى وتائره فاعلية ومساواة.. ولكي ينصف المظلومين والفقراء والمسحوقين والمستعبدين، وينزل حممه على الأغنياء المترفين والطواغيت ورجال الدين، الذين يكنزون الذهب والفضة، ولا ينفقونها في سبيل الله!!

إننا إذا رجعنا في الزمن إلى عصور الأديان الأولى في التاريخ البشـري.. دعوة نوح (عليه السلام) التي اسـتغرقت تسـعمائة وخمسين عاماً.. فإننا سنعثر على التأسيس المبكر لخط الرسالات، الذي يبدأ بآدم، وينتهي بمحمد بن عبد الله (عليهما السلام).

إن الذين انتموا إلى دعوته – بادئ ذي بدء – هم الفقراء والمسـتضعفون والكادحون .. الأمر الذي استفز أصحاب المال والجاه والسلطة والمكانة الاجتماعية، فنظروا بازدراء إلى هؤلاء، وأدانوا نوح (عليه السلام) بأنه يلّم حوله الغوغاء وأراذل القوم.

فلنتابع الصـورة بتفاصـيلها، كما يعرضـها علينا كتاب الله في (سورة هود): {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِـهِ إِنِّي لَكُمْ نَـذِيرٌ مُّبِينٌ * أَن لاَّ تَعْبُـدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنِّيَ أَخَـافُ عَلَيْكُمْ عَـذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ الْمَلأُ الّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاّ بَشَـــراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاّ الّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ؟ * وَيَا قَوْمِ لا أَسْـأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى اللّهِ وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَـــــكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ * وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُـــنِي مِنَ اللّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ * وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْراً اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِـهِمْ إِنِّي إِذاً لّمِنَ الظّالِمِينَ * قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتَنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللّهُ إِن شَاء وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ * وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَـــحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُـهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَـاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ * وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ }(سورة هود : الآيات 25-36).

وفي (سـورة الشعراء) يعاد المشهد نفسه.. ذلك الحوار الحاسم بين نوح (عليه السلام)، وبين رؤوس قومه، من الأثرياء والمترفين وأرباب السـلطة والطواغيت.. هؤلاء يدينونه بأن الذين التمّوا حول دعوتـه هم من الرعـاع والأراذل والكـادحين والمســحوقين.. وهو يجـابههم بـالتزامـه هذه الشريحة من الناس، وأنه لن يتخلى عنها مهما كلف الأمر:

{كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَـلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَـاتَّقُوا اللّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَـا أَسْـــأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَاتَّقُوا اللّهَ وَأَطِيعُونِ * قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ * قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنْ حِسَـــابُهُمْ إِلّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْـعُرُونَ * وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا إِلّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * قَالُوا لَئِن لّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ * قَـالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَـذَّبُونِ * فَـافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحـاً وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْـحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ *

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}(سورة الشعراء : الآيات 105-122).

ولقد جاء الطوفان الإلهي ليكتسح، ويغرق، كل المترفين الذين ساوموا نوح (عليه السلام) لكي يطرد من صفوفه الكادحين.. فلم يكترث لأسماعهم.. وجبروتهم.. وطغيانهم.. وأسند ظهره للإرادة الإلهية، التي تنزلت بما لم يكن في حسبان هؤلاء: الإغراق الشامل للفساد، الذي يتمخض دائماً عن الترف والسلطة والجاه..

أية صورة هذه، يقدمها كتاب الله عن طرفي الصراع في العالم: المترفين، والكادحين.. وأنه يقف مع الفئة الأخيرة، ويكتسح الأولى اكتساحاً، فلا يبقي لها على أثر !!

وثمة في (سورة الكهف).. عبر قصة النبي موسى (عليه السلام) والخضر ، صورة أخرى لا تقل دلالة: وقفة صارمة ضد الملوك والطواغيت، حتى لو تطلب الأمر اعتماد ما يسمى بسياسة الأرض المحروقة، كي لا يترك الكادحون أية فرصة لابتزازهم:

{فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً . قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً . قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً. قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً. أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً...}(سورة الكهف: الآيات 71-73 ، 78-79).

إنها - والحق يقال - صورة صارمة، تنطوي على الكثير من الدلالات (الثورية) في قضية الصراع بين الذين يملكون الثروة والسلطان، وأولئك الذين لا يملكون..

والصراع الذي لا يرحم ماض في كتاب الله بين الأنبياء جميعاً، وبين خصومهم، من الجبابرة والطواغيت والمترفين:

{كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ *وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوا سَوَاء عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ * إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ. فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ. وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ

* فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ{(سورة الشعراء : الآيات 123-159).

وإنما يجيئ عقاب الله لكي يكتسح الفئة الأولى، ويمدّ بالبقاء للفئة الأخرى، تلك هي سنة الله في العالم.. لأن جرثومة الفساد، والبغي، والطغيان، والاستلاب، واحتقار المعدمين، وابتزاز الكادحين، تتسلسل في حجيرات هؤلاء، فتلتوي بسويتهم النفسية، وتقودهم، شاءوا أم أبوا، إلى مواقع الظلم والطغيان: {كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى}(سورة العلق: الآيتان 6-7).

وبينما تنصب الأوصاف والنعوت القاسية السيئة على الفقراء المعدمين، في المجتمعات التي يسودها الترف والطغيان، فيوسمون بالأوباش والأراذل والسوقة والأدنياء والمتطفلين.. إلخ .. ينعكس الموقف في القرآن الكريم، حيث توجه أقسى الكلمات إلى (أصحاب المال) المارقين، ويرمون بأقسى النعوت.

ها هو أحد المقاطع يتحدث عن (أحدهم)، مخاطباً الرسول (صلى الله عليه وسلم):

{وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ. هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ. مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ. إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ}(سورة القلم : الآيات 10-16).

ولا نجد في كتاب الله، في مقابل هذا، أيّ نعت أو صفة سلبية، تلحق الفقراء والمعدمين، وكل ما ورد عنهم إنما جاء على لسان الكفار والمترفين أنفسهم، من تسمية هؤلاء بأراذل القوم، وأنهم طليعة من يتبع الأنبياء، وهم يدعون قومهم إلى الإيمان:

{قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ}(سورة الشعراء : الآية 111)، {.. وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ...}(سورة هود: الآية 27).

"ولم لا يكافأ هؤلاء الناس البسطاء، ذوو الصفحات البيضاء، والطوية السليمة، والتوجه الخيّر، والقلوب التي تشع نوراً؟ لم لا يكافأ هؤلاء الأطهار الطيبون، الذين لا يفعلون إلا طيّباً، ولا يقولون إلا طيّباً، والذين يتوحّد في ممارستهم الفعل والكلمة، فلا يعرفون معنى للنفاق، والالتواء، والازدواج ؟ لم لا يكافأ هؤلاء الذين يلبّون نداء الحق أول من يلبّي، ويتجّمعون، بدافع فطرتهم النقية، وتوحدهم، حول كل نبي أو رسول أو داعية، يدافعون عنه يوم يلاحقه الكبراء، ويحمونه في لحظات الأذى والعدوان، حين يعتدي عليه الملأ، وتطارده النخبة الممتازة... ويلتمون حواليه يوم ينفض الواجدون والمترفون، ويعز النصير؟

إنهم يشكلون نواة كل دين أو دعوة حق، وقاعدتهما، التي تزداد اتساعاً يوماً بعد يوم، فتحوّل الفكرة إلى واقع مشهود، والحلم إلى ممارسة تمنح خيرها للناس؟

والقرآن الكريم يقف أكثر من مرة عند هؤلاء.. وآياته البينات تتنزل لكي تتحدث عنهم بمحبة واعتزاز، ولكي تمنحهم الوعد الجميل بالمصير.. ليس فقط لأنهم منحوا حياتهم، ومحضوا

وجودهم، للدعوة، في لحظات الاجتياز الصعبة، بل لأنهم كانوا يعبّرون بسلوكهم، عن أقصى حالات التوحّد، والتوافق، والانسجام، بين الفعل والكلمة.. هؤلاء أعطوا الكثير، فاستحقوا الأجر الكبير!

إننا نقرأ في كتاب الله خطاباً إلى رسوله الأمين (عليه أفضل الصلاة والسلام):

{وَلاَ تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ * وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولواْ أَهَؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ * وَإِذَا جَاءكَ الّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ} (سورة الأنعام: الآيات 52-55)،

{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً} (سورة الكهف: الآية 28)،

{عَبَسَ وَتَوَلّى * أَن جَاءهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلّهُ يَزَّكّى * أَوْ يَذَّكّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى. فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلّا يَزَّكّى * وَأَمَّا مَن جَاءكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى * كَلّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ} (سورة عبس: الآية 1-11).

ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان، عبر حياته جميعاً، صديق هؤلاء البسطاء الكادحين.. كان أخاهم الكبير.. يحبهم ويحبونه.. ويربت على أكتافهم بحنان، وهم يقفون بين يديه مسلمين، مخلصين، تغمر وجوههم البسمة الحانية، وقلوبهم الود والفداء.. من أجل هذا تحدّث عنهم قائلاً، فيما رواه مسلم: (رب أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبرّه).. ولقد لبى هؤلاء البسطاء نداء الفتح منذ اللحظات الأولى، وما كان بمقدور القيادات الإسلامية، على تألّقها وتفوقها وفدائيتها، أن تصنع شيئاً، لولا هؤلاء الجند الذين شكّلوا عصب الحركة، وحولوا مطالبها إلى واقع منظور..

وفيما بعد، وعبر المسار الطويل للتاريخ الإسلامي.. عبر جلّ التحديات التي شهدها عالم الإسلام، والضغوط التي مورست ضده، أو قبالة كل الهجمات التي شنها الخصوم.. كان هؤلاء (البسطاء) يشكّلون الخامة الإسلامية في خط الثغور، وبأذرعهم قدر هذا العالم على الدفاع عن أراضيه، والتوسع والامتداد في ديار الخصوم والأعداء.

لقد أدرك فلاسفة التاريخ، وعلماء الاجتماع، الدور الخطير الذي تمارسه هذه الجماعات البسيطة التي تتحرك في أسفل السلّم الاجتماعي، وحدثنا (أرنولد توينبي) في تفسيره الحضاري للتاريخ، عن الأكثريات المتبعة، والأقليات المبدعة، وعن أن حضارة ما لا تأخذ سبيلها إلى التحقق

ما لم يتم التواصل بين القطبين، فتتلقى الأكثريات المتبعة معطيات الإبداع، وتؤمن بها، وتتبناها، وتنفذها في أرض الواقع، وتنشرها في الآفاق.. أما (كارل ماركس) فقد مضى، بإلحاحه المعروف، وتعميماته المبالغ فيها، إلى إلغاء دور النخبة، وعلّق الفعل التاريخي على أكتاف الجماهير الكادحة وحدها.

وفي كل الأحوال، تظل كلمات الله سبحانه وتعالى، وتعاليم رسوله (صلى الله عليه وسلم)، الشاهد العدل على ما يفعله هؤلاء وهؤلاء: أولئك الذين يتربعون في القمة، أو يتحركون عند السفوح، وتظل الحكم العدل الذي يمنح المصير المناسب لكل الأقطاب، شرط أن تتحقق – الأقطاب - بطرفي المعادلة: الإيمان والعمل الصالح، وإلاّ فإنه باطل إيمانهم وعملهم، إن لم يلتقيا ويتعاشقا من أجل تنفيذ كلمة الله في هذا العالم: {... وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ...}(سورة المائدة : الآية 5)، {...وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}(سورة الأنعام: الآية 88)، {وَالّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَلِقَاء الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ..}(سورة الأعراف: الآية 147)، {...أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ...}(سورة الأحزاب: الآية 19)، {...مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ ...}(سورة البقرة: الآية 62)، {...مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}(سورة المائدة: الآية 69).."().

ثم ماذا بعد ؟

هل يستنتج من السياق آنف الذكر أن الإسلام هو دين الصراع الطبقي، وأنه ما جاء إلاّ لكي يعيد للطبقات المسحوقة مكانتها الاجتماعية، في مواجهة الطبقات المالكة والمترفة ؟

أبداً..

ولن يخطر هذا على البال، بمجرد الرجوع إلى واقعة عصر الرسالة، الذي يعكس بمرآته الصافية كالبلّور، أن الأمر لم يكن كذلك، بدليل أن أوّل المنتمين لهذا الدين كانوا من علية القوم.. أولئك الذين يملكون الكثير، والذين سبق وأن تبوّؤا في القيادة المكيّة المسماة (رجال الملأ) أعلى مكانة: أبو بكر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف.. وعمر بن الخطاب.. و.. و.. جاء هؤلاء، ووضعوا أنفسهم في صف واحد مع الضعفاء والمسحوقين والمستعبدين.. أخوة على الطريق.. وعملوا معاً.. الذين يملكون والذين لا يملكون.. في سبيل الدعوة الناشئة، وشكلوا قاعدتها الأساسية، قاعدتها الصلبة التي قدّر لها أن تمضي إلى أهدافها، وأن تنشئ دولة الإسلام.. وأن تغيّر بها خرائط العالم القديم، وتحرّر الإنسان.

ليس ثمة في المنظور الإسلامي صراع طبقي، إنما هو العدل المطلق الذي بنيت عليه السماوات والأرض، وجبلت به سنن التاريخ، وقوانين حركته.

ولقد جاء هذا الدين لكي يحقق مفاهيم العدل، بأقصـــى وتائرها فاعلية، فينصـف الفقراء والمسـتعبدين، ويرفع سـويتهم المعيشية، ويحررهم من الرق والاستعباد.. ويدفعهم، مع إخوانهم الأغنيـاء، معـاً على الطريق.. كـل يضـــحي بـالذي يملك من مال أو جاه أو ســـلطان، أو قدرات جسـدية.. أو طاقات روحية.. في سبيل الهدف الواحد، والبؤرة التي التّم حولها الجميع.. يداً بيد.. من أجل أن تنتصر كلمة الله بسواعد وسيوف الذين يملكون والذين لا يملكون..

ومن أجل أن تسـتقيم سـنن الحياة الجديدة، التي جاء هذا الدين لكي يرسي دعائمها.. كان لا بدّ من ملاحقة كل صـــنوف الفقر والاســـتعباد والجوع.. ورفع أصـــحابها المســـحوقين إلى درجة الكفاية، ووضعهم صفاً واحداً مع إخوانهم، الذين قدموا طواعية، بل تنازلوا لهؤلاء عن الكثير مما يملكون، استجابة لشيء واحد: قوة الإيمان!!

ليس ثمة أية لمسـة من لمسـات الصـــــراع الطبقي، وإنما – بالعكس – كان التواؤم والتصـالح والالتقاء بين الطرفين، في مواجهة قوى الشرك والوثنية، لتعزيز كلمة الله في الأرض..

فهو من ثم صراع بين الإسلام والكفر، وليس بين طبقة وأخرى، داخل الصف الإسلامي الواحد، الذي لم يخطر في بال المنتمين إليه، أغنياء وفقراء، سـوى التوحّد والانصـهار في بنية الدعوة، التي مضـــت تشـــق طريقها من أجل تحرير الإنســـان.. مطلق الإنســـان.. وبعيداً عن كل الاعتبارات الاقتصادية، أو المادية، التي يريد البعض إدخال الحركة التاريخية من عنقها الضيّق..

وثمة أخيراً – سؤال قد يتبادر إلى الأذهان، وهي تتأمل هذا المقطع القرآني المدهش: {... كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ، وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}(سـورة الحشر: الآية 7): لماذا – إذاً – لم يجعلها الإسلام مشاعية، للتحقق بهدف كهذا؟

والجواب يثير الدهشـــة هو الآخر، في إعجاز هذا الدين، وأنه من لدن حكيم خبير.. ذلك أن المشـاعية تلغي الحافز الفردي، وتسـتأصـل رغبة الإنسـان الأصـيلة في التنمية، وقد تبيّن ذلك من خلال فشل الشيوعية الذريع..

وبالتالي فإن القرآن الكريم بقدر ما يؤكد على ضرورات التساوي قدر الإمكان، بقدر تأكيده – في الوقـت نفســـه – على حمايـة الملكية الفردية، وتحفيزها، واعتبار الدفاع عنها، والقتال دونها، أمراً مقدساً، وجهاداً في سبيل الله !!❐

تنبؤات المهدي حول منع قيام دولة كوردية

ـ عرض ونقد ـ

أ.د.فَرسَت مَرعي

✍ الشعب الكوردي غالبيته مسلمون على مذهب أهل السنة والجماعة بنسبة (80%) وفق مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، وهذا ما انعكس بوضوح على البنيات العقدية والفكرية والثقافية والاجتماعية لهذا الشعب، وما ترتب على ذلك من عادات وتقاليد وأفق تاريخي وممارسات حياتية.

ومع ذلك فإن الكورد يكنون حباً عميقاً لأهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا يبدو واضحاً في كثرة تسمية أبنائهم بأسماء أهل البيت، أمثال: علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وزينب، وجعفر، وعقيل (رضوان الله عليهم)، فضلاً عن انتشار الطرق الصوفية في كوردستان،كالقادرية والرفاعية والكسنزانية، التي تنتهي بمرجعيتها إلى شخصيات تنتهي بنسبها إلى البيت النبوي.

ولكن رغم ذلك، جاءت العديد من الروايات والآثار المنسوبة إلى أئمة الشيعة الاثنى عشرية، وتحديداً الإمام علي بن أبي طالب، والإمام السادس (جعفر الصادق)، والإمام الثاني عشر (=المهدي المنتظر)، وهي تحض على مقاطعة الكورد، وعدم إقامة علاقات المصاهرة والتجارة معهم، باعتبارهم قوماً"من الجنّ، كشف الله عنهم الغطاء". كما ترد في هذه الروايات العديد من حالات

الاحتكاك والاحتقان السياسي، التي ستجري في المستقبل، أو جرت فعلاً في زمن ورود هذه الروايات، أو ما قبلها.

يعتقد الكثير من الساسة والمراقبين، من العديد من الدول الأوروبية، ومن الدول الإقليمية، ومن دول الجوار العراقي، أن قيام دولة كوردية سيكون له تأثير كبير على العالم، بسبب الحرب العالمية على تنظيم (داعش)، كما لو أن انفجاراً كبيراً سيحدث في المجموعة الشمسية.

لذلك عدَّ (جلال الدين الصغير)، عضو البرلمان العراقي والقيادي في المجلس الإسلامي الأعلى وخطيب جامع براثا، أن الكورد هم المارقة المذكورون في كتب الملاحم والفتن، الذين سينتقم منهم الإمام المهدي حال ظهوره. وقال (الصغير) في محاضرة له: «إن أول حرب سيخوضها المهدي ستكون مع الأكراد، وإنه لن يقاتل أكراد سورية، أو أكراد إيران وتركيا، بل سيقاتل أكراد العراق حصراً."

جاء ذلك خلال محاضرة ألقاها سنة2012م، أثناء احتدام النقاش حول الاستفتاء الكوردي، وقيام دولة كوردية، وناقش فيها (جلال الصغير) وقائع سياسية حاضرة، بناءً على مرويات في كتب الملاحم والفتن، تتحدث عن علامات آخر الزمان وظهور المهدي، ليثبت عدم أحقية قيام دولة كوردية؛ وفيما إذا قامت، فإن المهدي سوف يدمرها.!

وناقش (الصغير) أحداث سورية قائلاً: "إن المرويات تؤكد ضرب دمشق بقنبلة نووية، وستخرب سورية كلها، عدا منطقة اللاذقية"، الأمر الذي استغربه متابعون عدّوا ذلك مساندة للنظام العلوي الطائفي، باعتبار أن اللاذقية هي العاصمة المرتقبة للدولة العلوية النصيرية، رغم أن غالبية سكانها كانوا من أهل السنة،إلى ما قبل التغيير الديموغرافي الذي استهدف أهل السنة في سوريا.

والشيخ (الصغير) هو أحد عتاة الطائفية المحرضين على إنهاء دور أهل السنة والجماعة في العراق، وكان مسجده (براثا)، الواقع في جانب الكرخ من بغداد، أحد المراكز الرئيسية للتحريض الطائفي.

وقد تعرَّض (الصغير) لحملة شديدة من قبل الكتَّاب والباحثين الكورد، فضلاً عن مواقع الإنترنت والفيسبوك، واتهموه بأنه يريد بهذه المحاضرة تخريب العلاقات الكوردية – الشيعية، التي كانت متينة على طول الخط.

وتجدر الاشارة إلىأن هناك عديد من الروايات والآثار المنسوبة زوراًإلى الأئمة المتبوعين عند الشيعة الاثنا عشرية، وتحديداً الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه –(الذي استشهد سنة40هـ/660م)، والإمام السادس جعفر الصادق - رحمه الله –(المتوفى سنة 148هـ/765م)، والإمام الثاني عشر- المهدي المنتظر(الذي غاب سنة260هـ/874م)، وإلى محدثي وعلماء الشيعة الكبار: الكليني القمي (المتوفى سنة329هـ/939م)، وابن بابويه القمي (المتوفى سنة381هـ/991هـ)، والمسعودي المؤرخ(المتوفى سنة346هـ/957م)، والطوسي رئيس الطائفة

(المتوفى سنة460هـ/1069م)، وابن المطهر الحلي (المتوفى سنة 726هـ/1336م)،وابن إدريس العجلي الحلي(المتوفى سنة598هـ/1201م)، وابن فهد الحلي الأسدي (المتوفى سنة841هـ/1438م)،وزين الدين بن علي الجباعي (= الشهيد الثاني)(المقتول سنة965هـ/1586م)، ومحمد علي الأردبيلي (المتوفى سنة 1101هـ/1690م)، ومحمد باقر المجلسي (المتوفى سنة 1110هـ/1699م)، ومحمد بن ابي المعالي الطباطبائي (المتوفى سنة 1231هـ/1815م)،وغيرهم كثير. ومن المعاصرين: مرجع الشيعة الكبير أبو الحسن الأصفهاني (المتوفى سنة 1367هـ/1946م)، وأحمد بن السيد يوسف بن السيد حسن الموسوي الخوانساري (المتوفى سنة 1405هـ/1985م)، ومرجع الشيعة في العراق والعالم:محسن الحكيم الطباطبائي البروجردي(المتوفى سنة 1390هـ/ 1970م)؛ تحضّ كلها على مقاطعة الكورد، وعدم إقامة علاقات المصاهرة والتجارة معهم، باعتبارهم قوماً من الجن، كشف الله عنهم الغطاء.

ويُرجع العديد من الباحثين سبب صدور هذه الروايات المفبركة على لسان الأئمة، إلى العداء التاريخي الذي نشأ بين الكورد والشيعة، على خلفية أن أعظم قائد كوردي في التاريخ الإسلامي، وهو (صلاح الدين الأيوبي)، قد قضى على أكبر دولة شيعية في التاريخ الإسلامي: (الفاطمية-العبيدية) سنة 567هـ/1171-1172م ، وأرجع (مصر)- حاضرة هذه الدولة - إلى حظيرة الخلافة العباسية.. ولكن الكثير من هذه الروايات جاءت في تاريخ مسبق على سقوط الدولة الفاطمية، ويكفينا مؤونة الجواب العالم الشيعي الكبير: (ابن إدريس العجلي الحلي)، بقوله في كتابه (السرائر) ج2، ص233:"وذلك راجع إلى كراهية معاملة من لا بصيرة له فيما يشتريه، ولا فيما يبيعه، لأن الغالب على هذا الجيل والقبيل، قلة البصيرة، لتركهم مخالطة الناس، وأصحاب البصائر."

لقد تعرّض الكورد، باعتبارهم من أهل السنة، خلال تاريخهم الطويل؛ لحملات عديدة من التشويه، طالت جنسهم وتراثهم وتاريخهم، لكن لم يصل الحد بأحد إلى التنبؤ بمستقبلهم، وكيف أنهم سيستولون على مناطق ليست جزءاً من بلادهم، وأنهم يعيثون في الأرض فساداً. والغريب أن هذه النبوءات منسوبة زوراً إلى آثار تعود إلى الخليفة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -. وعند مقارنة هذه الآثار بالحقيقة، وأدوات البحث العلمي، فإنه سرعان ما تنهار انهيار بيت العنكبوت، حيث يبدو التهافت والتحريض الطائفي واضحاً في ثنايا هذه النصوص البشرية، الموضوعة أصلاً لغايات سياسية، وعنصرية، تخدم أهدافاً محددة.

ويحاول (الصغير) اجترار ما دوَّنه سادته من علماء الشيعة، القدامى والمعاصرين، وتوظيفه في المستجدات السياسية الحالية (الخلاف بين المالكي والبارزاني)، على أساس أن الكورد قد خرجوا عن الطوق، وأن ظهور المهدي المنتظر كفيل بردعهم، وتطهير البلاد من دنسهم، واستند في ذلك إلى أقاويل عبارةً عن تنبؤات المهدي المنتظر الشيعي، الذي سيظهر في عنفوان قوة الكورد للانقضاض عليهم، وتخليص البشرية من شرهم.

ينقل الحاج الشيخ محمد مهدي زين العابدين النجفي، في كتابه الموسوم: (بيان الأئمة للوقايع الغريبة والأسرار العجيبة)، الجزء الأول من الخطبة الطنتجية، المنسوبة للخليفة الراشد علي بن أبي طالب، في الصفحة 278-279 و482 و496 – 500، تحت باب: (نور الأنوار)، و(الشيخ الكوردي)، و(ظهور الأكراد البارزون)، جاء فيها ما نصه: "وارتفع علم العماليق في كوردستان، وفي رواية أخرى قال: وعقدت الراية لعماليق كردان. وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): ويل للبغداديين من سيوف الأكراد".

وفي البيان (57) من الأخبار، الصفحة(479)، يذكر الشيخ النجفي في الأخبارعن ظهور المفقود بين التل، وخروج الأصفر، وفتنة شهرزور (= المنطقة الواقعة في أطراف السليمانية من جهة الشرق إلى الحدود الإيرانية)، وظهور الشيخ الكوردي، وهجوم الغربيين على دول الخليج والبصرة والحجاز والشام، ودخولهم أرض أرجون، أيْ: أرض فرنسا.

بعدها يشير إلى خطبة للإمام علي بن أبي طالب: "... ثم يظهر برأس العين رجل أصفر اللون، على رأس قنطرة، فيقتتل عليها سبعين ألفا صاحب محل. وترجع الفتنة إلى العراق، وتظهر فتنة شهرزور، وهي الفتنة الصماء، والداهية العظمى،والطامة الدهماء المسماة بالهلهم. ثم قال الراوي: فقامت جماعة وقالوا: يا أمير المؤمنين بيّن لنا من أين يخرج هذا الأصفر، وصِفْ لنا صفته، فقال (عليه السلام) في الصفحة (480):"أصفه لكم: مديد الظهر، قصير الساقين، سريع الغضب، يواقع اثنتين وعشرين وقعة، وهو شيخ كردي، بهي، طويل العمر، تدين له ملوك الروم، ويجعلون خدودهم وطاءه، على سلامة من دينه،وحسن يقينه. وعلامة خروجه: بنيان مدينة الروم ثلاثة من الثغور تجدد على يده [...]". بعدها يخرج من موضوع الشيخ الكوردي، ويتطرق إلى جوانب أخرى، لا علاقة لها بما هو منوه عنه آنفاً.

وفي شرح الشيخ النجفي للمصطلحات الواردة في تنبآته، يقول في الصفحة (482) ما نصه:"يستفاد من العبارات الأخيرة في هذه الخطبة، أن هذا الأصفر أحد رؤساء الأكراد. لأن رأس القنطرة هو أحد الأماكن التي تقع في شمال العراق، في أطراف محافظة السليمانية وأربيل وكركوك، فيقتل في حروب ومعارك متعددة من الجيش العراقي سبعين ألف رجل صاحب محل، أي له رتبة في الجيش العراقي. ولذا قال: وترجع الفتنة، أي هذه الحروب والوقائع، ترجع إلى العراق، وتظهر الحرب والمعركة أيضاً في شهرزور، وهي قرية وموضع في كوردستان، يقع غربي جبل أورامان، وهذه الفتنة تقع بين الجيش العراقي والأكراد. وعرفها الإمام علي(عليه السلام) بأنها الفتنة الصماء، والداهية العظمى، والطامة الدهماء المسماة بالهلهم... أي إنه حرب عظيمة، وفتنة طويلة صماء، أيْ شديدة. وإنها الداهية العظمى، أي نسبة إلى الدهاء، لأنها تكلف الغير بالدهاء العظيم. والطامة الكبرى، أي تطم رجالاً كثيرين، وتهلكهم من الطرفين: عرباً وأكراداً . ووصفها بأنها دهماء، أي سوداء مظلمة، وتسمى بالهلهم، والأصح: الهمهم. أي إن هذه الفتنة كالرعد القاصف، لها دوي، لعلها من قصف المدافع والقنابل والصواريخ فيها."

ثم سئل الإمام علي(عليه السلام) عن الأصفر، فعرّفه لهم، فقال عليه السلام: أصفه لكم. فوصفه بأنه رجل مديد الظهر، أي طويل الظهر، قصير الساقين، سريع الغضب، يحارب أهل العراق، ويواقعهم اثنتين وعشرين وقعة، وفي كل وقعة يقتل جمع كثير من الجانبين."

وفي اعتقادي أنه ربما يقصد بالشيخ الكوردي، الزعيم الكوردي الراحل ملا مصطفى البارزاني(1903-1979م)، لأن الحركة الكوردية ضد السلطات العراقية بدأت في شهر أيلول/ سبتمبر عام1961م، وهو وضع كتابه كما أسلفنا في سنة1383هـ/ 1963م، ولمتكن العلاقات بين الجانب الكوردي والإيراني على ما يرام في تلك الحقبة، مثلما صارت جيدة في الحقبة التي تلتها،إلى انهيار الحركة الكوردية عام 1975م. وربما يقصد بالأصفر لون الحزب الديمقراطي الكوردستاني، الذي هو أصفر اللون، وزعيمه هو الراحل البارزاني.

وفيما بعد يشرح مؤلف الكتاب النجفي الخطبة والمصطلحات الواردة فيها، كالعماليق وكوردستان، قائلاً: "العماليق جمع العمالقة، وهم طائفة وفرقة من الأكراد، وهم من أولاد عمليق بن آدم بن سام بن نوح (عليه السلام)، وهم متفرقون في أطراف الأرض، وفي الزمان السالف كان منزلهم الشام. وكوردستان منطقة جبلية تقع بين الأناضول وأرمينيا وأذربيجان والعراق، وتتقاسمها تركيا والعراق وإيران والاتحاد السوفيتي، سكانها أكراد، فهؤلاء الأكراد عبّر عنهم بالعماليق، لأن أصلهم من أولاد عمليق بن آدم. فإما تحركهم دولة أخرى، كما يظهر من قولة (علي بن أبي طالب): وعقد الراية لعماليق كوردستان، بأن يعقدها لهم شخص آخر، ودولة أخرى، فيرتفع علمهم، وإما أنهم يقومون بثورة ويتحركون، فيطلبون الاستقلال والدولة."

وفي الصفحة 496- 500 يتكلم الشيخ النجفي عن كوردستان، بقوله: "وسكان هذا الإقليم كلهم أكراد، وهؤلاء الأكراد، أي سكان هذا الإقليم خاصة، وهو إقليم كوردستان، لهم ثورة قبل ظهور الإمام القائم - المهدي المنتظر (عجل الله فرجه)، يطلبون فيها المملكة والدولة والاستقلال، فيقومون بثورة، ويرفعون شعاراتهم في إقليمهم، وذلك عند ضعف الحكومات المجاورة لهم، وعدم وجود من يكون معارضاً لهم، فينهضون ويثورون بعشائرهم وقبائلهم، ويرفعون العلم الخاص بهم، ويعقدون للكتائب من جيشهم راية خاصة لهم، بعد أن يرتبون (هكذا) دولة لهم. ففي بعض الروايات أنهم يحكمون البلاد المجاورة لهم، من السليمانية وكركوك وأربيل وخانقين، وأطراف هذه البلاد، ويكون شمال العراق بأجمعه."

وفي شرحه لاحتلال الكورد بغداد، عملاً بالرواية آنفة الذكر، يقول: "وفي بعض الروايات أنهم يهجمون على بغداد، ويقتلون من جيش بغداد جمعاً كثيراً (هكذا)، ويوقعون واقعة عظيمة في بغداد، كما يدل على ذلك الخبر المتقدم عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، حيث قال: ويل للبغداديين من سيوف الأكراد."

وقد صرّح محيي الدين بن عربي (= محي الدين العربي المتوفى سنة638هـ/) في منظومته التي نظمها في علائم ظهور الإمام الحجة (بحسب وصفه): "إن الأكراد يملكون بغداد وأطرافها

من شـمال العراق"، حيث قال: "وتملك الكورد (بغداد)، وسـاحتها،إلى خريسان، من شرق العراق. فلعلّه وجد الرواية المصـــــــرحة بهذه الواقعة، وأن الأكراد يملكون بغداد، وما حولها، من طرف الشـمال، مدة قصـيرة،إلى خريسـان. خريسان تقع بالقرب من خانقين، من قضاء مندلي وشهربان (وهي غير خراسـان الواقعة في شرق إيران)، ولذا فإن النهر الذي يجري من إيران إلى هذه البلاد، أيْ إلى مندلي وشـهربان يسمى نهر خريسان (لعله يقصد نهر ديالى، أو أحد فروعه)، فهذه البلاد والقرى تكون تحت أيدي الأكراد، وتحت تصـــرفهم وسيطرتهم. والظاهر أنهم يبقون حتى يظهر الإمام الحجة (عليه السـلام) على شوكتهم وقوتهم، وإن كانوا تحت إمرة غيرهم. فإذا ظهر الإمام (عليـه الســـلام)، ففي الرواية، كما ســـيأتي في بيان خاص، أن في الحجاز والعراق طوائف تحارب الإمـام القـائم (المهـدي المنتظر) عليه السـلام، ويحاربهم، منهم أعراب الحجاز، وأعراب العراق، والأكراد.

فالأكراد من الطوائف التي تحارب القائم عليه السلام، ويحاربهم، فيقضـــي عليهم، ويغلبهم، فيقتـل من يقتل منهم، والباقي يكونون تحت طاعته، ويمتثلون لأوامره ونواهيه، فيدخلون تحت سيطرته طوعاً أو كرهاً، كما سيقضـي على كل من يحاربه من الطوائف والدول. (الصفحة 535 - 538 من كتاب بيان الأئمة).

وعند مناقشـــة هذه النصـــوص المارة الذكر مناقشـــة علمية هادئة- يتبيّن لنا تهافتها -، وأن واضعها كان يبغي هدفاً معيناً يخدم به طرفاً معيناً، ألا وهو إيران، فالكتاب مطبوع في إيران، في عهد الجمهورية الإسـلامية! والمعلومات الواردة فيه ترجع دون شـك إلى الربع الثالث من القرن العشـرين، لأن الكتاب وضع أو ألّف سنة1383هـ الموافق سنة1963م ، وهذا ينطبق على حكم الشـاه (محمد رضا بهلوي)، الذي حكم إيران من سنة1941 لغاية 1979م. ومن جانب آخر، فإن الإمام علي بن أبي طالب اسـتشـهد سـنة 40هـــ فكيف يتطرق إلى ذكر بغداد، التي بنيت بعد استشهاده بأكثر من مائة سنة في 145-149هـــ في عهد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور؟ كما أن العمالقة الذين اعتبرهم (الشـيخ النجفي) طائفة من الكورد، هم أصـلاً من الكنعانيين، الذين كانت فلسـطين تسـمى باسـمهم (بلاد كنعان)، وهم قبائل سامية كانت تستوطن بلاد كنعان (= فلسـطين) في الألف الثالث قبل الميلاد، قبل أن تهاجر إليها القبائل البلسـتينية (الفلسطينية) من

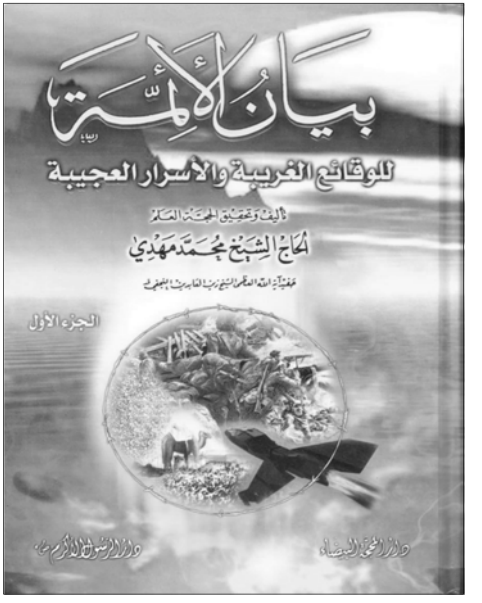

الجزر اليونانية (كريت، وغيرها) في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المعلومة بصورة تفصيلية، أثناء المحاورة التي جرت بين يوشع بن نون (= هوشع في التوراة)، قائد بني إسرائيل بعد وفاة النبي موسى (عليه السلام)، وبين جموع بني إسرائيل، عندما طلب منهم يوشع دخول الأراضي المقدسة، فكانت حجة بني إسرائيل أنهم لا يستطيعون دخولها، لأن فيها قوماً جبارين (العمالقة)، وهم الكنعانيون، حسب رأي غالبية المؤرخين والباحثين من الأجانب والعرب. ولهذا كثيراً ما كان الرئيس الفلسطيني الراحل (ياسر عرفات) يردّد في معرض الفخر والتحدي بأننا شعب الجبارين. كما أن القرآن الكريم أشار إلى قتل نبي الله داود (عليه السلام)، قائد الفلسطينيين العمالقة: جالوت (= جيليت في التوراة)، وسيطرته على مدينة يبوس (أورشليم – القدس).

والعمالقة الكنعانيون هم من الجنس السامي، أما الكورد ففي رأي غالبية المؤرخين الباحثين هم من الجنس الهندو - إيراني (= الآري)، أو على أقل تقدير ليست لديهم علاقة أثنية(= عرقية) مع الساميين.

وعند شرح الشيخ النجفي للخطبة المنسوبة خطأً إلى الإمام علي، يذكر أن الكورد تحركهم دولة: "وعقد الراية لعماليق كوردستان، بأن يعقدها لهم شخص آخر، ودولة أخرى، فيرتفع علمهم."

وفي اعتقادي أن المقصود بها (جمهورية مهاباد الكوردية في إيران)، عام 1946م، التي أسسها (القاضي محمد) بدعم سوفييتي، أثناء سيطرته على شمال إيران في الحرب العالمية الثانية. ولما كان الشيخ النجفي الإيراني مخلصاً لشاه إيران (محمد رضا بهلوي)، الذي قضى على هذه الجمهورية، وأعدم قادتها، ومنهم (القاضي محمد)،في 31آذار/مارس1947م ؛ فإنه جاء بهذه الدسيسة، ونسبها زوراً وبهتاناً إلى الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لكي يثبت للعالم أن الكورد لن تقوم لهم قائمة، إلا اعتماداً على الدعم الأجنبي، وهذا هو نفس الأسلوب الذي يردّده أعداء الكورد حالياً، من أنهم ينتظرون الدعم الغربي والإسرائيلي، وأنهم يتحينون الفرص للانقضاض على الأنظمة والحكومات التي تحكم الأجزاء العديدة من بلادهم كوردستان.

فبينما يردد البعض شعارات سياسية ضد الكورد، نلاحظ أن الشيخ النجفي اعتمد على آثار دينية تراثية (= تنبؤات) أشبه بالميثولوجيا، لإثبات أن الكورد يستغلون الفرص اعتماداً على قوى أجنبية، وإذا حالفهم الحظ فإن دولتهم أو كيانهم سرعان ما يزول، وإن طال أمده، على يد القائم (المهدي المنتظر).

ولكي يحوّل هذا الأثر المزعوم إلى واقع، شكّل (مقتدى محمد صادق الصدر) جيش المهدي،في شهر نيسان عام 2004م، الذي تبوأ فيه السيد (مسعود البارزاني) مسؤولية (رئاسة مجلس الحكم في العراق)، الذي تأسس على يد الحاكم العام الأمريكي (بول بريمر)، ويعتقد أن غالبية جيش المهدي هم من فدائيي صدام الساكنين مدينة الثورة (= حالياً مدينة الصدر)، والذي كان له دور خبيث في اغتيال وتهجير الآلاف من أهل السنة في بغداد والمحافظات في سنوات 2006-2007م.

ويظهر أن تصريحات الشيخ النجفي حول إبادة (المهدي المنتظر) للكورد، وفي روايات كثيرة قبلها للعرب؛ تشبه إلى حد كبير تصريحات الحاخام اليهودي (عوفاديا يوسف) حول إبادة الماشيح (المسيح المنتظر) للعرب... فهل هناك أوجه تشابه بين هذه الميثولوجيا ، والميثولوجيا اليهودية؟❐

الملاحق:

واضطربت : أي تحركت وماجت وضرب بعضهم البعض الآخر ، وهذا كناية عن حدوث أحزاب معادية بعضها للبعض الآخر ، فيقع الحرب ما بين الأحزاب ويقتل بعضهم بعضاً ويغلب بعضهم على بعض فالحزب القويّ يفترس الحزب الضّعيف ومال كلّ قوم منهم إلى حزب من الأحزاب .

ثمّ قال (عليه السلام) : وتحركت عساكر خراسان :

والمراد من هذه العساكر هي عساكر السّيد الحسني الذي يخرج من خراسان وتبع أو بويع شعيب بن صالح التّميمي من بطن الطّالقان ، وشعيب بن صالح هو سيّد هاشمي وهو يخرج من طالقان مع جماعة من أهل سيستان ، فيتّفق مع السّيد الحسني الخراساني والسّيد الحسيني المالك في إيران فيجعلون قائد الجيش السّيد الهاشمي وهو شعيب بن صالح التّميمي فيطردون جيش السّفياني من إيران ومن العراق .

ثمّ قال (عليه السلام) : وبويع لعبد بخوزستان وفي نسخة وبويع لسعيد السوسي بخوزستان .

ويعلم أنّ هذا سعيد السّوسي أصله من العبيد فهذا يقوم بثورة في خوزستان ويتبعونه جماعة من أهل خوزستان والمراد من خوزستان هي تستر ونواحيها .

ثمّ قال (عليه السلام) : وارتفع علم العماليق في كردستان وفي نسخة وعقد الراية لعماليق كردستان .

والعماليق جمع العمالقة وهم من أولاد عمليق بن آدم بن سام بن نوح (عليه السلام) . وهم متفرّقون في أطراف الأرض وفي الزّمان السّالف ، كان منزلهم الشّام وكردستان منطقة جبليّة تقع بين الأناضول وأرمينيا واذربيجان والعراق ، وهي تتقاسمها تركيا والعراق وإيران والاتّحاد السّوفياتي ، سكانها أكراد فهؤلاء الأكراد عبّر عنهم بالعماليق لأنّ أصلهم من أولاد عمليق بن آدم ،

البيان السّابع والخمسون
في الأخبار
عن ظهور المفقود من بين التل وخروج الأصفر
وفتنة شهر زور ، وظهور الشّيخ الكردي وهجوم
الغربيّين على دول الخليج والحجاز والبصرة
والشّام ودخولهم إلى أرض أرجون أي فرنسا

الزام النّاصب :

من خطبة للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قال :

العجب كلّ العجب ما بين جمادى ورجب ممّا يحل بأرض الجزائر ، وعندها يظهر المفقود من بين التل ، يكون صاحب النّصر فيواقع وقعة في ذلك اليوم ، ثمّ يظهر برأس العين رجل أصفر اللّون على رأس القنطرة فيقتل عليها سبعين ألفاً صاحب محل . وترجع الفتنة إلى العراق وتظهر فتنة شهر زور وهي الفتنة الصماء والدّاهية العظمى الطّامة الدّهماء المسماة بالهلهم .

قال الرّاوي : فقامت جماعة وقالوا : يا أمير المؤمنين بيّن لنا من أين يخرج هذا الأصفر وصف لنا صفته .

فقال (عليه السلام) : أصفه لكم مديد الظّهر قصير السّاقين سريع الغضب ، يواقع اثنتين وعشرين وقعة وهو شيخ كرديّ بهيّ طويل العمر ، تدين له ملوك الرّوم ويجعلون خدودهم وطاءه على سلامة من دينه وحسن يقينه ، وعلامة خروجه بنيان مدينة الرّوم على ثلاثة من الثّغور تجّدد على يده ، ثمّ يخرّب ذلك الوادي الشّيخ صاحب السّراق المستولي على الثّغور ، ثمّ يملك رقاب المسلمين وتنضاف إليه رجال الزّوراء ، وتقع الواقعة ببابل فيهلك فيها خلق كثير ، ويكون خسف كثير وتقع الفتنة بالزّوراء . ويصيح صائح الحقوا بإخوانكم بشاطىء الفرات ، ويخرج اهل الزّوراء كدبيب النّمل فيقتل منهم خمسون ألف قتيل . وتقع الهزيمة عليهم فيلحقون بالجبال ويقع باقيهم إلى الزّوراء ، ثمّ يصيح صيحة ثانية فيخرجون فيقتل منهم كذلك . فيصل الخبر إلى أرض الجزائر فيقولون الحقوا بإخوانكم فيخرج منهم رجل أصفر اللّون ، ويسير في عصائب إلى أرض الخط ويلحقه أهل هجر وأهل نجد .

ثمّ يدخلون البصرة فيعلق بها رجالها ، ولم يزل يدخل من بلد إلى بلد حتّى يدخل مدينة حلب وتكون بها وقعة عظيمة فيمكثون فيها مائة يوم .

ثمّ إنّه يدخل الأصفر الجزيرة ويطلب الشّام فيواقعهم وقعة عظيمة خمسة وعشرين يوماً ، ويقتل فيما بينهم خلق كثير ، ويصعد جيش العراق إلى بلاد الجبل ، وينحدر الأصفر يطلب الكوفة فيبقى فيها فيأتي خبر من الشّام أنّه قد قطع على الحاج فعند ذلك يمنع الحاجّ جانبه ، فلا يحجّ أحد من الشّام ولا من العراق ويكون الحج من مصر ، ثمّ ينقطع بعد ذلك ويصرخ صارخ من بلد الرّوم أنّه قد قتل الأصفر . فيخرج أي الأصفر بالجيش إلى الرّوم في ألف سلطان ، وتحت كلّ سلطان مائة ألف مقاتل صاحب سيف محلاً وينزلون بأرض أرجون قريبة مدينة السّوداء .

ثمّ ينتهي إلى جيش المدينة الهالكة المعروفة بأم الثّغور الّتي نزلها سام بن نوح ، فتقع الواقعة على بابها فلا يرحل جيش الرّوم عنها حتّى يخرج عليهم رجل

معركة مع أعدائه وينتصر عليهم في ذلك اليوم الّذي يخرج فيه .

ثمّ قال : ويظهر رجل برأس العين أصفر اللّون على رأس القنطرة فيقتل سبعين الف صاحب محلّ .

بيان :

يستفاد من العبارات الأخيرة في هذه الخطبة أنّ هذا الأصفر أحد رؤساء الأكراد ، لأنّ رأس القنطرة هو أحد الأماكن الّتي تقع في شمال العراق في أطراف محافظة السّليمانية وأربيل وكركوك ، فيقتل في حروب ومعارك متعدّدة من الجيش العراقي سبعين ألف رجل صاحب محلّ . أي له رتبة في الجيش العراقي . ولذا قال : وترجع الفتنة أي هذه الحروب والوقائع ترجع إلى العراق وتظهر الحرب والمعركة أيضاً في شهر زور وهي قرية وموضع في كردستان ، يقع غربي جبال أورامان وهذه الفتنة أيضاً تقع بين الجيش العراقي والأكراد . وعرفها الإمام (عليه السلام) بأنّها الفتنة الصّماء والدّاهية العظمى والطّامة الدّهماء المسماة بالهلهم .

أي أنّها حرب عظيمة وفتنة طويلة صماء ، أي شديدة . وأنّها الدّاهية العظمى ، أي نسبة إلى الدّهاء فهي تكلّف الغير بالدّهاء العظيم والطّامة الكبرى أي تطم رجال كثيرون ، وتهلكهم من الطّرفين عرباً وأكراداً . ووصفها بأنّها دهماء أي سوداء مظلمة ، وتسمّى بالهلهم ، والأصحّ الهمهم . أي أنّ هذه الفتنة كالرّعد القاصف لها دويّ ولعلّ ذلك من ضرب المدافع والقنابل والصّواريخ فيها .

ثمّ سئل الإمام (عليه السلام) عن الأصفر فعرّفه لهم فقال (عليه السلام) : اصفه لكم ، فوصفه بأنّه شخص مديد الظّهر أي طويل الظّهر ، قصير السّاقين سريع الغضب يحارب أهل العراق ، ويواقعهم اثنين وعشرين وقعة ، وفي كلّ وقعة يقتل جمع كثير من الجانبين .

٤٨٢

ثمّ قال : إنّه شيخ كرديّ بهيّ طويل العمر تدين لـه ملوك الرّوم إلى قـوله (عليه السلام) : على سلامة من دينه وحسن يقينه .

أي أنّ هذا الأصفر شيخ أي كبير ورئيس للأكراد وهـو كرديّ ، وبهيّ أي ذو بهاء . وطويل العمر ، أي ذا عمر طويل تدين لـه ملوك الرّوم ، أي تعتـرف برئاسته وقدرته وتتفّق معه وتخضع له ملوك الرّوم ، وهم ملوك الدّول الغـربية ، مع أنّه لا يغير دينه وطريقته فهو يسير عـلى مذهبـه الخاصّ ، ودينـه المقتنع بـه ، ولكن يتفّق الأجانب من الدّول الغربية معه لاحتياجهم إليه .

وذكر علامة لخروجه ووقائعه أن بنيان مـدينة الـرّوم على ثـلاثة من الثّغـور تجدّد على يده .

والثّغور أو العواصم هذه بلدة من الحصون الّتي شيّدها الخلفاء ، وجعلت حداً بين بلاد المسلمين وبلاد البزنطيّين في القـرن التّاسـع ، وهي تقع في شمـال سوريا ، منها طرطوس وأدنه ومرعش وملطيه وغيرها .

فهذه البلاد تقع فاصلة بين بلاد المسلمـين وبين بـلاد الكّفار من الـرّوم ، فإذا جدّد بنيان مدينة الرّوم في الحدود بين الإسلام والكفّار ، وتلك المـدينة تقـع قـريبة من ثـلاثة من الثّغـور أي لتلك المدينـة الّتي تبنى لأهل الـرّوم طرق ثـلاثة تتصـل بثلاثـة من الثّغور . فـإذا جدّد بنـاء مدينـة الرّوم فهـذه علامـة لخروجـه ووقائعه وحروبه .

ثمّ ذكر أنّ هذا البناء يخربه شيخ رئيس السّراق وصاحبهم عند ما يستـولي على ثلاثة من الثّغور ، فلعلّه يهجم عليهـا بالحـرب ويقصفها بـالقنابـل المحرقـة فيهدمها ، ويستـولي على أهلهـا وهذا الشّيـخ رئيس السّراق ، هـو من الأجانب الغربيّين يستولي على بـلاد الإسلام ويملك رقـاب المسلمين ، ويملك الـزّوراء أي بغداد ورجالها أي جيشها وأمراءها فيكونوا تحت يـد الأجانب مستعمـرين وأرقاء للأجانب الغربيّين ، وأذلاء صـاغرين فـإنّ الوصف الّـذي وصفه الإمـام (عليه السلام) يحكي الحقيقة والواقع .

البيان التاسع والخمسون
في الأخبار عن الأكراد البارزين واندحارهم
وارتفاع علم الأكراد الآخرين قبل قيام القائم (عليه السلام)
في كردستان

تفسير ابن كثير : المتوفّي سنة ٧٧٤ هجريّة في تفسير سورة الفتح) .

قال الله تعالى : ﴿**قل للمخلّفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون**﴾الى آخر الآية .

بيان :

قبل أن نذكر ما ذكره ابن كثير في تفسيره فنقول : إنّ المراد من المخلفين من الأعراب :

إمّا الّذين تخلفوا عن النّبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، للذّهاب إلى الجهاد معه ، أي المتخلّفين .

وإمّا المخلفين بالفتح وهم الّذين خلفهم النّبي ﷺ بعده بالمدينة بنفسه لمصلحة ، وهذان المعنيان لا يتفقان مع ما ذكره ابن كثير .

وأمّا المراد من المخلفين أي الخلفاء من الأعراب على الدّول الإسلامية

الّذين يأتـون في الأزمنة القـادمة الّتي تـأتي من بعده ، هـذا المعنى يصلح للتّفسير الّذي يذكره ابن كثير .

قال ابن كثير في تفسيره : اختلف المفسّرون في هؤلاء القوم الّذين يـدعون إليهم هم أولوا بأس شديد على أقوال :

قول : بأنّ أولئك القوم هم أهل فارس وهذا مروي عن ابن عباس .

وقول : بأنّهم الرّوم وهذا القول مرويّ عن كعب الأحبار .

وقول : بأنّهم أهل فارس والرّوم ، وهذا مرويّ عن ابن أبي ليلى وعطاء .

وقول : بأنّهم أهل الأوثان . وهذا مرويّ عن مجاهد .

وقول آخر ، عن مجـاهد أيضـاً بأنّهم رجـال أولوا بـأس شديـد ، ولم يعيّن فرقة .

وقول عن الأزهري : أنّ المراد من القوم هم قوم لم يأتوا أولئك بعد .

وحدّثنا ابن أبي عمـير ، حدّثنـا سفيان عن ابن أبي خـالد عن أبيـه قال : نزل علينا أبو هريرة ففسّر قول رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : تقـاتلوا قومـاً نعالهم الشّعر ، قال : هم البارزون يعني الأكراد .

وقـولـه تعـالى : ﴿تقـاتلونهم أو يسلمـون﴾ يعني شـرّع لكم جهـادهم ، وقتالهم فلا يزال ذلك مستمراً عليهم ولكم النّصرة عليهم أو يسلمـون فيدخلون دينكم بلا قتال بل باختيار .

بيان :

هذا الّتفسير الأخير للاية نصّ صريحاً على أنّ القوم الّذين بعد لم يأتوا وإنّما يأتون بعد ذلك ، أي في السّنين القادمة بعد النّبي ﷺ ، وفي آخـر الزّمـان هم الأكـراد البارزون . وهؤلاء سـوف يستمرّ قتـالهم مع العـرب من الإسـلام مـدّة مـديـدة . ولكّن العـرب من الإسـلام ينتصـرون بعـد ذلـك عليهم ويغلبـونهم

فيدخلون تحت طاعتهم . فقد دلّت هذه الرّواية على انتصار العرب على الأكراد ، واندحار الأكراد بعد استمرار الحرب الطّويلة مع العرب .

نور الأنوار :

من خطبة للإمام أمير المؤمنين (عليه أفضل التّحية والسّلام) :

قال فيها : وارتفع علم العماليق في كردستان .

وفي نسخة أخرى قال : وعقدت الرّاية لعماليق كردان .

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : وويل للبغداديّين من سيوف الأكراد .

بيان :

العماليق جمع العمالقة وهم طائفة وفرقة من الأكراد كما مرّ ذلك ، وهم من أولاد عمليق بن لاوذ بن آدم بن سام بن نوح النّبي (عليه وعلى نبّينا وآله السلّام) ، وهم متفرقون في أطراف الأرض في الزّمان السّالف وكان منزلهم في الشّام .

وكردستان هو إقليم كبير ومنطقة جبلية تقع بين الأناضول وأرمينيا واذربيجان والعراق ، وفي هذه الأزمنة تتقاسمها تركيا والجمهوريّة العراقية وإيران والاتحّاد السّوفياتي . وسكّان هذا الإقليم كلّهم أكراد . وهؤلاء الأكراد أي سكّان هذا الإقليم خاصّة ـ وهو إقليم كردستان ـ لهم ثورة قبل ظهور الإمام القائم عجّل الله فرجه ، يطلبون فيها المملكة والدّولة والاستقلال . فيقومون بثورة ويرفعون شعاراتهم في إقليمهم وذلك عند ضعف الحكومات المجاورة لهم وعدم وجود من يكون معارضاً لهم ، فينهضون ويثورون بعشائرهم وقبائلهم ويرفعون العلم الخاصّ بهم ،ويعقدون للكتائب من جيشهم راية خاصّة لهم بعد أن يرتبون دولة لهم . ففي بعض الرّوايات أنّهم يحكمون البلاد المجاورة لهم من

السّليمانية وكركوك وأربيل وخانقين وأطراف هذه البلاد ويملكون شمال العراق بأجمعه .

وفي بعض الرّوايات أنّهم يهجمون على بغداد ويقتلون من جيش بغداد جمع كثير ، ويوقعون واقعة عظيمة في بغداد ، كما يدّل على ذلك الخبر المتقدّم عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، حيث قال : وويل للبغداديّين من سيوف الأكراد .

وقد ذكرنا أنّ التّعبير بكلمة الويل في كلام الإمام (عليه السلام) ، إنّما هو في مورد يحلّ فيه واقعة أو مصيبة أو نازلة عظيمة وقتل وقتال .

فقوله (عليه السلام) : ويل للبغداديّين أي لأهل بغداد من سيوف الأكراد ، فيعلم أنّ سيوف الأكراد ستأخذ منهم مأخذاً عظيماً وتوقع بهم واقعة جسيمة وتفنى منهم جمعاً كثيراً .

وقد صرّح محيي الدّين بن عرب في منظومته الّتي نظمها في علائم ظهور الإمام الحجّة (عليه السلام) ، أنّ الأكراد يملكون بغداد وأطرافه من شمال العراق .

حيث قال :

وتملك الكرد بغداداً وساحتها الى خريسان من شرق لاعراق

فلعلّه وجد الرّواية المصرّحة بهذه الواقعة ، وأنّ الأكراد يملكون بغداداً وما حوله من طرف الشّمال مدّة قصيرة إلى خريسان ، وخريسان يقع بالقرب من خانقين من قضاء مندلى وشهربان . ولذا إنّ النّهر الّذي يجري من إيران إلى هذه البلاد أي إلى مندلى وشهربان يسمىّ بنهر خريسان ، فهذه البلاد والقرى تكون تحت أيدي الأكراد وتحت تصرفّهم وسيطرتهم .

والظّاهر أنّهم يبقون حتّى يظهر الإمام الحجّة (عليه السلام) على شوكتهم وقوتّهم وإن كانوا تحت إمرة غيرهم .

فإذا ظهر الإمام (عليه السلام) ففي الرّواية كما سيأتي في بيان خاصّ : أنّ في الحجاز والعراق طوائف تحارب الإمام القائم (عليه السلام) ، ويحاربهم منهم أعراب الحجاز وأعراب العراق والأكراد .

فالأكراد من الطّوائف الّتي تحارب القائم (عليه السلام) ، ويحاربهم فينقضي عليهم ويغلبهم فيقتل من يقتل منهم ، والباقي يكونون تحت طاعته ويمتثلون أوامره ونواهيه ، فيدخلون تحت سيطرته طوعاً أو كرهاً . كما سيقضي على كلّ من يحاربه من الطّوائف والدّول .

لأنّ أمره من أمر الله تعالى ولا غالب لأمر الله تعالى . وقد دلّ على ذلك القرآن الكريم حيث وعد الله أولياءه بالنّصر والغلبة ، ووعد المرسلين وأوصياءهم بالنّصر والسّلطنة . وقد سبق ذلك في اللّوح المحفوظ فقال تعالى : ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنّهم لهم المنصورون وإنّ جندنا لهم الغالبون﴾ .

فقد كتب الله تعالى لأوليائه من الرّسل وأوصيائهم النّصر والغلبة ، ولا ريب أنّ سيّدنا ومولانا الحجّة ابن الحسن (صلوات عليه وعلى آبائه الطّاهرين من أوليائه ومن أوصياء النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم) . فقد وعده بالنّصر على الأعداء والغلبة والله خير النّاصرين .

والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين المعصومين .

٥٠٠

المعرفة هي الحل

محمد رؤوف محمد

✍ مرّ العمل الإسلامي بمراحل عديدة منذ سقوط الخلافة، وظهرت حركات وأحزاب متعددة في الساحة العربية والإسلامية، وأنتجت دعاةً وقادةً في الدعوة والفكر والسياسة، ولم تنتج رجالاً للدولة بما يكفي، حيث لم تكن هناك فرصة للمشاركة أو الشراكة، وخاصةً بعد أن ظهرت الدولة الحديثة، ووراثها الأجندات الخارجية، وبقي الاستعمار بشكل غير مباشر..

وبالنتيجة تولدتْ نتيجة خطيرة، ألا وهي الفجوة بين المجتمع والمشـــــروع الإسـلامي.. وظل المشروع الإسلامي غريباً في أذهان الناس، من حيث السياسة والشأن العام.. ولم يبق للمشـــــروع الإسـلامي، والإسلاميين، إلاّ الدفاع عن النفس تارةً، والدفاع عن الإسلام كمنهج للحياة، نظرياً، تارةً أخرى.. واستمرت هذه الحالة لعقود..

أما الآن، وبعد الربيع العربي، وفشله، ووصول الإرهاب - بعده - إلى أقصى حدّه، من التنظيم إلى إعلان دولة وخلافة، ودخل المشـروع الإسلامي في أزمة خانقة، فلولا حكمة بعض القادة، وصبر بعضهم الآخر، والتنازل عن الاستحقاقات من قبل بعض الأحزاب والحركات (تونس مثلاً)، لكانت النتيجة أخطر، والأزمة أقوى..

واليوم، فالمشروع أمام تحديات كبيرة، داخلية وخارجية.. فماذا نفعل حتى يكون المشـــــروع مشـــــروعاً للوطن وللجميع والمجتمع؟.. وحتى يكون شريكاً مستقبلياً حقيقياً ؟ كيف نبدأ ونبني من جديد، بعقلية البناء: إنســاناً، ومجتمعات، ودولةً؟ كيف نســتطيع أن نكون للجميع، بمعنى الانفتـاح، وخـاصـــةً في مجـال الســـيـاســـة؟ كيف نتعامل مع الشـــباب، ومع المعرفة والعلوم،

والاختصاصات؟ وكيف نتعامل مع المرأة والشباب؟ وكيف نستعد للإجابة على الأسئلة الكبرى، من حريةٍ واقتصادٍ وتنميةٍ وإصلاحٍ وشفافيةٍ وسيادةٍ وتكاملٍ، وعلاقات خارجية، وتفاعلٍ مع المجتمع الدولي، ونعمل – في الوقت نفسه - ضمن منهجيةٍ واقعيةٍ، وبمرجعيةٍ أو خلفيةٍ إسلامية؟

أسئلةٌ كبرىٰ، وواقع غير مستقرّ، لا سياسياً ولا اقتصادياً، ولا حتّى اجتماعياً.. والأخطر من ذلك كله، أن الثقة باتت شبه معدومةٍ بين الشعوب والحكام والسلطات والأحزاب والساسة، لأسباب متعددة، منها: طول الانتظار للوصول إلى حلول جذرية، أو شبه جذرية، للصراعات، أو النزاعات، أو الأزمات السياسية، داخل الدول، وفيما بينها، خلال ثمانية عقود، في هذه المنطقة.. فكافة المشاريع، ومنها المشروع الإسلامي، مسؤولة أمام هذا الواقع المرير، حيث المجتمعات لا حول لها ولا قوة ولا حيلة، فالنخبة السياسية والفكرية والثقافية هم المسؤولون إذاً.

فما الحل، وكيف نبدأ، وما هي الخطوة الأولى؟

الحل يبدأ معرفياً، والتفكير الصحيح هو المفتاح، والمراجعة في الفكر السياسي هي الخطوة الأولى.. ولا غرابة في هذا الكلام، ولا بدعة في هذا الطرح، فنحن أبناء أمةٍ بدأت بمشروع التغيير في وقت وزمنٍ كانت البشرية تحتاج إلىٰ الحرية، والكرامة، ولقمة العيش، ودواء الأمراض والوبائات التي تعصف بمئات الآلاف سنوياً في كل مكان من أنواع الطاعون وغيرها. وأكثر من ذٰلك، فقد كان هناك طاعون عسكريٌّ سياسيٌّ متسلط على رقاب البشرية، المتجسد في امبراطوريتين كبيرتين، وهما: الإمبراطورية الساسانية الفارسية، والإمبراطورية الرومانية.. فهما ليستا أقل من الطاعون والوبائات في قتل وإبادة المجتمعات لقرون عدة.. فجواباً لسؤال البشرية آنذاك: ما هو الحل والمخرج ؟ نزل القرآن وقال: (اقْرَأْ). فهذا هو جواب رب العالمين، للمظلومين و الجياع، والمرضىٰ والجهلة..

إذاً، فالمعرفة هي الحل، كيف لا وقد كانت المعرفة نقطة قوةٍ وتميّز بين الإنسان والملائكة، التي يستشهد بها الله سبحانه وتعالى في جواب سؤال الملائكة لتفضيل آدم عليهم بحمل الأمانة والاستخلاف على الارض..

فقد نطق بالحقيقة إذاً، من قال: "من يملك المعلومة، يملك القوة". وصحيح: من يملك القوة على أساس المعرفة، فقد يملك الريادة، والقيادة، والسيادة، والعكس صحيح❐

أثر القراءة على الصحة العقلية

د.أكرم فتاح سليم
باحث في مقارنة الأديان والفلسفة
Akram_duhoky@yahoo.com

✍إحدى الأزمات التي يعيشها شبابنا اليوم: أزمة القراءة والمطالعة، وأزمة عدم تحسين القراءة والكتابة، وعدم معرفة معانيها، ومقاصدها، وكذلك عدم وجود مكتبات منزلية متواضعة في بيوتنا؛ فالأكاديميون، وخريجو الكليات والمعاهد، والموظفون، يعزفون عن القراءة تماماً، أما الذي يدعي بأنه يقرأ عدداً من الأسطر في أحد مواقع التواصل الاجتماعي، فهذه مخاطبات جامدة، أو محادثات، لا ترتقي إلى مستوى قراءة كتاب مجسم بين يديك، والإحساس بلذة حقيقية وأنت تقلب صفحاته.. فالأزمة لا تنحصر في كوردستان، بل تتعدى إلى البلدان العربية، وغيرها، كما ذكر الدكتور (فيصل قاسم)، في برنامجه الشهير (الاتجاه المعاكس)، بأن الفرد الأوربي والأمريكي يقرأ في السنة حوالي 10-12 كتاب سنوياً، مقارنة بفرد في البلدان العربية، لا يقرأ سوى صفحة واحدة في السنة.. ولكننا لن نفصل في هذه الجزئية، فموضوع المقال ليس حول أزمة القراءة، بل على فوائدها على الصحة العقلية والنفسية.

القِرَاءَة لغة: ضمّ الْحُرُوف والكلمات بَعْضهَا إلى بعض فِي الترتيل. سُمِّيَ القُرآن قُرْآناً لِأَنَّهُ جَمع القِصَص، والأمْر وَالنَّهْيَ، والآياتِ والسُّوَر، بَعْضَهَا إلى بَعْضٍ. وَهُوَ مَصْدَرٌ كالغُفْران. حيث نَزَلت أول كلمة في القرآن على قاعدة إقرأ، لقوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} سورة العلق: آية 1.

يمكننا تعريف القراءة: بأنها استيعاب لكل ما يُكتب، وتراه عين الإنسان. وهي أيضاً: المعرفة المفهومة، وهي غذاء العقل، حيث تُمكّن الإنسان من التعلم بنفسه.

تتّضح أهميتها من كلام الكاتب والمؤرخ البريطاني (جراهام جرين) (1837-1883م)، حين قال: "أحياناً أفكّر أن حياة الفرد تشكّلت بواسطة الكتب، أكثر مما ساهم البشر أنفسهم في تشكيل هذه الحياة". وتختلف أهمية القراءة لدى الأشخاص باختلاف ميولهم واهتماماتهم، فمنهم من يعتبرها وسيلة جيدة ومفيدة للاستمتاع بوقت الفراغ، ومنهم من يعتبرها ضرورة ومنهجاً للحياة، إلا أن القراءة تتجاوز حدود المتعة والمعرفة، لما لها من فوائد عديدة، تعود على الصحة العقلية والقدرات الذهنية.

نقدم للقارئ فوائد القراءة والمطالعة، التي من شأنها أن تعزز القدرات الذهنية، والصحة العقلية، للقرّاء. فمنها:

- **تقوية الوصلات العصبية:**

تُعد القراءة من أكثر الأنشطة التي تحفّز الدماغ للقيام بمهامه، وتُطّور القدرات الدماغية التواصلية والتحليلية، خصوصاً لدى الأطفال واليافعين، كما وتقوّي عمل الوصلات العصبية الموجودة في الدماغ.

- **زيادة التركيز:**

إن العمليات التي يقوم بها الدماغ أثناء قراءة النصوص، وتحليلها، تتنوع بين التأمل والتفكير، والتخيّل والتحليل، وربط الظواهر مع مفاهيمها؛ ما يؤدي إلى تنمية القدرات التأملية والتعبيرية، الكتابية منها والشفوية، وتطوير القدرات التحليلية، ورفع مستوى التركيز.. فسماعك لمقاطع موسيقيّة تساعدك على التركيز أثناءالقراءة.. وللحديث عن تعزيز وزيادة التركيز بشكل أفضل، ينصح الخبراء دائماً بأنواع معينة من الأطعمة، وبممارسات سلوكية صحية، مثل النوم لفترة كافية، والابتعاد عن التدخين.. وتأتي القراءة من الأنشطة الذهنية المساعدة بشكل قوي في زيادة تركيز العقل، وذلك للجهد المطلوب في تتبع سياق النص، أو الحفاظ على سير الأحداث - في الرواية، مثلاً -، أو الاحتفاظ بأسماء شخصيات العمل الروائي، أو استشهادات الكاتب وأفكاره.

- **تطوير القدرات الإبداعية:**

تتناسب القدرات الإبداعية طردياً مع معدلات القراءة، إذ إن القراءة تمكّن الفرد من التفكير بشكل غير مألوف، وتمكنّه أيضاً من الإتيان بما هو غير مسبوق، نظراً لتجدّد أفقه الثقافي والفكري المستمر نتيجة القراءة والاطلاع. وقد ربط العديد من المختصين بالصحة العقلية، مدى تطور القدرات الإبداعية لدى الأفراد بمعدلات القراءة والمطالعة.

- **تنشيط الذاكرة:**

القراءة المنتظمة، كونها واحدة من الأنشطة الدماغية، ومصدراً لتعزيز المهارات العقلية، تقلّل من فقدان الذاكرة، وتَحِدُّ من الإصابة بمرض الزهايمر؛ فقد أظهرت بعض الدراسات أن القرّاء المصابون بمرض الزهايمر ظهرت عليهم أعراض الإصابة بالمرض في وقت متأخّر، مقارنةً بغيرهم من غير القرّاء.. فالمطالعة المستمرة تضمن لصاحبها نشاطاً أفضل على مستوى الذهن والذاكرة.. قد يكون من المفيد أيضاً هنا تدريب العقل بتمارين بسيطة على التذكر، من خلال عمل تلخيصات للكتب، على شكل رسوم توضيحية، أو مخططات تلخيص.

- **مقاومة الاكتئاب والتوتر:**

تلعب القراءة دوراً في تقليل معدلات الاكتئاب والتوتر العصبي، لأن القارئ يكتسب أبعاداً فكرية جديدة، قد تقلل من سلبية أفكار معينة اكتسبها بفعل بعض التجارب الاجتماعية والشخصية.. وتعد القراءة أحد مقاومات الأمراض العصبية البسيطة، مثل الصداع والأرق.. ويمكنك تطوير استراتيجية في مقاومة الاكتئاب، من خلال خطة قراءة، تنتقي فيها عناوين محددة، قد تكون هذه الكتب في مجال الرواية، أو التنمية البشرية، وربما السيرة الذاتية، التي تحكي قصص أشخاص آخرين.

- **تحفيز الذهن:**

يحتاج العقل إلى تحفيز دائم، وقد تختلف هذه المحفزات من شخص إلى آخر، ومن عقل إلى آخر.. وقد يكون السفر، وتعلّم اللغات، أو ألعاب الذكاء، والألغاز، وألعاب الذهن، مثل الشطرنج، وغيرها، من المحفزات الجيّدة للذهن والعقل.. والتحفيز هنا مرتبط باستقبال معلومات جديدة تحتاج لاستيعاب أو تحليل، وربما إلى ربط، مما يحفّز العقل على العمل. من هنا ينصح بالبعد عن الكتب الدسمة، التي تحتاج جهداً عقلياً في القراءة، في فترة ما قبل النوم، حيث يكون العقل مهيئاً للدخول في فترة خمول، ولا يستجيب كباقي الأوقات، كما في الصباح مثلاً..

وكذلك من أهمية القراءة وفوائد المطالعة، تنمية الجانب المعرفي لدى الشخص القارئ في المجال الذي يقرأ فيه.. وفيها أيضاً اكتساب للخبرات والمعارف، والاطلاع على وجهات نظر مختلفة حول المواضيع والمجالات المتعددة.

ومن فوائد القراءة والمطالعة: زيادة الحصيلة اللغوية لدى الشخص القارئ، وهو الأمر الذي يكسبه رصيداً من المفردات والتراكيب، التي تعينه في التعبير عن نفسه، وفي الكتابة والتأليف❐

دوافع تحريم الصوم عند الباطنية الإسماعيلية

د.سنان أحمد

شكل سقوط فارس على أيدي العرب المسلمين حدثاً غيّر التاريخ تغييراً كاملاً. فمن الوجهة العقائدية، جاء الإسلام بالتوحيد، وهو ما لم تألفه (فارس) على مدى أكثر من ألف عام، حيث كانت دياناتها تتوزع بين المانوية والمزدكية والزرداشتية، وهي ديانات ثنوية، تؤمن بإلهَيْ النور والظلام، أو الخير والشر، ناهيك عن معتقدات أخرى، أهمها: تقديس النار، ورفع الملوك لمصاف الآلهة، والعلاقات الأسرية المنفلتة، كزواج المحارم... إلخ.

ولمقاومة المد الإسلامي، نشأت حركات الزندقة، وهي حركات فكرية علنية، استغلت تسامح العباسيين، لتعلن معارضتها للإسلام، على أساس أن أديان فارس القديمة أفضل من الإسلام.

ومن أشهر الزنادقة (عبدالله بن المقفع)، و(بشار بن برد)، الذي قال:

الأرض سافلة سوداء مظلمة

والنار معبودة، مذ كانت النار

فشلت حركات الزندقة فشلاً ذريعاً، لتصدي السلطة والناس لها، فاتجهت للتحرك تحت الأرض، واتخاذ الغلو في الدين وسيلة لذلك. نشأت الحركات الباطنية، وأهمها الباطنية الإسماعيلية، التي اتخذت من مبدأ نصرة آل البيت غطاءً لتحركاتها، وبعد طرد الإمام (جعفر الصادق) لدعاتها، لمعرفته بنواياهم السيئة، اتجهوا للالتفاف حول ابنه البكر (إسماعيل) (ت 138 هـ)، حيث لم يكن على سيرة والده.

تبلورت الأفكار الباطنية على يد (أبي ميمون القداح)، المؤسس الفعلي للحركة الباطنية الإسماعيلية، ومنظّرها، وهو القائل:

"إني أضـــيق بـدين محمـد، وليس عنـدي جيش أحارب أهله به، وليس لدي مال، ولكني في الحيلة طويل الباع، بحيث إذا لقيت عوناً من أحد، قلبت دين محمد رأساً على عقب".

والباطنية الإسماعيلية أقسى حركة عصفت بالفكر الإسلامي، تنظيماً وفكراً، ومن أكثر الحركات سرية في العالم. حتى إن المســتشـــــرق الشـهير (بيرنارد لويس) (ت 2014 م) يقول بأن الحركة الماسونية أخذت تنظيمها وأسسها من الإسماعيلية.

ولكي تعطي الباطنية الإسـماعيلية صـورة إسـلامية لتحركها، ولإخفاء مقاصدها الأصلية بإعادة إحياء أديان فارس القديمة، فقد تبنت مبادئ التأويل القســـري لآيات القرآن الكريم، والذي من خلاله زرعوا مفاهيماً غريبة عن جوهر الإسلام.

والتأويل القســـري هو التفسير المعتمد على الظن، وربط الألفاظ بمفاهيم لا تمّت للموضوع بصلة، اعتماداً على جهل الناس بأصول الشرع ومقاصده. فقالوا بأن لكل ظاهر باطن، وأن العمل بالباطن هو للخاصة، والعمل بالظاهر للعامة، وأن لكل تنزيل تأويلاً.

فقالوا عن معنى الزنى، هو: إلقاء نطفة العلم الباطن في نفس لم يسبق معها عقد العهد. وأن الكعبة هي النبـي، والباب: علي، والطوفان: طوفان العلم، والصيام: الإمساك عن كشف الستر.

ومما يجـب التـأكيـد عليـه، أن هـذه الأفكار كانت عاملاً مشـــتركاً للإســـماعيلية والقرامطة والفـاطميين، مما يؤكـد أن هـذه الحركـات مســـميـات مختلفـة للحركـة الباطنية، والتي جعلها (القدّاح) سبع مراتب، تبدأ بالتأنيس، وتنتهي بالإلحاد التام والإباحة.

والصـــوفيـة الحلوليـة، والتي كـان (الحلاج) (ت 309)، أحد أعمدتها، هي من نتاج الحركات الباطنية. وهو الذي تبنى فكرة اسـتبدال الحجر الأسود بحجر حيّ، هو الإمام. وكان (الحلاج) قد قال: "من صام ثلاثة أيام لا يفطر إلا في اليوم الرابع على ورقات، أجزأه ذلك عن صوم رمضان".

ولا يســـتغرب القـارئ من التأويلات المتغيّرة للصـــيام من فرقة إلى أخرى من فرق الباطنية، فالخطاب الباطني يتغيّر حسب الزمان والمكان والفئة المخاطبة. فالغاية كانت هدم أركان الإسلام بطرق ملتوية .

إن الولاء للإمام الباطني ولاءاً مطلقاً، فكرة مركزية لهذه الحركات، وبذلك ســـاروا على خطى الأديان الفارسية التي رفعت ملوكها لمصاف الآلهة، فهم: وجه الله، ويد الله، وقوة الله.. إلخ .

وفي ذلك قال أحد كبار دعاتهم، المدعو (أبو يعقوب إسحق السجستاني): "الصوم هو الصمت بين أهل الظاهر، وكتم الأسرار عنهم، وصـوم شـهر رمضـان هو سـتر مرتبة القائم - الإمام -، ومن شهد منكم الشهر فليصمه، أيْ: من أدرك زمان الإمام، فليلزم الصمت".

وذهـب قـاضي الإســـماعيليـة (ابن حيون) إلى أبعد من ذلك، عندما فرّق بين المعنى الظاهر للصوم المتعارف عليه عند عامة الناس، وهو الإمساك عن الطعام والشـــراب والجماع ، والمعنى الباطن، وهو كتمان علم باطن الشـــريعة عن أهل الظاهر، والإمســـاك عن المفاتحة به، ممن لم يؤذن له في ذلك!

وبعد قيام الدولة الفاطمية (297 هـ)، وظهور الخلافات السياسية، تعددت الفرق الباطنية. فقد نشأ المذهب الدرزي، وانتشر في الشام، على يد (حمزة بن علي الزوزني)، بعد موت (الحاكم بأمر الله) (ت 411 هـ)، وهو الخليفة السادس في السلسلة الفاطمية، ورفعه إلى مصاف الآلهة. والذي قال فيه الشاعر:

ما شئتَ لا ما شاءت الأقدار فاحكم، فأنت الواحد القهار

حيث اعتبر الصوم نافلة، وما يجب صومه هو العشر الأوائل من شهر ذي الحجة!

وشهدت الحركة الإسماعيلية الفاطمية انقساماً سياسياً عميقاً بعد وفاة الخليفة الفاطمي (المستنصر بالله) (ت 487 هـ)، فانقسمت إلى نزارية في فارس، ومستعلية في مصر.

فالآغاخانية الحالية هي امتداد للنزارية، والبهرة في (الهند) هم امتداد للفرقة المستعلية، الذين انقسموا بدورهم إلى داؤودية وسليمانية. وأما ما يسمى بالمذهب الإسماعيلي السني في (نجران)، فقد نشأ بعد هروب بقايا الإسماعيلية من مصر، بعد أن قضى (صلاح الدين الأيوبي)، عام (583 هـ)، على الدولة الفاطمية في مصر.

والصوم عند (الآغاخانية)، الذين لا يقرون بإمامة (الحسن بن علي) (رض)، ما هو إلا صوم العين والأذن واللسان، ولا يفسد صيامهم طعام ولا شراب، ويفطرون في العاشرة صباحاً. ويصومون كذلك يوم الجمعة من بداية كل شهر.

إن السرية التي تحيط بتعاليم الباطنية جعلت معرفة مثل هذه الطقوس أمراً عسيراً، لتغيّرها حسب المكان والزمان، كما ذكرنا آنفاً.

وعند جميع الفرق يجب الالتزام بالتقيّة، حتى يبقى المؤمن صائماً!

أما أتباع المذهب السني الإسماعيلي، فيصومون حسب التقويم الهجري الفاطمي، المشابه للتاريخ الميلادي، أيْ إن وقت رمضان ثابت لا يتغير، وهو أمر مخالف لحكمة الصوم.

وتوجد بعض الفرق لا تمتنع عن الأكل والشرب، ولكن تمتنع عن معاشرة النساء. وكلها تصب في تحريف الصوم، وغاياته العبادية. فأركان الصوم، ووقته، واضحة وضوح الشمس في القرآن والسنة، وكل التأويلات لا تصب إلا في إفساده، حسب قاعدة هدم الدين باسم الدين، ولا غير❐

رحلـــة خالـدة

عَلاء الدِّيـن حسَـــن
aladin.hasan@gmail.com

قضـــت حكمـة الله (عزَّ وَجـلَّ) أن يكون أســـاس قوَّة هـذه الأمَّة، بعد نعمتي الإيمان والإســـلام، نـابعاً مِن وحدتها وتماســـكها. قال الله تعَالى: **{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَـاعبُـدون}** الأنبيَـاء: 92. وقـال عزَّ وَجـلَّ: **{وَإِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّـةً وَاحِـدةً وَأَنـا رَبُّكُمْ فَاتَّقـون}**(المؤمِنـون: 52).

وقال رسول الله ﷺ: ((المؤمنُ للمُؤمنِ كَالبنيَان، يَشدُّ بَعضُه بَعضـــاً))[1]. وقال عليه الصَّلاة وَالسَّلام: ((المسلمُ أخُو المسـلِم ..))[2].

وإذا كانت كلمـة التَّوحيد مدخلاً إلى الإيمان؛ فإنَّ توحيدَ الكلمة سرُّ بقاء هذا الإيمان. ولقد بلغ مِن قدســـيَّة تضـــامن هذه الأمَّة، أنْ أمرنا الله ﷻ بعبادات هي في أبعد غاياتها ســـبيل إلى تحقيق المنعـة والقوَّة. قـال تعَالى: **{إِنَّما المؤمنُونَ إخوَة}**(الحجُرات: 10). فعلى مســـتوى الحيِّ الواحد، شرع الإسلام صلاة الجماعة. قال عليه الصَّلاة وَالسَّـــلام: ((صَلاةُ الجمَاعة أفضلُ مِن صَلاةِ الفذِّ – أي : الفرد – بِسـبعٍ وَعِشـــــرينَ درَجَة))[3]. وفي حديث آخر: ((يَدُ اللهِ علَى الجمَاعَة))[4]. والذِّئب، إنَّما يأكل مِن الغنم الشَّاردة.

وعلى مستوى البلدة، شرع الله (جلَّ شأنُه) صلاة الجمعة. قال تعَالى: {**حَافِظوا علَى الصَّلواتِ وَالصَّلاةِ الوُسطَى وَقُومُوا لله قَانِتين**}البقرَة : 283 . والصَّلاة الوسطى – قال البعض - هي صلاة الجمعة. وقال ﷻ: {**يَا أيُّها الَّذينَ آمنُوا إذَا نُوديَ للصَّلاةِ مِن يَومِ الجمعَةِ فَاسعَوا إلَى ذِكرِ الله وَذَرُوا البَيع ..**}(الجمُعة: 9). ولم يقل ﷻ: وذروا الشِّراء؛ لأنَّه إذا لم يكن هناك بيع؛ فلن يكون هناك شراء.

وعلى مستوى العالمِ الإسلاميِّ أجمع، شرع الله فريضة الحجّ، الّتي تتكرَّر في كلِّ عام مرَّة واحدة: {**وَللهِ علَى النَّاسِ حِجُّ البَيتِ مَن استَطاعَ إليهِ سَبيلا**}(آل عِمران: 97). ولقد قيل: الجمعة ميزان الأسبوع، ورمضان ميزان العام، والحجّ ميزان العمر.

مَعانٍ عَاطفيَّة:

والإسلام عندما شرع مناسك الحجّ ؛ إنَّما أراد أن يحوِّل الإيمان مِن معان نظريَّة إلى معان عاطفيَّة تربط الإنسان بنشأة الدِّين والمكافحين مِن أجل ظهوره، وبالمَواطن الأولى للوحي، وبسِيَر الدُّعاة والرُّعاة الّذين حملوا الأمانة، وعاشوا مِن أجلها؛ حتَّى أوصلوها إلينا..

ثمَّ إنَّ هذا البيت هو أوَّل مسجد بُني على ظهر الأرض لتوحيد الله، بُني على أنقاض الوثنيَّة الَّتي طالما عانى منها العقلاء، فكان مِن مراسم تحيَّة هذا البيت: أن يُطاف به سبعاً، مع التَّسبيح والتَّحميد والتَّوقير، بدءاً مِن الحجر الأسود. ثمَّ يأتي الطَّواف بين الصَّفا والمروة، إحياءً لسنَّة إبراهيم وهاجَر وولدهما إسماعيل؛ حيث تركهما إبراهيم بأمر الله، فامتثلت هاجر واثقة بعناية الله ورعايته، فجرت يمنة ويسرة سبعة أشواط بين الصَّفا والمروة، حتَّى شاء الله أن يفجر لها نبع زمزم.

حِكمَة المقَارَنة:

ولحكمة بالغة - علِمها مَن علِم، وجهلها مَن جهل- قرن الله تعَالى فريضة الحجّ بخليله إبراهيم عليه السلام.. قال تعَالى: {**وَإذْ بوَّأنا لإبراهيمَ مَكانَ البَيتِ أَن لاَ تُشرِكْ بِي شَيئاً وَطهِّرْ بَيتيَ للطَّائفينَ وَالقَائمينَ وَالرُّكَّعِ السُّجود**}(الحجّ: 26).

وقال عزَّ وَجلَّ: {**وَإذ ابتلَى إبْراهيمَ ربُّهُ بِكلمَاتٍ فَأتمَّهنَّ قَالَ إنِّي جَاعلُكَ للنَّاسِ إمَاماً قَالَ وَمِنْ ذرّيّتي قَالَ لاَ يَنالُ عَهدي الظَّالمين * وَإذْ جَعلنَا البَيتَ مَثابةً للنَّاسِ وَأَمناً وَاتّخِذوا من مقَامِ إبْراهيمَ مصلًّى وَعهِدنَا إلَى إبْراهيمَ وَإسماعيلَ أنْ طهِّرا بَيتيَ للطَّائِفينَ وَالعَاكِفينَ وَالرُّكَّعِ السُّجود**}(البقَرة : 124 – 125).

ابتلاه الله بالنّمرود الغارق في غيِّه وطغيانه؛ حيث قضت محكمته بعقاب في غاية الصّرامة تمثَّل في جلسة النّطق بالحكم بإحراق إبراهيم: {**قَالُوا حرِّقوهُ وَانصُروا آلهتكُمْ إنْ كنتُم فَاعِلين**}(الأنبيَاء: 68). فما كان موقف إبراهيم مِن هذا الابتلاء إلاّ أنْ صبر وصابر.. والصَّبر: حبس النَّفس، ومجاهدة الأهواء؛ والمصابرة: مغالبة الأعداء في الصَّبر. ولقد جاء في الحديث أنَّ جبريل عليه السلام جاءه، وهو مقيَّد في القاذف في اللّحظات الحاسمة، وقال له: أليست لك حاجة؟ قال: أمَّا إليك فلا. قال: فسل ربَّك. قال: حسبي الله ونعم الوكيل!..

الله أكبر.. ما أبلغ وأجلَّ وأعمق هذه العبارة.. حسبي الله ونعم الوكيل. ولأنَّها – أي: العبارة – بليغة وعميقة وجليلة، فقد شاءت قدرة الله أن تتحوَّل النَّار المتَّقدة الملتهبة إلى رَوح وريحان: {**قُلنَا يَا نَارُ كُوني بَرداً وَسَلاماً علَى إبْراهِيم**}(الأنبيَاء: 69). فكانت النَّار كما أراد الله تبارَك وَتعَالى.

وتتالت الابتلاءات على إبراهيم.. مِن ذلك: أمْرُ الله له بأن يذبح فلذة كبده وقرّة عينه.. كلُّ هذه الابتلاءات؛ لأنَّ إبراهيم إمام مرسَل، والإمام المرسَل عندما ينادي فإنَّ نداءه بأمر الله يُلبَّى: {**وَأذِّن فِي النَّاسِ بِالحجِّ يَأتُوكَ رِجالاً وَعلَى كُلِّ ضَامرٍ يأتينَ منْ كلِّ فج عَمِيق**}(الحجّ: 27).

والحكمة الأخرى البالغة في إقران الله تعَالى فريضة الحجّ بأبي الأنبياء، هي تعليم الله لنا بأن نجعل مِن حجِّنا إلى بيته الحرام بوابة التَّضحية مِن أجل المبادئ السَّامية والقيم المثلى. والله تعَالى يقول: {**إنَّ أَولَى النَّاسِ بإبْراهيمَ للَّذينَ اتَّبعُوهُ وَهَذا النَّبيّ وَالَّذينَ آمنُوا**}(آل عِمران: 68).

فهل عاهدنا ربَّنا جلّ جلاله كما عاهد إبراهيم مِن قبل؟ وهل ثبتنا انتصاراً لدِين الله، كما ثبت إبراهيم مِن قبل؟..

قد يقول قائل: ولكنَّنا ضعاف كبشر، مقارنة بأبي الأنبياء كنبيّ وأسوة! والجواب: إنَّنا عندما نطوف ببيت الله الحرام، لا بدَّ أن نقول بلسان الحال والبيان: إنَّنا حقّاً ضعاف، وها قد جئناك يا ربَّنا ساعين ملبِّين، وليس لنا أن نسعى أو نلبِّي إن لم تقْدرنا على ذلك.

فهذا الإقرار مِن العبد لخالقه ومولاه دليل على صلته وثباته.. هذا الإقرار يعيد المسلم كأنَّه مخلوق جديد، فيعود أنقى قلباً، وأصدق عزماً، بعد أن هاجر إلى ربِّه متحمِّلاً وعثاء السَّفر، و(السَّفر قطعة مِن العذاب)، وباذلاً مِن نفسه وماله.. فالحجُّ يجمع بين المال والبدن، ويعبِّر عن أبعد معاني المساواة: ففي صلاة الجماعة يقف كلُّ إنسان بجوار أخيه الّذي يصطفّ عن يمينه وشماله، الصَّغير بجانب الكبير، والغنيُّ بجانب الفقير، ولكنَّهم يتمايزون بملابسهم.. أمَّا في الحجّ، فإنَّ النَّاس يتجرَّدون مِن الثِّياب الّتي قد يختال بها البعض، ويقتصرون على قطعتي قماش لم

تعمل فيها يد الصّنعة والتَّزويق، يلبســـها الملك والأمير، والمسكين والفقير، وقد تساووا كأسنان المشط.. وهذا تحقيق لمبدأ العودة إلى نقاء الطّبيعة، الّذي دعا إليه [جان جاك روسو]، وغيره مِن فلاسـفة العالم، ولم يحقّقوه.

والحجّ تجسـيد لمعنى السَّلام: **{وَإِذْ جَعلنَا البَيتَ مَثابةً للنَّاسِ وَأَمنا}**(البقرَة: 125). ولقد قال عمر بن الخطّاب ﷺ: (لو رأيت فيه قاتل أبي، ما مسسته بأذى). إنَّه أمان لا نظير له، يشمل الطَّير في السَّماء، ويشمل الصَّيد والنَّبات في الأرض.

وإنَّ أعداء الإسـلام يدركون خطر هذا المؤتمر، حتَّى قال مَن قال: سـيظلُّ الإسـلام صـخرة عاتية، مادام فيه: القرآن، واجتماع الجمعة الأسبوعي، ومؤتمر الحجّ السَّنوي.

الذِّكرُ الدَّائـم:

ويبقى المقصـد الأوَّل مِن العبادات في الإسـلام: الامتثال لأمر الله ﷻ، والوفاء بحقِّه سـبحانَه وَتعَالى، إلى جانب تحقيق التَّضامنِ الإسلاميِّ على أوسع نطاق.. على أنَّ الحجَّ هـو أكثر العبـادات أثراً في ترسـيخ هذه المعاني؛ ففيه توسيـع لأفقِ المسـلم الثَّقافـيِّ والاجتماعيّ، وفيه تدريب على التَّضحية، وفيه منافع تهمُّ المسلمين، وفيه ذِكر دائـم:

{فإذَا أفَضتم مِن عَرفاتٍ فَاذكُروا الله عِندَ المشعَرِ الحَرامِ وَاذْكروهُ كمَا هَداكُم وَإنْ كُنتُم منْ قَبلِهِ لمنَ الضَّـالينَ ثمَّ أَفيضُـوا مِن حَيثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسـتغفِروا الله إنَّ الله غفورٌ رحِيم.فَإذَا قَضيتُم مَناسكَكمْ فَاذكُروا الله كَذِكركم آباءَكمْ أَو أَشدَّ ذِكرا}البقرَة : 198 – 200.

فذِكر الله هو الأسـاس في هذه المناسـك ؛ لذلك يُسـنُّ للحاجِّ أن يصـيح بالتَّلبية: (لبَّيك اللَّهُمَّ لبَّيك، لبَّيك لاَ شَريك لكَ لبَّيك، إنَّ الحمدَ وَالنِّعمة لكَ وَالمُلك، لاَ شريكَ لَك).

- وإذا نعتنا الحجّ بالرِّحلـــة، فإنَّها ليست برحلة ميتة، وإنَّما هي رحلة إيمانيَّة كريمة مباركة تُغفَر فيها الذُّنوب، وتمحى فيها العيوب، وتطمئنُّ فيها القلوب❐

الهوامش:

1- البخاريّ 467 ، ومسلم 2585 ، مِن حديث أبي موسى.

2- صحيح البخـاريّ، كتاب الأدب، حديث رقم 6066. مسـلم، ك البِرّ، حـ 2564 ، مِن حديث أبي هريرة.

3- البخاريّ: 271/2 ، ومسلم : 650/2.

4- أخرجه التِّرمـذيّ برقم 2167.

تأملات في قانون القذف والزهف

صالح شيخو الهسنياني

قوى البغي والجبروت والطغيان والدكتاتورية، حينما تجد الثبات والقوة والصلابة والعزة عند المؤمنين قد بلغت مداها، وأن الإيذاء النفسي والعزل السياسي والوظيفي والاجتماعي، والحصار المادي، لا تجدي أمام صلابة الإيمان في نفوس المدافعين عن الحق؛ والمنادين بحكم شرع الله تعالى، وحينما تصبح الصورة بارزة وشاهدة أمام العيان، وأمام قوى الظلم والطاغوت، يطيش عقلها، وتلجأ إلى البطش الجسدي، باسم القانون ومكافحة الإرهاب وحماية الوطن، مهما كلفها ذلك من عواقب وخسائر مادية.

إذاً، هو الابتلاء، "والابتلاء مرتبط بالتمكين ارتباطاً وثيقاً، فلقد جرت سنة الله تعالى ألا يمكن الأمّة إلا بعد أن تمر بمراحل الاختبار المختلفة، وإلا بعد أن ينصهر معدنها في بوتقة الأحداث، فيميز الخبيث من الطيب. وهي سنة الله جارية على الأمة الإسلامية لا تتخلف، فقد شاء الله تعالى أن يبتلي المؤمنين ويختبرهم؛ ليمحص إيمانهم، ثم يكون لهم التمكين في الأرض بعد ذلك" .

والله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء، ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله، مغيّب عن علم البشر، فيحاسب الناس - إذاً - على ما يقع من عملهم، لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من أمرهم. وهو فضل من الله من جانب، وعدل من جانب، وتربية للناس من جانب، فلا يأخذ أحداً إلا بما استعلن من أمره، وبما حققه فعله. فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه!.

إن الإيمان أمانة الله في الأرض، لا يحملها إلا من هم لها أهل، وفيهم على حملها قدرة، وفي قلوبهم تجرد لها وإخلاص. وإلا الذين يؤثرونها على الراحة والدعة، وعلى الأمن والسلامة، وعلى المتاع والإغراء. وإنها لأمانة الخلافة في الأرض، وقيادة الناس إلى طريق الله، وتحقيق كلمته في عالم

الحياة. فهي أمانة كريمة، وهي أمانة ثقيلة، وهي من أمر الله، يضطلع بها الناس، ومن ثم تحتاج إلى طراز خاص يصبر على الابتلاء.

ومن الفتنة أن يتعرض المؤمن للأذى من الباطل، وأهله، ثم لا يجد النصير الذي يسانده ويدفع عنه، ولا يملك النصرة لنفسه، ولا المنعة، ولا يجد القوة التي يواجه بها الطغيان. وهذه هي الصورة البارزة للفتنة، المعهودة في الذهن حين تذكر الفتنة. ولكنها ليست أعنف صور الفتنة. فهناك فتن كثيرة في صور شتى، ربما كانت أمرّ وأدهى.

وأما الذين يفتنون المؤمنين، ويعملون السيئات، فما هم بمفلتين من عذاب الله، ولا ناجين، مهما انتفخ باطلهم وانتفش، وبدا عليه الانتصار والفلاح .

آيات القذف والزهق

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء:81).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (48) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ (سبأ:48-49).

وقال سبحانه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (الأنبياء:18).

معاني المفردات:

القذف: رمي جسم على جسم. واستعير هنا لإيراد ما يزيل ويبطل الشيء من دليل أو زجر أو إعدام، أو تكوين ما يغلب.

الدمغ: كسر الجسم الصلب الأجوف.

الزاهق: المنفلت من موضعه والهالك .

وَزَهَقَ الْبَاطِلُ: زهق الشيء يزهق زهوقاً، فهو زاهق وزهوق: بطل وهلك واضمحل... وزهق الباطل: إذا غلبه الحق، وقد زاهق الحق الباطل. وزهق الباطل أيْ: اضمحل .

فَيَدْمَغُهُ: أيْ يقهره ويهلكه. وأصل الدمغ شج الرأس حتى يبلغ الدماغ .

فَيَدْمَغُهُ: أيْ يعلوه ويغلبه ويبطله؛ قال الأزهري: فيدمغه: فيذهب به ذهاب الصغار والذل .

من طبيعة الحق الثبات، ومن طبيعة الباطل الاضمحلال:

هذا الذي جئتكم به هو الحق. الحق القوي الذي يقذف به الله. فمن ذا يقف للحق الذي يقذف به الله؟ إنه تعبير مصور مجسم متحرك. وكأنما الحق قذيفة تصدع وتخرق وتنفذ، ولا يقف لها أحد في طريق.. يقذف بها الله ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ فهو يقذف بها عن علم، ويوجهها على علم، ولا يخفى عليه هدف، ولا تغيب عنه غاية، ولا يقف للحق الذي يقذف به معترض، ولا سد

يعوق. فالطريق أمامه مكشوف ليس فيه مستور! ويتلوه الإيقاع الرائع في مثل عنفه وسرعته: ﴿قُلْ: جاءَ الْحَقُّ، وَما يُبْدِئُ الْباطِلُ وَما يُعِيدُ﴾..

جاء هذا الحق في صورة من صوره، في الرسالة، وفي قرآنها، وفي منهجها المستقيم. قل: جاء الحق. أعلنْ هذا الإعلان. وقررْ هذا الحدث. واصدع بهذا النبأ. جاء الحق. جاء بقوته. جاء بدفعته. جاء باستعلائه وسيطرته ﴿وَما يُبْدِئُ الْباطِلُ وَما يُعِيدُ﴾.. فقد انتهى أمره. وما عادت له حياة، وما عاد له مجال، وقد تقرر مصيره وعرف أنه إلى زوال.

إنه الإيقاع المزلزل، الذي يشعر من يسمعه أن القضاء المبرم قد قضى، وأنه لم يعد هناك مجال لشيء آخر يقال.

وإنه لكذلك. فمنذ جاء القرآن استقر منهج الحق واتضح. ولم يعد الباطل إلا مماحكة ومماحلة أمام الحق الواضح الحاسم الجازم. ومهما يقع من غلبة مادية للباطل، في بعض الأحوال والظروف، إلا أنها ليست غلبة على الحق. إنما هي غلبة على المنتمين إلى الحق. غلبة الناس لا المبادئ. وهذه موقوتة ثم تزول، أما الحق فواضح بيّن صريح .

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء:81).

بهذا السلطان المستمد من الله، أعلن مجيء الحق بقوته وصدقه وثباته، وزهوق الباطل واندحاره وجلائه.

فمن طبيعة الصدق أن يحيا ويثبت، ومن طبيعة الباطل أن يتوارى ويزهق..

الباطل لا يحمل عناصر البقاء

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً﴾.. حقيقة لدنيّة يقررها بصيغة التوكيد، وإن بدا للنظرة الأولى أن للباطل صولة ودولة. فالباطل ينتفخ ويتنفج وينتفش، لأنه باطل لا يطمئن إلى حقيقة، ومن ثم يحاول أن يموّه على العين، وأن يبدو عظيماً كبيراً ضخماً راسخاً، ولكنه هش سريع العطب، كشعلة الهشيم ترتفع في الفضاء عالياً ثم تخبو سريعاً وتستحيل إلى رماد، بينما الجمرة الذاكية تدفئ وتنفع وتبقى، وكالزبد يطفو على الماء، ولكنه يذهب جفاء، ويبقى الماء.

﴿إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً﴾.. لأنه لا يحمل عناصر البقاء في ذاته، إنما يستمد حياته الموقوتة من عوامل خارجية، وأسناد غير طبيعية، فإذا تخلخلت تلك العوامل، ووهت هذه الأسناد، تهاوى وانهار. فأما الحق، فمن ذاته يستمد عناصر وجوده. وقد تقف ضده الأهواء، وتقف ضده الظروف، ويقف ضده السلطان.. ولكن ثباته، واطمئنانه، يجعل له العقبى، ويكفل له البقاء، لأنه من عند الله الذي جعل ﴿الْحَقّ﴾ من أسمائه، وهو الحي الباقي الذي لا يزول.

﴿إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً﴾.. ومن ورائه الشيطان، ومن ورائه السلطان. ولكن وعد الله أصدق، وسلطان الله أقوى. وما من مؤمن ذاق طعم الإيمان، إلا وذاق معه حلاوة الوعد، وصدق العهد. ومن أوفى بعهده من الله؟ ومن أصدق من الله حديثا؟

مجيء الحق لإراحة الناس من الباطل المتجبر

وقوله تعالى: ﴿جَآءَ الحق وَزَهَقَ الباطل.. ﴾ (الإسراء: 81) يشعرنا بأن الحق أتى بنفسه؛ لأنه نسب المجيء إلى الحق، كأنّه أمر ذاتيّ فيه، فلم يأْتِ به أحد. وكذلك في: ﴿وَزَهَقَ الباطل..﴾ (الإسراء: 81)، فالباطل بطبيعته زاهق مُندحر ضعيف لا بقاءَ له. إذاً: جاء الحق ليس لاستعباد الناس، ولكن لراحتهم، ورَفْع رؤوسهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الباطل كَانَ زَهُوقاً﴾ (الإسراء: 81). زَهُوق صيغة مبالغة، فالباطل نفسه سريعاً ما يذهب ويندثر. ومن العَجَب أن ترى الباطل نفسه من جنود الله؛ لأن الباطل لو لم يُؤلم الناس ويُزعجهم، ما تشوَّقوا للحق، وما مالوا إليه، فإذا ما لدغهم الباطل، واكتَوَوْا بناره، عرفوا الحق .

ومجيء الحق مستعمل مجازاً في إدراك الناس إياه، وعملهم به، وانتصار القائم به على معاضديه، تشبيهاً للشيء الظاهر بالشيء الذي كان غائباً، فَوَرَدَ جائياً.

وزهق: اضمحل بعد وجوده. ومصدره: الزهوق والزهق. وزهوق الباطل مجاز في تركه أصحابه، فكأنه كان مقيماً بينهم ففارقهم. والمعنى: استقر وشاع الحق الذي يدعو إليه النبي، وانقضى الباطل الذي كان النبي (صلى الله عليه وسلم) ينهى عنه.

وجملة: (إن الباطل كان زهوقاً) يشمل كل باطل، في كل زمان. وإذا كان هذا شأن الباطل، كان الثبات والانتصار شأن الحق، لأنه ضد الباطل، فإذا انتفى الباطل، ثبت الحق.

غلبة الباطل حيناً، يعني معالجة الضعف واستكمال النقص:

والمؤمنون بالله لا يخالجهم الشك في صدق وعده، وفي أصالة الحق في بناء الوجود، ونظامه، وفي نصرة الحق الذي يقذف به على الباطل فيدمغه.. فإذا ابتلاهم الله بغلبة الباطل حيناً من الدهر، عرفوا أنها الفتنة، وأدركوا أنه الابتلاء، وأحسوا أن ربهم يربيهم، لأن فيهم ضعفاً أو نقصاً، وهو يريد أن يعدّهم لاستقبال الحق المنتصر، وأن يجعلهم ستار القدرة، فيدعهم يجتازون فترة البلاء، يستكملون فيها النقص، ويعالجون فيها الضعف.. وكلما سارعوا إلى العلاج، قصّر الله عليهم فترة الابتلاء، وحقق على أيديهم ما يشاء. أما العاقبة فهي مقررة: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِقٌ﴾، والله يفعل ما يريد.. (في ظلال القرآن: 2372/4).

الحق قذيفة في يد القدرة:

والتعبير يرسم هذه السُنة في صورة حسية حية متحركة. فكأنما الحق قذيفة في يد القدرة، تقذف به على الباطل، فيشق دماغه! فإذا هو زاهق، هالك، ذاهب..

هذه هي السـنة المقررة، فالحق أصـيل في طبيعة الكون، عميق في تكوين الوجود. والباطل منفي عن خلقة هذا الكون أصلاً، طارئ لا أصالة فيه، ولا سلطان له، يطارده الله، ويقذف عليه بالحق، فيدمغه.

ولا بقاء لشيء يطارده الله، ولا حياة لشـيء تقذفه يد الله فتدمغه! ولقد يخيل للناس - أحياناً - أن واقع الحياة يخالف هـذه الحقيقة التي يقررها العليم الخبير. وذلك في الفترات التي يبدو فيها الباطل منتفشـاً كأنه غالب، ويبدو فيها الحق منزوياً كأنه مغلوب. وإن هي إلا فترة من الزمان، يمد الله فيها ما يشاء، للفتنة والابتلاء. ثم تجري السنة الأزلية الباقية، التي قام عليها بناء السماء والأرض، وقامت عليها العقائد والدعوات، سواء بسواء.

قذيفة تصيب الدماغ -الرأس:

فقوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ (الأنبياء:18): القذف: الرَّمْي بشـدة، مثل القذائف المدمرة. ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ (الأنبياء:18) يقال: دمغه، أي: أصاب دماغه. والدماغ أشرف أعضاء الإنسان، ففيه المخ، وهو ميزان المرء، فإنْ كان المخ سليماً، أمكن إصلاح أيِّ عطل آخر، أما إنْ تعطّل المخ، فلا أملَ في النجاة بعده.

لذلك جعل الحق - سبحانه وتعالى - عَظْمة الدماغ أقوى عظام الجسم، لتحفظ هذا العضو الهام، والأطباء لا يحكمون على شـخص بالموت - مثلاً - إذا توقف القلب؛ لأن القلب يجري له تدليك معيّن، فيعود إلى عمله، كذلك التنفس. أما إنْ توقف المخ، فقد مات صـاحبه، فهو الخلية الأولى، والتي تحتفظ بآخر مظاهر الحياة في الجسم؛ لذلك يقولون: موت إكلينيكي.

وللمخ يصل خلاصة الغذاء، وهو المخدوم الأعلى بين الأعضاء، فالجسم يأخذ من الغذاء ما يكفي طاقته الاحتراقية في العمل، وما زاد على طاقته يُختزَن على شـكل دهون يتغذّى عليها الجسم، حين لا يوجد الطعم، فإذا ما انتهى الدُّهْن تغذَّى على اللحم، ثم على العَظْمِ، لِيُوفِّر للمخ ما يحتاجه، فهو السيد في الجسم، ومن بعده تتغذّى باقي الأعضاء.

إذاً: كل شيء في الجسم يخدم المخ؛ لأنه أَعْلَى الأعضاء. أما النبات - مثلاً - فيخدم أسفله، فإذا جَفَّ الماء في التربة، ولم يجد النبات الغذاءَ الكافي، يتغذى على أعلاه، فيذبل أولاً، ثم تتساقط الأوراق، ثم تجفّ الفروع الصغيرة، ثم الجذع، ثم الجذر.

فقوله تعالى: ﴿فَيَدْمَغُهُ... ﴾ (الأنبياء:18)، أي: يصيبه في أهم الأعضاء، وسيّدها، والمتحكم فيها، لا عضو آخر يمكن أنْ يُجبر؛ لذلك يقول بعدها: ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ... ﴾ (الأنبياء: 18). زاهق: يعني خارج بعنف.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمُ الويل مِمَّا تَصِفُونَ﴾(الأنبياء: 18)، يعني: أيها الإنسان المغترّ بلججه وعناده في الباطل، والذي وقف بعقله، وقلبه، ليصادم الحق، سنقذف بالحق على باطلك،

فنصـيب دماغه فيزهق، سـاعتها سـتقول: يا ويلتي، كما سـبق أنْ قالوا: ﴿قَالُواْ ياويلنآ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (الأنبياء: 14)، حينما يباشرون العذاب .

جمال الحق يظهر قبح الباطل:

ومعنى: ﴿تَصِـفُونَ﴾ (الأنبيـاء: 18)، تكـذبون كـذبـاً افترائيـاً. وقد يقول قائل: لماذا يُملِي الله للبـاطـل حتى يتمرَّد ويعلو، ثم يعلو عليـه الحق، فيـدمغـه؟ نقول: الحكمـة من هـذا أنْ تتم الابتلاءات، والناس لا تتعشـق الحق، إلا إذا رأتْ بشـاعة الباطل، ولا تعرف منزلة العدل، إلا حين ترى بشـاعة الظلم، وبضـدها تتميز الأشياء. إذاً: لا نعرف جمال الحق إلا بقُبْح الباطل، ولا حلاوة الإيمان إلا بمرارة الكفر❐

الهوامش:

- فقه النصر والتمكين، الصلابي: (ص477)، بتصرف، دار ابن كثير.
- في ظلال القرآن: (2719/5-2720).
- التحرير والتنوير: (34/17).
- لسان العرب: (147/10)؛ تاج الصحاح: (1493/4).
- أحكام القرآن: (277/11).
- لسان العرب: (425/8).
- في ظلال القرآن: (2914/5-2915).
- في ظلال القرآن: (2247/4-2248).
- الخواطر: (8708/14-8709).
- التحرير والتنوير: (188/15).
- في ظلال القرآن: (2372/4).
- الخواطر: (9502/15- 9504).
- الخواطر: (9502/15- 9504).

عبر حميدة من ذكريات سعيدة

د.حكيم مختار/ باحث علمي

moktar.int_groptr@yahoo.com

قبل ما يزيد على أربعين عاماً، وبالتحديد في عام 1971، إذ كنت طالباً في المرحلة الثالثة/ جامعة السليمانية، عندما قررتْ رئاسة الجامعة إرسال 40 طالباً من المتفوقين لدورة استطلاعية علمية، أمدها أربعون يوماً، إلى تركيا و بلغاريا ورومانيا.. وكنت أحدهم.

واجتمعنا: الطلبة الأربعون، وثلاثة أساتذة، في (بغداد)، شهر تموز عام 1971.. وقبيل الصعود إلى (الأوتوبيس) أبلغت الأستاذ المشرف على الرحلة - عن قصد - بأنني قررت عدم السفر، وأني سأرجع إلى (دهوك). استغرب الأستاذ المشرف، وارتبك، وطلب مني بيان السبب. أخبرته بأن السبب هو أنني ملتزم بالصلاة، والابتعاد عن المنكرات، وأنكم خلاف ذلك، وسنختلف خلال الرحلة، فالأولى أن تذهبوا أنتم، وأعود أنا إلى (دهوك). لم يقتنع الأستاذ المشرف، ورفض طلبي، مقابل وعد أن يوقف (الأوتوبيس) في الطريق كلما حان وقت الصلاة، وأن لا يلزمني بمرافقتهم إلى مكان فيه شبهات، خاصة أن جواز السفر كان واحداً مشتركا للكل، وكان لي علم بذلك، فانتهزت الفرصة.

وصعدنا (الأوتوبيس) جميعاً، واتجهنا نحو مدينة (الرطبة)، غربيّ العراق، متجهين إلى (سوريا). وكلما حان وقت الصلاة، كنت أخبر الأستاذ المشرف، وهو بدوره كان يفي بوعده، ويوقف (الأوتوبيس)، وكنت أنزل لوحدي، وأصلي، ثم أصعد ليستأنف (الأوتوبيس) المسير. وهذا ما حصل، ذهاباً وإياباً، وطيلة الرحلة، التي استغرقت أربعين يوماً.

الأستاذ أعلاه، المشرف على الرحلة، كان أستاذاً، شيوعياً، يدعى (حسين كاشف الغطاء)، وكان قد حصل على شهادة الدكتوراه من أمريكا. في أحد أيام الرحلة - ونحن في الأوتوبيس - طلب هذا أن أجلس بجانبه، وأبلغني هو بأنني سوف أكون موفقاً جداً في حياتي، خاصة إذا سافرت إلى أمريكا، وأبلغني بأن سبب التوفيق هو أنني صاحب مبدأ في الحياة، وملتزم بالقيم والأخلاق،

وطلب مني أن أستمع لقصّته، وما حصل له عندما كان طالب دكتوراه في الولايات المتحدة الأمريكية.

قال الأستاذ (حسين كاشف الغطاء): عندما وصلت إلى أمريكا، بدأت بتقليد كل ما هو أمريكي، وغيّرت سلوكي، وبدأت ألبس مثل الشباب الأمريكان، وأطلت شعر رأسي مثلهم، حتى اسمي غيّرته إلى اسم أمريكي. وكنت وطالب دكتوراه آخر من (الهند) نتشارك غرفة في الجامعة. وكان الطالب الهندي مسلماً ملتزماً، وسلوكه طبعاً مخالف لسلوكي.

ويستطرد الأستاذ (كاشف الغطاء) قائلاً: خلال الأشهر الأولى من بدء الدراسة في الجامعة بأمريكا، لاحظت أن الأستاذ الأمريكي الذي كان مشرفاً عليّ، وعلى الطالب الهندي، كان يحترم الطالب الهندي كثيراً، بينما كان تعامله معي بخلاف ذلك تماماً، إلى أن وصل الحال بي أن بدأت أتخوّف من الأستاذ الأمريكي، فطلبت مقابلته. عندما جلست معه، بدأت أسأله عن سبب عدم احترامه لي، بينما يحترم الطالب الهندي، ويتودّد له كثيراً، في حين أنني أتصرّف كأيّ أمريكي، بينما الطالب الهندي مسلم ملتزم، ويعتبر عدواً له ولبلده. عندئذ بدأ الأستاذ الأمريكي بالكلام، وقال لي: "أولاً ما هو اسمك الرسمي الحقيقي؟ قلت له: اسمي حسين. قال: وهل كان شعر رأسك طويلاً في بلدك، كما هو الحال الآن؟ قلت: كلا. قال: وهل مصادقة البنات، والسهر في الملاهي أمر طبيعي في بلادك؟ قلت: طبعاً لا. قال: إن الذي يغيّر اسمه، وملبسه، ويتنكر لدينه، وقيم قومه، ويخونها، ليس أصيلاً، وسيخوننا في أي حين تسّنى له. بينما الطالب الهندي أصيل، صريح، ومخلص لقيمه، ودينه، وتفكيره منصّب فقط لعمله، لا لشكله، فلا خوف منه البته".

وأضاف الأستاذ الشيوعي، وقال لي: يا حكيم، أبارك لك التزامك بدينك وقيمك، وأرجو أن تبقى كذلك. كما أتمنى أن تسافر إلى أمريكا لتحصل على الدكتوراه، حيث إنهم سيحترمونك، لجدّيتك، والتزامك بقيمك.

مضت سنون.. وسبحان الله العظيم.. ففي عام 1986 كنت قد حصلت على شهادتي الماجستير، وأكملت كل متطلبات الدكتوراه في (جامعة كولورادو الدولية) – أمريكا.. وتحققت مقولة الأستاذ الشيوعي، بالضبط كما توّقع في نصيحته لي، التي مرّت آنفاً..

ففي آخر يوم لمناقشة أطروحة الدكتوراه – وبعد أن تناقشت اللجنة المشرفة سرّاً، وهم خمسة أساتذة، جاءني أحد الأستاذين المشرفين على أطروحتي، وهنأني بكل حرارة، مضيفاً: أنك قد اجتزت المناقشة بكل نجاح، وأكملت كل المتطلبات، فقط اقترحت اللجنة أن تمضي بضعة أشهر في الجامعة، وتشغل نفسك بدراسة أو بحث حتى تكتمل سنتان، ثم ترسل اللجنة قرار النجاح إلى رئاسة الجامعة، معللاً ذلك أن هذه هي (جامعة كولورادو الدولية)، التي نالت المرتبة الأولى في العالم للدراسات الهندسية لتسع سنوات من أصل عشر سنوات، وعادة ما يقضي الطالب الأمريكي نحو ثلاث سنوات للحصول على الدكتوراه - بعد الماجستير -، والطالب الأجنبي يحتاج إلى أربع أو خمس سنوات لإكمال المتطلبات، بينما أنت أكملت كل شيء في سنة وسبعة

أشـهر. بدا عليّ عدم الارتياح، بسـبب أنني كنت شـديد الحرص على إكمال كل شيء بســـرعة، لأسـافر إلى (تركيا)، وأسـتلم مهمتي المباركة في القيام بالعمل الإسلامي الكوردي، بناء على تنسيق بين المرحوم (أربكان)، رئيس (حزب الرفاه) حينئذ، وبين الأســتاذ (الراشــد)، صــاحب (المنطلق) و(العوائق) و(الرقائق).. حينئذ التفت أســتاذي المشرـف إلى اللجنة المشرـفة، وقال لهم: إنني لا أقبـل بقراركم أن يبقى هنـا عدة أشـــهر، بحجة أنه أكمل الدكتوراه في مدة وجيزة جداً، أتدرون لماذا؟ من من الأمريكان يسـتيقظ في الرابعة فجراً، ويتوجه إلى المركز الإسـلامي، ليعبد الله إلى أن تشرق الشمس، ثم يأتي إلى الجامعة، ليعمل خمسة عشـــر، وأحياناً سبعة عشـــر ساعة في اليوم الواحد؟!.. وهل تعلمون ما هو الصـيام؟ إن صـاحبنا يكون صـائماً شـهراً كاملاً، ومع ذلك يعمل لنحو خمسة عشـر ساعة في اليوم، وهو صائم. .هل بين الأمريكان من يقدر على ذلك؟!

ووّقع هذا الأستاذ المشـرف على قرار النجاح، تلاه الأستاذ المشرف الثاني، ووّقع عندئذ الأساتذة الآخرون، وكان أحدهم أسـتاذاً أمريكياً مسـلماً، وقد صرّح لي ليلاً – عندما أقام المركز الإسـلامي حفل تكريم لي، بمناسـبة حصـولي على الدكتوراه، والذي حضـــره هذا الأستاذ الأمريكي المسلم – بأنني رفعت رأسه على الإنجاز الرائع في مناقشة الدكتوراه، والاجتياز في مدة قياسية..

وقدمت من أمريكا إلى تركيا، وعيّنت أستاذاً مساعداً، ثم أستاذاً مشاركاً، في (جامعة الشـــرق الأوســـط) – وكنت حينها أمارس عملي الدعوي المبارك – العمل الإســلامي الكوردي – في وقت كانت فيه الكلمتان: إسلامي، وكوردي، أخطر كلمتين في العرف السياسي التركي حينئذ.

بيت القصيد، والعبرة الحميدة من هذه الذكريات السعيدة:

أولاً: المشـــــرف على رحلتنا إلى (بلغاريا ورومانيا) كان أستاذاً شيوعياً، لكنه كان حقّاً منصفاً في نصيحته لي، وأعلن لي صراحة افتخاره بتمّسكي بقيمي ودييني، ووّفى بعهده طيلة الأيام الأربعين للرحلـة - كما مرّ آنفـاً -، فلا يجـب فقد الأمل بالخير في أي إنســـان، مهما كانت طبيعة تفكيره، ومهما كان مختلفاً عنك، خاصة إن كان من أهل العلم، والعقل المتفتح.

ثـانيـاً: في أمريكا - وكما تبيّن آنفاً، وحصـــل معي حقيقة -، وفي كل دول العالم الراقي، يكون التقييم والحكم على الشخص من خلال علمه وعمله، ومدى إنتاجه، وجديّته، بصـرف النظر عن انتمائه الفكري، أو الديني، أو الســياسي. بعكس ما يحصـــل في عالمنا الثالث النائم، حيث يكون التقييم والحكم لا على العلم والعمل، بل على الولاء السياسي للسلطة أولاً.

ثالثاً: شـبابنا الملتزمين.. إن بقوا دائماً متمسـكين مفتخرين بأخلاقهم وقيمهم ودينهم – مهما كانت الظروف – فإن تمسّـكهم هذا لن يجعلهم صغاراً في أعين الآخرين – كائناً من كانوا – وكما يعتقد الضـعفاء، بل إن إصرارهم على ما هم عليه، يجعلهم أكثر تقديراً واعتباراً في أعين الجميع، والتجربـة أعلاه أكبر برهـان، وثم ســيجـازيهم ربهم لاحقـاً، بمـا هو أجّـل وأعلى.. وللآخرة خير وأبقى❐

شخصيات كوردية أثرت في التاريخ العربي

إعداد: عدنان رحمان

ورد في المصادر والمضان، ومنذ عصور سحيقة حتى الآن، أن للكورد بمختلف اهتماماتهم (الثقافية، السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية.. وغيرها الكثير) دوراً، تأتي أهميته، بشكل من الأشكال، من مدى تأثيرهم في المجتمع العربي، ومستقبله، بشكل عام.

وسوف نورد بعض النماذج، بشكل مختصر، دون أن يكون لاختيارنا تحيّزاً، بل حسب المصادر التي أتيحت لنا، ومن دون التوسّع، لأنه في حالة التوسع سوف نحتاج إلى مجلدات ومجلدات، وليس مقالاً متواضعاً.

* ورد في كتاب (الأكراد في مصر عبر العصور)، الذي صدر في العاصمة المصرية (القاهرة)، بطبعته الأولى عام 2011: " أنَّ محمد علي باشا كوردي الأصل". ذكر ذلك كلاً من (درية عوني، محمود زايد، ومصطفى عوض)، مؤلفو الكتاب.

تُعّد الكاتبة الصحفية (درية عوني) من الصحفيات المعروفات، حيث عملت لمدة 27 عاماً في وكالة الأنباء الفرنسية في (باريس)، وكانت أيضاً مراسلة لـ(دار الهلال)، ثم دار (أخبار اليوم).. ومن (باريس)، صدر لها كتابان عن تطور القضية الكوردية.

أمّا (محمود زايد)، فهو مُدرس مساعد، ومتخصص في الشؤون الكوردية، في التاريخ الحديث والمعاصر، بجامعة الأزهر الشريف. كما ورد في هذا المصدر، معلومات عن أهم القادة والعلماء والكتّاب الكورد في مصر، في عهود مختلفة.

* أطلق عليه لقب (أمير الشعراء)، وهو (أحمد شوقي)، الذي ورد عنه في بحث بعنوان: (اثنا عشر عاماً في صحبة أمير الشعراء)، صدر عام 1932، للكاتب (أحمد عبد الوهاب أبو العز).. ورد في جزء منه: "حياة أمير الشعراء بقلمه {يقصد أبو العز هنا: الشاعر أحمد شوقي): إلى أن قطع

العقد الثالث من عمره. سبق أن نشـــره بالشوقيات الأولى: (سمعت أبي رحمه الله يرد أصلنا إلى الأكراد، فالعرب. ويقول: إن والده قدم هذه الديار يافعاً، يحمل وصـية من (أحمد باشـا الجزار) إلى والي مصر".

فضلاً عن ذلك، فقد نشرت مجلة (النيرايست) ما يأتي:

"توفي في منزله بالقاهرة- يوم 13 اكتوبر- 1932 (**شـــوقي بگ**)، الذي ولد في ســنة 1868 م، وكان معروفاً بأنه أشـعر شـعراء العربية في العصـــر الحديث، وذهب بعض المعجبين به إلى حد القول بأنه كان نظيراً لأعظم شـعراء الزمن القديم. وكان (أحمد شـوقي) حفيد ضـابط من أصـل كوردي، وَفِدَ على (مصـــــــر) مع (محمد علي) لمئة وثلاثين ســنة خلت. وقد تلّقى دراســته في (القاهرة)، ثم شَخصَ إلى (مونبليه)، حيث حصل على درجة في القانون".

وأضاف المصدر ما يؤكد أنه من كوردستان العراق، حسبما ورد فيما سبق:

"إن قنصـل العراق العام في (مصر)ـ: (أحمد قدري **بگ**) كان في مقدِّمة موكب التشـييع أمس لجنازة أمير الشـــعراء، وأنه أبلغ أسرة الفقيد تعزية حكومة العراق، التي كانت برقية من (نوري السعيد)، رئيس الوزراء العراقي، هذا نصها:

"ســمعت الآن بالفاجعة العظمى التي أصــابت الأمة العربية، بوفاة أمير بيانها، أرجو قبول تعازي القلبية".

* وأشار المؤرخ (مير بصـــري)، في مبحثه (أعلام الكرد، ط 1، قبرص، ص 93، 94)، إلى المصلح الاجتماعي (قاســم أمين) في كتابه، وهذا ممّا يُدلل على كورديته، لأنه لو لم يكن كذلك لما أشــار إليه مع أعلام الكورد.

وفيه ذكر بعض الآراء، التي وردت عنه في الأوسـاط المحلية المصـــــرية والعربية والعالمية، كرأي (د. محمـد حســين هيكـل)، التي كـان أهمها عنده أنه دعى إلى تحرير المرأة، وأنه يُحب الفنون. ونقل عن (د. شـوقي ضـيف)أن (قاسـم أمين) كتب في ذلك مقالات في صحيفة (المؤيد) سنة 1900 م، جمعها بعد ذلك في كتاب عنوانه: (تحرير المرأة).

* وأضاف عن أحد الشخصيات الكوردية في (السودان) بالشكل الآتي: (عثمان أبو بكر دِقنَـة) هو أمير الأمراء في جيش (محمد أحمد المهدي الســوداني)، وهو زعيم ديني وُلِدَ في العام 1837، حارب الجيش المصـــــري- البريطاني، بين الأعوام (1882- 1885)، وتغلب عليه، واســتولى على (الخرطوم)، عاصــمة الســودان الحالية. ادعىّ أنه من ســلالة خلفاء بني العباس، لكن قِيل إن أجداده من جهة أبيه من (آمد) (= ديار بكر)".

* فيما أشار (مير بصري) في مبحثه (أعلام الأدب في العراق الحديث)، الذي قدّم له د- جليل العطية، في الجزء الأول، الذي صدر عن (دار الحكمة)، في (لندن)، بطبعته الأولى العام 1994، في الصفحتين 376، 377، إلى أنَّ: "(خلف شوقي الداودي) من أوائل روّاد القصة العراقية الحديثة، ينتمي إلى قبيلة (الداوودة) الكوردية، وُلِدَ في بلدة الديوانية سنة 1898، وقضى سني صباه في (الحلة). ثم جاء إلى (بغداد)، وانتمى إلى (دار المعلمين)، وجنّد ضابطاً احتياطياً في أثناء الحرب العالمية الأولى. أسرَهُ الإنكليز، فاعتقلوه في (الهند)، وهيأ له فيها تعلّم اللغتين الإنكليزية والهندية، إلى جانب الكوردية والتركية والفارسية، التي عرفها في بلاده. كان محرراً في جريدة (الأوقات العراقية) في (البصرة). وأصدر فيها مجلة باسم (شط العرب)، في كانون الثاني- 1923، التي لم يصدر منها سوى عدد واحد. حرّر بعد ذلك في جريدة (الأوقات البغدادية)، وأصدر جريدة (شط العرب) في بغداد، في آذار- 1924، التي دامت نحو ستة أشهر. عيّن مترجماً في وزارة المالية، فمفتشاً مالياً في تشرين الأول- 1926، فسكرتيراً مالياً لوزارة الاقتصاد في حزيران- 1935، فمعاون رئيس تسوية حقوق الأراضي في كانون الثاني- 1938. توفي ببغداد في 2- شباط- 1939. كتب قصصاً جمعها في كتاب باسم (سفينة نوح)، نشر بعضها في مجلة (الهاتف) النجفية، وحال موت المؤلف دون طبعها. وله مؤلفات أخرى، منها: (قصص مختارة من الأدب التركي، 1936). (الفلقة، 1938). (قضية فلسطين/ مجموعة مقالات مترجمة/ 1924). (نقدات الملا نصر الدين، 1923). (وساوس السلطان عبد الحميد) {مترجم}. (زاد المسافر) {= رسالة تاريخية للشيخ فتح الله الكعبي }، حققها ونشرها سنة 1924. (ذكرى سعد زغلول، 1927م). ومن مصنفاته المخطوطة: (مئة فكاهة وفكاهة، حقيبة الداودي)".

* ورد في مبحث ([1]) عن (جميل صدقي الزهاوي) ما يأتي:

" إنّ الشاعر الكوردي المبدع، لم يكن فقط شاعراً وعضواً في مجلس النواب العراقي في العهد الملكي. بل كان أيضاً من الأعضاء النشطين في مناقشة القوانين المطروحة، وكان قاضياً عادلاً، بكل معنى الكلمة".

* على الرغم من تحامل بعض الرحالّة على الكورد، ووصفهم بالألفاظ غير اللائقة، نورد ما ذكره (شارل ديدييه)، في مبحثه ([2]) عن القائد الكوردي (عثمان)، في منطقة الحجاز، كما يأتي:

"في العام 1268 هـ كان والي (جدّة): (آقه باشا)، وشريف مكة هو (عبد المطلب)، طلب (عبد المطلب) من الصدر الأعظم (رشيد باشا) عزل (آقه)، وعيّن (أحمد عزت باشا الأرزنجاني) والياً على (جدّة). وفي العام 1270 هـ عُزل (أحمد عزت)، وتولّى مكانه (كامل باشا).

وأضاف: إن أولى الشخصيات الرسمية التي عرفتها بعد (كامل باشا) هو (كورد عثمان آغا)، الذي ولد في (كوردستان)، التي كانت سنجقاً، وكان قائداً للخيالة غير النظاميين، عسكروا قرب

(مكة) المكرمة، مستعدون للتمرد إن لم يتقاضوا مستحقاتهم من (استنابول).. إن خيالة الشـــرق هؤلاء يسمون (باشي بوزوق)، وبسبب الاضطرابات في معسكره ينوي الهرب إلى (مصـــر).. كانت مستحقاته 7500 قرشاً في الشهر، ويدّعي إن في جبال موطنه سبعة مواضع للذهب. وقد وضع فرساناً تحت تصـــرفي للحماية، إذ لم يكن الطريق من (جدّة) إلى (مكة المكرمة) سهلاً، وكانت تحيط به الجبال، وكان خيالة (كورد عثمان) يعسكرون فيها. وكان عزل (كورد عثمان آغا) قد أذل أولئك (الأجلاف)".

* قبل رحيل العلاّمة الآثاري (سالم الآلوسي) - رحمه الله - حصلت منه على ورقة بخط يده، بعد أن طلبت منه أن يذكر لي متى تمّ البحث الآثاري في مناطق الكورد، شرقيّ دجلة، جاء فيها:

"المنطقة الواقعة بين خانقين ومندلي.. لم تجر أية تنقيبات أثرية في هذه المنطقة من قبل البعثات الآثارية التي عملت في العراق منذ منتصف القرن التاسع عشـــر الميلادي، وإنما كانت ميداناً للزيارات الاستطلاعية من قبل السيـــــــّاح والآثاريين، التي جرت في أنحاء مختلفة من العراق، مثل:

1885بعثة أمريكية (بعثة وولف) من المعهد الآثاري الأمريكي.

1908 -1907بعثة (زاره- هرتسفيلد) الألمانية.

1927 -1925المدارس الأمريكية للأبحاث الشـــــرقية (American schools of (ASOR} oriental Research}.

أما دائرة الآثار العراقية، فقد أوفدت عام 1935 بعثة برئاســـة الســـيد (حســـين عوني عطا الفيلي)، الذي شغل منصب معاون مدير الآثار العام، وكان من الشخصيات الإدارية المعروفة التي خدمت الآثار في العراق. وقد أجرت هذه البعثة دراســـة للآثار والمنحوتات في منطقة (خانقين)، مثل: بالولا- دربندي كاوور- دربندي ستروك- دربندي شيخان. وهذه المواقع والمناطق يعود تاريخها إلى العصور السومرية والأكدية". مع تحيات سالم الآلوسي 1- 8- 2008.

* ســـاهم الكورد في العراق في تشـــكيل معظم الأحزاب العربية، على مدى الأعوام التي تشكلت فيها الأحزاب في العراق، خصوصاً في العهد الملكي. ومنها، كما أشار إليه السيد (طه الجبوري)([3])، وكالآتي:

"أسِسَ حزب الأمة الاشتراكي، بعد أن امتنع (صالح جبر) عن المشاركة مع (نوري السعيد) في تأسيس (حزب الاتحاد الدستوري)، قرر أن يؤسس حزباً مستقلاً باسم (حزب الأمة الاشتراكي). وكان الحزب قد حصل على إجازته في 24 / حزيران / 1951، وضمّت الهيئة المؤسسة كلاً من: صـــالح جبر، عبد المهدي المنتفكي، عبد الكاظم الشـــمخاني، جواد جعفر، عبد الرزاق الأزري، عز الدين النقيب، أحمد الجليلي، حبيب الطالباني، محمد النقيب، رضـــا خياط، ونظيف الشـــاوي.

وعقد الحزب مؤتمره الأول في كانون الثاني 1951، وانتخب (صالح جبر) رئيساً، و(توفيق وهبـــي) نائباً له. ولمّـا كانت الهيئة المؤسسة تضم بعض الكورد، فقد عمل الحزب على توسيع عضويته في المناطق الكوردية، وانضّم إلى صفوفه بعض الإقطاعيين الكورد([4])".

* كان للقادة العسـكريين من الكورد، في الجيش العثماني، دور سياسي في تاريخ (اليمن). كما ورد في بحث أكاديمي([5]):

" عيّن (محمود نـديم **بـگ**) الكوردي {في الهـامش: عن (الريحـاني) في كتـابـه المعنون (ملوك العرب): إنه كوردي من أصـل سـوري، يجيد اللغة العربية، عُرف بثقافته، ورصـانة أسلوبه}، والياً على (اليمن)، بطلـب من (الإمام يحيى).. بقي في الولاية حتى زوال الحكم العثماني عن اليمن في العـام 1918. لقـد حاول الوالي (محمود نديم **بگ**) الكوردي أن يبرز شـــخصـــية (الإمام يحيى) كوريث شرعي لحكم العثمانيين في اليمن. لكن الجنرال (سـتيوارت) رفض توسـط (محمود نديم **بگ**) الكوردي للاتصـــال بالإمام يحيى، إلا أن الإمام دخل (صـــنعاء) 11- 1918، بناء على دعوة (محمود نديم **بگ**) الكوردي، وأمر بتسـليمه (قصر غمدان)، نتيجة لمراوغة (محمود نديم **بگ**) الكوردي في الاقتناع بالتسليم لبريطانيا"❐

الهوامش:

[1]- ثرثرة فوق دجلة : حكايات التبشـير المسـيحي في العراق (1900- 1935)، وهي نصوص ترجمت من نصوص نشرتها المجلة الدورية للإرسـالية الأمريكية عن أعمال وأنشـطة المبشرين، كانت باسم (الجزيرة المنسية): خالد البسام (البحرين)، ط1 2004، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

[2]- رحلة إلى الحجاز في النصـف الثاني من قرن 20 ، 1854، شارل ديدييه، ترجمة وتعليق وتقديم: د- محمد خير البقاعي، دار الفيصل الثقافية، السعودية 2001.

[3]- موقف الأحزاب السـياسـية والقوى الوطنية من قضـية النفط في العراق (1951- 1968)، طه خلف محمد الجبوري، كلية التربية / جامعة تكريت 2005، متطلبات نيل شهادة الماجستير.

[4]- أسود، عبد الرزاق محمد، موسوعة العراق السياسية، الجمعيات والأحزاب السياسية، المجلد السادس، بغداد، 1986.

[5]- هند فخري سعيد، اليمن في عهد حكم الاتحاديين 1908- 1981، في العام 2002.

بين التعليم والإعلام ..

زهراء مؤيد رمضان/ الموصل

✍يبدأ الطفل يحلم بالمدرسة وكأنها نجمة يتوق الوصول إليها.. وكأنها بطل خارق يأخذه بعيداً.. وما إنْ يدخل فيها حتى يشعر أنه دخل في سجن مسيّج.. قرارات صارمة.. أسلوب جاف.. تعليم أقرب ما يكون إلى التلقين.. فيُضرب أحياناً، ويوبّخ أخرى.. في وقت لا ترى في البلدان المتقدِّمة الطفل وهو يُضرب كي يتعلّم؟! أمّا الطفل الشرقي، فيؤدي هذا الأسلوب إلى تحديد آفاقه المعرفيّة؟!.. فيكبر الطفل ضئيل المعرفة، بسبب التعليم، وأسلوب المعلّم، وأخيراً ستغلب (الأنا) عليه، فيُصبح متهوراً طائشاً بلا هدف!! والسبب واضح: التعليم، والمعلّم..

فالطالب عندنا يفكّر في النجاح فقط؛ لأن الطريقة التعليمية تهتم بتحصيل الدرجات، أكثر من التحصيل العلمي والذهني.. وعندما يدخل الجامعة تبدأ دوامة الاجترار نحو الهاوية، حيث يعيش في مجتمع آخر، وأساليب أخرى.. وإن كان المعنى واحداً في كل ذلك.. حتى يرى نفسه سجين أهوائه الطائشة أحياناً.. وهناك يرى العديد من التدريسيّين مِمّن يتسلّقون المناصب، يدفعون طلاباً نحو النجاح، بمجرد أن لهم معروفاً أو منفعة لهذا التدريسيّ أو ذاك.. نجاح دون فهم.. ولا نعمم، فهناك درر لامعة قليلة، كما أن هناك أشواكاً جارحة كثيرة..!

ترى هل ضاعتِ النزاهة، أم نحن الذين ضعنا؟!.. والطلبة يتخرّجون من الكليّات والجامعات، ولو سألتهم ماذا فهموا؟.. ماذا تعلّموا؟ لكان الجواب: لا شيء!! ثم يضعون ساقاً على ساق، ويصدّقون كل ما يسمعونه من إعلام كاذب، وأسلوبٍ في الكذب واضح: قال ناشطون على الفيسبوك، وقال متابعون على تويتر.. والسؤال: مَنْ هم النّاشطون، وإلى من ينتمون؟! أو: قالت الصحيفة الفلانية كذا.. وكذا.. والسؤال: ما الجهة التي تديرها خلف الكواليس؟! أو: وردنا من مصدر مؤكد.. ما هو هذا المصدر؟!

فالإعلام هو السلاح الذي أعمى البصيرة، كما التعليم السيء هو المحضن الذي أعمى الكثير من البصائر.. فهو يكمّل رسالة التعليم، لتنشأ الأجيال الجديدة كما يريد..!

يقول (هتلر) في (كفاحي): "ما نسمّيه الرأي العام لا يرتكز دائماً على الخبرة الشخصية، ومعرفة الأفراد معرفة حقيقية، فهو في الغالب خاضع لتأثير الدعاوى التي توجه يوماً فيوماً، وتنفث سمومها في دمه، دون أن يشعر. إن الصحافة هي التي تتولّى تنشئة الجمهور سياسياً، بما تنشر من أخبار، وتثبت من آراء"..

بين التعليم والإعلام قُتل الصدق.. بين التعليم والإعلام اندثرت حضارات.. بين التعليم والإعلام بكت أمهات.. بين التعليم والإعلام حدثت حروب.. بين التعليم والإعلام انهارت النزاهة ..بين التعليم والإعلام مجتمع جريح.. بين التعليم والإعلام ضاع الضمير..

فنحن إذا أردنا حلاً هو واحد فقط.. علينا أن نتغلّب على الصعاب بالعلم أولاً، والعلم ثانياً، والعلم ثالثاً، وتنشئة المعلم قبل الطالب رابعاً.. وما أحرى بنا جميعاً أن نحث الطلبة على القراءة؛ لأن القراءة الحرة هي الضمير النابض بالأمل، كما أن الكتاب هو أفضل صديق يعلّمك دون مقابل.. فإذا كان تفكيرك مخطئاً لا يوبخك.. أما الصحافة، فهي عمل راقٍ، إذا استندت إلى ضمير .. لكن هل غرق الضمير، أم أنه يبحث عن طوق نجاة في بحر الحياة؟!❐

مرافئ

الأغلى من الدولة !

د.يحيى عمر ريشاوي

المتابع للمناخ السياسي والاجتماعي والنفسي للشارع الكوردي، يرى بوضوح الخلافات (الكوردية) حول عملية الاستفتاء، والرؤى المتباينة حول (كيفية- توقيت) تحقيق حلم الكيان والدولة وتقرير المصير في جنوب كوردستان. ولعل وجود الاختلافات حول أمر جلل، كالاستفتاء وإنشاء الدولة، أمر طبيعي، لو لم تؤد هذه (الاختلافات) إلى هذا الانقسام الحاد في المجتمع والشارع الكوردي.

ويبدو أن حالة الانقسام، وعدم القدرة على التعايش والتكيف مع الاختلافات السياسية والفكرية والثقافية، متجذرة في هذه المجتمعات المفتقرة إلى ثقافة الحوار وقبول الآخر.. وقد عمّق الفضاء الانترنتي هذه الخلافات إلى أبعد الحدود، وبدل أن تساعد شبكات التواصل الاجتماعي في إقامة جسور التواصل (الاجتماعي والسياسي والنفسي)، خلقت بدل ذلك جواً مشحوناً باتهام الآخر، والتشهير به، والتسبب بحالة من الفوضى الإعلامية والسياسية الخطيرة إلى حد بعيد.

والأخطر من كل هذا وذاك، أن تنتقل هذه البيئة الانترنتية الافتراضية المشحونة، إلى البيئة الاجتماعية الحقيقية، والمهيئة أصلاً لهذه الخلافات والانقسامات.. ولعل وجود الاختلافات في وجهات النظر حول الشؤون السياسية، المتعلقة بالقضايا المصيرية، أمر طبيعي (بل وضروري) في المجتمعات والدول ذات الكيانات العريقة والثابتة والمؤسسة، إلا أننا وفي إقليم كوردستان أحوج ما نكون في هذه الأوقات الحرجة والخطيرة إلى التلاحم والتكاتف، ونكران الذات، والإحساس بالمصير المشترك و و و و..

ولعلي أذهب أبعد من هذا وذاك، وأسمح لنفسي بأن أقول: إن الأهم والأغلى من إقامة كيان وتحقيق حلم الدولة التاريخي للشعب الكوردي، يكمن في إشاعة روح التعايش، وقبول الآخر، وغرس ثقافة الحوار والتسامح.. فماذا أفعل بدولة مؤسسة على التناحر، وتخوين الآخر، وعدم القدرة على العيش معه؟!.. إننا نحتاج جميعاً إلى إشاعة هذه المفاهيم، وخاصة لدى الجيل الصاعد الموجود على شبكات التواصل الاجتماعي، والعالم الافتراضي، والمنتقلة إليه اليوم، أو بعد غد، مقاليد الدولة الوليدة.

على الجميع، أحزاباً ونخب ثقافية، مؤسسات دينية، وقوى اجتماعية، علماء، وأساتذة، العمل على تغيير هذه القناعات والثقافات السلبية: من ثقافة التباغض إلى ثقافة التسامح، ومن ثقافة الإنكار إلى ثقافة الاعتراف، ومن ثقافة الاتهام إلى ثقافة الإفهام. بخلاف ذلك نكون كمن لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى! ❐

شؤون سياسية

- الموصل.. ماذا وراء الإرهاب..؟	د. سعد سعيد الديوجي
- السياسة الأمريكية في العالم ..(محاولة للفهم)	أحمد البياتي
- على أعتاب استقلال كوردستان	سرهد أحمد
- الكورد و الانفصال وخطاب (الضحية)	عبدالله ريشاوي

الموصل..
ماذا وراء الإرهاب..؟

د. سعد سعيد الديوه جي

✍بعد سقوط الموصل عام 2003م، ظهر قائد الفرقة الأمريكية (101) المحمولة جواً، والتي اتخذت من الموصل مقراً لها، على التفزيون المحلي، وهو الجنرال (ديفيد بترايوس)، في كلمة موجهة لأهل الموصل، ثم قال: "أنا مصلاوي"، وتدّرج (بترايوس) في المناصب حتى وصل لرئاسة المخابرات الأمريكية قبل تقاعده!

في ليلة العاشر من حزيران عام 2014، وعشية سقوط الموصل بيد (داعش)، نشرت إحدى الصحف البريطانية الشهيرة خبراً يعد عجيباً وغريباً، قالت فيه بأن سقوط الموصل سيغيّر خارطة مناطق النفوذ في الشرق الأوسط، في حين أشارت بعض القنوات الفضائية بأن الموصل صارت محط أنظار العالم! وكل ذلك كان يدعو للاستغراب في وقته.

وحدث ما حدث خلال السنوات المنصرمة الثلاث، واجتمعت الدول الكبرى والصغرى لمحاربة هذا التنين الخرافي الذي ظهر على حين غفلة، وأخذت الموصل نصيباً وافراً من همجية (داعش)، ليخرج علينا الناطق باسم التحالف عشية 15 تموز 2017م ليقول بأن أهم معركة وقعت بعد الحرب العالمية الثانية هي معركة تحرير الموصل!.. حيث تم القفز على كل الحروب التي وقعت في العالم خلال سبعين عاماً ببساطة تامة.

فهل (داعش) بقوة دول المحور (ألمانيا واليابان وإيطاليا)، الذين انتصـــر عليهم الحلفاء عام 1945م؟ وهل تم اختزال الحروب الكورية والفيتنامية والعربية مع إسرائيل، وحروب يوغسلافيا، لتصير معركة الموصل أهم معركة بعد سقوط برلين ونهاية الحرب الثانية ؟

الجواب هو النفي بالطبع، ولكن مما يدعو للاســتغراب، الذي يتبدد إذا علمنا أن الموصــل، وهي عاصـمة (محافظة نينوى)، جزء من دولة العراق، الذي يحتوي على ثاني احتياطي نفطي في العـالم، و يمثـل 15% من هذا الاحتياطي، ونصـــف هذه الكمية من النفط والغاز في الصـــحراء الغربية ومنطقة الجزيرة الفراتية، وهي غير مسـتغلة على الإطلاق، وهي مناطق سـنية، حسـب التصنيف الأمريكي الجديد.

بالإضـافة لذلك، فإن هذه المنطقة هي من المناطق الحيوية في الشـــرق الأوسط، من خلال تحكمها بمشـاريع نقل النفط والغاز العملاقة، القادمة من شـمال إيران وآسـيا الوسـطى، باتجاه أوروبا، وهذا السر في مزاحمة إيران للدول الكبرى حول النفوذ على المنطقة، وإن المصالح النفطية الأمريكية لن تسمح لهذا الممر أن يخرج من تحت سيطرتها.

و لو رجعنا للتاريخ قبل مئة عام، و نظرنا كيف كانت الدول العظمى آنذاك تفكر بتقســيم مناطق النفوذ، بعد هزيمة الدول العثمانية، لاقتربت الصورة منا أكثر:

ففي عام 1916م عندما تم توقيع اتفاقية سـايكس-بيكو، وقعت الموصـل في المنطقة العربية (أ)، مع حلب ودمشق، لتكون بعد انتهاء الحرب تحت الانتداب الفرنســـي، ولكن رائحة النفط الزكية جعلت البريطانيين يتخلون عن اتفاقياتهم مع الصديق الفرنســـي اللدود، وبعدها ضموا ولاية الموصل العثمانية للعراق، المتكوّن من ولايتي بغداد والبصرة العثمانيتين، واستناداً للاستفتاء المزور الذي أجرته عصبة الأمم عام 1925م.

ولو أن (تشـــرشل)، رئيس الوزراء البريطاني الأسبق، صرح آنذاك بأن تأسيس العراق بشكله الحالي كان خطأ فادحاً! وربما يريد الأمريكان، وحلفاؤهم الإنجليز، تصـحيح هذا الخطأ بعد مئة عام .

الأمريكان هم أسـياد الموقف في الشـــرق الأوسط والعراق، وإن مزاحمة (إيران) لهم "وهمٌ كبير"، كما قال ذلك السيد (جيمس كارافانو)، نائب رئيس مؤسسة هيريتاج الأمريكية، في حديث لجريدة (الشـــرق الأوسط)، بتاريخ 17تموز 2017م، وشبّه ربط الموصل ببيروت في التصـــريحات الإيرانية، كزحف بولندا نحو موسـكو، وقال بأن الانسـحاب الأمريكي من العراق عام 2011م كان خطأ، وعندما سألوه عن التواجد الأمريكي في المنطقة، قال: "بكل تأكيد في العراق".

بالإضـافة لذلك، فإن السـياسـة الأمريكية هي سياسة المصالح العليا، ولا غير، وهي ديناميكية متغيرة، ولذلك دخلوا سـوريا من الشـمال والجنوب، ليبقى الروس والإيرانيون يبحثون عن جزء من الكعكة في عرين الأســد المتهالك، ونحن ندفع ثمن أخطائهم، فنحن ومناطقنا وثرواتنا مجرد أشياء يتعاملون معها ولا غير.

بعد الحرب العالمية الثانية سـألوا (سـتالين) عن الفرق بين أطماع الإنكليز والأمريكان، فقال بأن الإنكليز يكتفون بأول درهم تصـله أيديهم في جيبك، بينما الأمريكان يمدون أيديهم لإخراج آخر درهم.

هذه بعض من جوانب الصراع على النفوذ، صارت فيها الموصل جزءاً مهماً، وكان لا بد من اختراع وتضخيم (داعش) بين الفرقاء المعنيين، ساعدهم على ذلك غباؤنا، وقلة حيلتنا، وفسادنا، وفهمنا الضيق للدين، واجترار الماضي ببلاهة نادرة.

على كل حال، لننتظر ما هو قادم، ففصول المسرحية لن تنتهي بالقضاء على (داعش)، وتحرير الموصل.

*** ***

ما قدمنّاه أعلاه جزء من الصورة، ولكي تكتمل النظرة، سنعرّج على التاريخ، ونرى كيف أن (داعش) – مع أنها صنيعة المخابرات الأجنبية والمحلية - ولكنها ليست شيئاً بدعاً في تاريخنا، ومن قبلهم خاب ظن القرمطي..

وخاب ظن القرمطي..!

إن أكثر ما يحز بالنفوس، ويؤلمها، إهانة رموزها الدينية، والاعتداء عليها. ويبدو الأمر في غايةالغرابة عندما يتم ذلك باسم الدين، وهو اختراع عبقريات شريرة لم يعرف لها التاريخ مثيلاً.

فـ(القرامطة)، وهم عظم من عظام الإسماعيلية الباطنية، كانوا من هذه الفئة، وشعارهم المناداة بالعدل والمساواة والتوحيد باسم آل البيت، وآل البيت بريئون منهم براءة الذئب من دم ابن يعقوب !

وكان شعار قائدهم (حمدان قرمط): "أمرت أن أدعو الناس من الجهل إلى العلم، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الشقاوة إلى السعادة، وأملكهم ما يستغنون به عن الكد والتعب"، وذلك كله باسم الدين، لا من خارجه!

انتشرت دعوتهم بين الأعراب والموالي، وكانت ممارساتهم في القتل والهمجية والنهب والسلب شيئاً لا يصدق، حتى إن مستشرقاً كبيراً، مثل (دي خوية) الهولندي، يؤكد بأنه لم يكن لهم دين ولا شعائر دينية، سوى القتل والسلب والنهب واستباحة كل شيء.

ويقول: "في الشهر الأخير من عام 317 هـ كانون الثاني 930 م" توجهوا نحو (مكة المكرمة)، ودخلوها يوم التروية في الثامن من ذي الحجة، بقيادة (أبي طاهر الجنابي). وكان قبلها عام (312هـ) قد تعرّض لقوافل الحج، حيث قتل 2200 رجلاً، و300 امرأة، ومثل هذا العدد أخذوا أسرى.. وكان بين المسبيين: الأمير (عبدالله بن حمدان)، والد (سيف الدولة) الذائع الصيت، وكانت فلسفتهم بأن الحج ممارسة شركية، ولذلك يجب منعها وتدميرها!

يقول (دي خوية): "وأخذ جنود أبي طاهر الشـــرسين يقتلون ويدوسون كل شيء، ويصيحون بضـحاياهم بسـخرية ووحشـية: يا حمير، أليس قلتم في هذا البيت: من دخله كان آمناً؟ أين حرمته، وأمنه، الآن؟".

وقال أحدهم: "يا حمير، تعبدون الحجارة، وتطوفون بها، وتلثمون أركانها، وترقصون حولها".

ويقول (دي خويا) إن مجموع القتلى في المسـجد الحرام بلغ 1700 شـخصـاً، من مجموع 30000 قتلوا في (مكة) كلها.

وأرادوا هدم الكعبة قبل خروجهم، ولكن استعجالهم بنقل الغنائم جعلهم يعدلون عن ذلك، واكتفوا بكسـر الحجر الأسود، ونقله إلى عاصمتهم (هجر)، على ساحل الخليج العربي، حيث بقي عندم 22 عاماً، وقال كبيرهم حينذاك: "أخذناه بأمر، ولا نرجعه إلا بأمر". وهو كلام يدل بلا شـك أن وراءهم قوى أخرى تحركهم، خرج (أبو طاهر) من (مكة) وهو ينشد مستهزءاً:

لو كان هذا البيت لله ربنا لصبّ علينا النار من فوقنا صبا
لأننا حججنا حجة جاهلية محللة، لم تبق شرقا ولاغربا
وأنا تركنا بين زمزم والصفا جنائز لا تبغي سوى ربها ربا

لقد كان مخطط (أبا طاهر)، ومن يقف خلفه من قوى الشـــر الباطنية، محو قدسية الكعبة من عقول المسلمين، ولكن ظنه خاب، فرغم النكبة، فإن المسلمين زاد تعلقهم بدينهم..

هذا بالضـبط مافعله قرامطة زماننا الحاضر (داعش)، عندما اسـتباحوا الأخضـــــر واليابس، بحجة محاربة الشرك، ونصرة التوحيد.

فعندما هدموا المســاجد كانت حجتهم وجود القبور فيها، ولكن وجههم القبيح، ونواياهم الشريرة، انكشفت بتفجير (الجامع النوري)، ومأذنته الشهيرة، حيث لا قبر ولا ضريح.

هذا الجامع الذي يقع في قلب الموصـل، ولا تبعد عنه الكنائس إلا أمتاراً معدودة، كان رمزاً للتعايش والتسـامح الذي ينادي به الإسـلام، فكان تدميره هدفاً خفياً من أهداف هذا التنظيم، الذي خدع الناس بأعلامه السـود، وشعاراته حول (خلافة على منهاج النبوة)، حيث وضع داعيهم نفسـه على خط النبوة، وكان ذلك تشـويهاً لمنهج النبوة، بما فعلوه من همجية وقسـوة فاقت ما فعله القرامطة .

لقد جلبوا مفاهيم عجيبة غريبة، فأرادوا - كما يزعمون - تعليمنا التوحيد، وكأننا نعبد اللات والعزى، ولا نصلي، ولا نصوم، ولا نزكي، وهذا هو التكفير.

وكما خاب ظن القرمطي، ومن خطط لمخططه الجهنمي، فإن مخطط هذا القرمطي الجديد سـيخيب، ويخيب معه من خطط لهدم الدين باســم الدين، كأحد الأهداف لهذه المنظمة السـوداء، وسـتعود الموصـل لسـابق عهدها، فالتاريخ لا تمحوه الأعمال الإجرامية والهمجية السوداء❐

السياسة الأمريكية في العالم وفي المنطقة الإسلامية (محاولة للفهم)

أحمد البياتي

تدور في المنطقة، والعالم، أحداث كثيرة، قسم منها طبيعي، بحكم تسلسل الأحداث، وقسم آخر يكتنفه الغموض، وله أبعاد لا نملك لها تفسيراً واضحاً.. ونرى أن من يفهم السياسة الأمريكية، وأهدافها في المنطقة، والعالم، يستطيع أن يضع تحليلاً لكثير من الأحداث التي تدور في المنطقة، ليس من باب نظرية المؤامرة، بل من باب التحليل السياسي والمنطقي، إذ إن من أولويات كل قوة، صغيرة كانت أم كبيرة، إذا أرادت النمو، فلا بد أن تخطط في مسارين: الأول: تقوية نفسها. والثاني: إضعاف خصمها.

تعيش (الولايات المتحدة) اليوم مفصلاً مؤرقاً، فهي أكبر قوة على الأرض، تحلم بقيادة نصف الأرض الذي يقطنه النصارى، وبعض الدول المنضوية تحت ظلها، لتعيد مجد الرومان، الذين استمروا - ولحقبات من الزمن - ينافسهم الفرس، ثم المسلمون.. وأن لا يخرج نصف الكرة الأرضية الثاني عن طور سيطرتها.

وهم اليوم يمتلكون كل مقومات القوة العسكرية والمالية والعلمية والتقنية والبشرية، مما يؤهلهم لذلك، وهم يكافحون للاستمرار في المحافظة على موقعهم هذا، وكيلا يبلغوا مرحلة الانهيار، كما انهارت واضمحلت كثير من الحضارات على مر العصور.

وقد دأبت مراكز البحوث والدراسات الأمريكية بالوقوف على الحقيقة المؤلمة، والمأساة القادمة، ووضع الحلول الناجعة لتلافيها، فكتبوا كثيراً، وحللوا أسباب نمو وسقوط الحضارات، وخلصوا إلى النتيجة التي تشير إلى أنه للحفاظ على حضارتهم (الأمريكية الجديدة) في المرتبة الأولى، فعليهم تحقيق الهدف الاستراتيجي، وهو ديمومة السيطرة على العالم، وهذا يتطلب أن تستحوذ على أركان السيطرة الثلاثة، وهي:

1. المال.

.2الطاقة.

.3الديموغرافية (القوة البشرية).

فإذا ما تحققت هذه الأركان الثلاثة، عندئذ تتربع على عرش إمبراطورية العالم، ولكن ليس بالشكل القديم الكلاسيكي الظاهري، بل بالشكل الحديث، الذي لا يسمح لأيّ شاردة وواردة في العالم أن تمر إلا من خلالها:

فلا يستثني الهدف الاستراتيجي ركناً واحداً،أو ركنين، فإنها ستكون حضارة عرجاء تؤول للسقوط، بل لابد أن تسير الأركان الثلاثة بشكل متواز.

فلتقوية هذه الأركان، وتغذيتها، لابد أن تسير بمسارين:أحدهما إيجابي، والآخر سلبي، وهما: (تقوية الذات، وإضعاف الخصم المنافس)،لكي تبقى ذا سبق، ويبقى المنافس يجر أذيال الخيبة، والحاجة المستمرة إلى القوى المتنفذة.

فلتقوية الركن الاقتصادي والمالي، تتفنن (الولايات المتحدة) في أساليب كسبها طرقاً شتى من عرق جبينها، ومنها ما تجبيه من الدول الأخرى، بطرق قانونية ملتوية، تبع للهيمنة الأمريكية، سواء عن طريق التوفير الإجباري لأموال النفط الكبيرة، من الدول المنتجة للنفط في البنوك الأمريكية، إو عن طريق عمولات تحويل الدولار عن طريق البنك المركزي الأمريكي، أو تحديد التعامل بالدولار أمام الذهب، أو ما يطبقه البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، من سياسات جعلت أكثر الدول تدين بالتبعية لها، نتيجة القروض ذات الفوائد المركبة، والتي أثقلت بها كاهل كثير من الدول، فعجزت عن تسديدها، فترزخ عندها تحت طائلة الديون، فتقع أخيراً في المصيدة الأمريكية ، إضافة إلى جبايتها الأموال الطائلة بحجة حمايتها من الإرهاب، فابتزت دول الخليج –ولا تزال - وهم الشاكرون لها، ومن خلال إشاعة الفتن والحروب الداخلية والخارجية، بواسطة سماسرة الحرب، والتي هي إحدى وسائل إضعاف الشعوب، مادياً وديموغرافياً، كي تدير خطتها من (واشنطن)، ولا يسع هذه الدول إلا أن تنشغل بقضاياها الداخلية، وتحاول بناء ما تخربه الحروب.. هكذا يسير العالم من حرب إلى حرب، ومن فتنة إلى أخرى، وتبقى أمريكا متربعة على عرش السلطة والتمكين.

وركن الطاقة لا يقل أهمية عن ركن المال، فنضوب مصادر الطاقة في العالم، جعلها تستميت من أجل النفط والمعادن الأخرى، وترى أن لها حقاً في كل منابع الطاقة في العالم.

والركن الثالث، والذي أنا بصدده، لا يقل أهمية عن سابقيه، بل هو الركن الأهم، وهو مفهوم (الديموغرافيا)،أو القوة البشرية، إذ عرفها علماء الاجتماع اصطلاحا: "هي الخصائص السكانية، مثل إحصائيات زيادة السكان، والكثافة السكانية، والتوزيع السكاني، ونسب المواليد والوفيات، والهجرات بأنواعها، وأسبابها، ونسب العمر، ومستوى الدخل ... إلخ"، وخلصوا إلى أن كل حضارة، لكي تديم حضارتها، يجب أن لاتقل نسبة الإحلال فيها، والتي هي (نسبة الولادات إلى نسبة الوفيات) عن 2.11% ، فعندما تمّ قياس نسبة الإحلال في كل دول العالم، صعقوا لما عرفوا أن

نسـب الإحلال في الدول الأوربية والأمريكية لا تزيد عن 1.6%، وهناك دول نسـبة الإحلال فيها هي 1.3% ، وهذا يعني أن الدول هذه سـائرة إلى الاضـمحلال.. ووجدوا أن دولة مثل (هولندا)، في عام 2025، سـتكون نسـبة النصـارى فيها 50%، وهناك 3 ثلاث دول أوربية سـتتحول في عام 2050، ديموغرافياً، إلى دول مسلمة.

وبالمقابل وجدوا أن نسـبة الإحلال في الدول الإسـلامية لا تقل عن 5.5%، مما يؤدي إلى تحدّ مستقبلي كبير، ومخيف، لهم، إذ يعني تحول الهيمنة وزمام الأمور من الغرب إلى المسلمين خلال نهاية هذا القرن والقرن القادم، فأرّق هذا الأمر مضاجعهم.

فسـدّاً لهذا النقص، فتحوا أبواب الهجرة إلى أوربا، وكندا، وأمريكا، واسـتراليا، وغيرها، فهاجر خلق كثير، طلباً للعيش الرغيـد، أو هربـاً من ظلم حكـامهم، ليتـأقلموا مع الحيـاة الجـديـدة، وبهرجتها، وما توفره لهم من إمكانات تبهرهم، إضـافة إلى تعمّد تشـتيتهم على المدن والقرى، ليبقوا وحيدين، غرباء، ضعفاء، فيسـهل تذويبهم، وترويضـهم، فنسي كثير من المهاجرين في هذا الخضـم دينهم ومعتقداتهم الأصلية، وتراثهم، وخصوصاً عند من لم تكن لها الأهمية والأولوية في أذهانهم، فذاب كثير من الناس، وضـاعوا في الحضـارة الغربية.. وإذا حاول الجيل الأول جاهداً المحافظة على دينهم، فلا يسـتطيع الجيل الثاني، أو الثالث، ذلك.. فعوّضـت هذه العملية النقص الحاصل عندهم في نسبة الإحلال.

فتشـجعوا وعمدوا إلى افتعال أزمات سـياسـية، وإنشـاء دكتاتوريات ظالمة، وحروب، وفتن، في بقـاع كثيرة، لتسـهـل هجرة جماعـات من عوام النـاس، وممن يشـعرون بظلم مجتمعـاتهم، وحكامهم، ليسـهل تذويبهم كردّة فعل على بيئتهم القديمة التي ظلمتهم. وكل ذلك يتمّ حسـب خطة سـنوية.. إلا أن خطتهم هذه لم تفلح إلا لمدى قريب.. وذلك بعد أن كثرت الهجرات، وكثر الوافدون، مما اسـتدعى تكوين تجمعات إسـلامية، بنت لنفسـها مسـاجد، ومراكز إسـلامية، ومدارس، فأصبحت محاضن ترعى أبناءها، وحافظت على دينها وتراثها، فضعفت بذلك، أو على الأقل تأخّرت عملية تذويبهم، أو تذويب أبنائهم، أو أحفادهم، في الحضارة الغربية.

بل تعدى الأمر إلى تحوّل النصـارى إلى الدين الإسـلامي، بجهود الدعاة الذين تميزوا بنشاطاتهم الدعوية والإنسانية، فأخلّ ذلك بعملية معالجة نسبة الإحلال المطلوبة، مما أثار حفيظتهم.

وتوصلوا إلى أن الإسلام والمسلمين هو التحدي الرئيسـي لهم، عندما رأوا أن جلّ المتحولين من النصـارى، يتحولون إلى الدين الإسـلامي، فعمدوا إلى وسـائل إرهابية، كتفجيرات سـبتمبر، وأنفاق لندن، وجاءت أخيراً شارل هيبدو، وغيرها، ونجحوا إلى حد معين بتخويف ذوي النفوس الضعيفة، إلا أن كل محاولاتهم كانت تنجح لأمد قصـير، ثم تنقلب ضدهم، وكما يقول المثل: انقلب السحر على الساحر، واتسع الخرق على الراقع .

فعمدوا مجدداً إلى مخطط يهدف إلى تقليل نسـبة الإحلال في المناطق الإسلامية، بخلق حروب وفتن ونزاعات إسـلامية-إسـلامية مسـتمرة، ليس فيها رابح وخاسر، مسـتفيدين من النزاعات

الطائفية والعرقية، وتمّ دعم جهات متطرفة للقيام بالمهمة المقدسة، بحجة الجهاد والخلافة الإسلامية، لتكون سلاحاً ذا حدين، ولتستنزف أرواح أكبر عدد ممكن من شبابها، فتخلّ بنسبة الإحلال في المناطق الإسلامية،إضافة إلى جذب الناشطين الإسلاميين من بلاد الغرب، ليتم التخلص منهم، ويستنزفوا في هذه البلاد، ولا يسمح للناجين بالرجوع إلى أوربا وأمريكا، فيكونون بذلك قد ضربوا عصفورين بحجر واحد.

و لتحقيق بقاء هذه الأركان في قبضتها، فهي تتخذ كافة الإجراءات لاستيعاب وتسيير كل الأهداف الإقليمية التي تصب في هذه الأركان الثلاثة، أولها: استنزاف أكبر قدر ممكن من الناس، والحصول على المال والقوة الاقتصادية، أو للحصول على الطاقة السهلة والرخيصة، وتمنع وتحد كل هدف إقليمي لا يصب، أو يعارض، مخرجات الأركان الثلاثة.

والأهداف الإقليمية كثيرة، وهي على نوعين: الأول: (الحكومات العادلة، المصالحة الوطنية، التعايش السلمي، استقلال الكيانات الصغيرة، كالدولة الكوردية، وإنشاء الأقاليم، كالإقليم السني، والإقليم الشيعي، وغيرها). والنوع الثاني: (تصدير الثورة، أطماع بعض الدول بأراضي جيرانها، وخوف بعض الدول من سطوة جيرانها، ومحاولة تقسيم وتفتيت دول المنطقة، استنزاف الدول المحيطة بإسرائيل، النعرات الطائفية، النعرات القومية والعرقية... وغيرها).

فالنوع الأول من الأهداف الإقليمية تؤدي إلى استقرار شعوب المنطقة، وهذا لا يصبّ في الأركان الثلاثة، وخصوصا ركن الاستنزاف، وتقليل نسبة الإحلال، فتحاول جاهدة لتأخير هذه الأهداف، والمماطلة فيها، وتبقى تؤمل الأطراف المتنازعة بأن لها حق الحياة، والعيش بسلام، وتقرير المصير، دون الوصول إلى نتيجة، حتى استنزاف آخر قطرة دم.

وأما أهداف النوع الثاني، الموجبة لإثارة الحروب، كالنعرات الطائفية، والتكفير، وتصدير الثورة، و(داعش)، والثورات العربية، أو الربيع العربي، وتفريغ المنطقة المحيطة بإسرائيل، والحرب الدائرة في العراق وسوريا، والحرب الحوثية، وتخويف العرب من إيران، وإثارة نعرات تسليم العراق واليمن وسوريا إلى إيران تارة، وإلى السنة تارة أخرى، مما يثير كوامن الطرفين للتحفيز للنزاع، وهذه كلها تؤدي الغرض من موضوع الركن الثالث: (الديموغرافية)، فينفخوا فيه لتحقيق الفوضى العارمة، وبشرط أن لا تخرج عن سيطرتهم، وكما يسميها البعض: الفوضى الخلاقة.

فهكذا ستبقى المنطقة في دوامة الصراع والانشغال، فلا تكاد تخرج من أزمة إلا وتبتلى بأزمة جديدة، وليس هناك رابح أو خاسر، وهذا حال كل الحروب خلال القرن الماضي وإلى اليوم..

فلا بد أن يعي حكام وشعوب المنطقة حجم المؤامرة، كي يستطيعوا أن يدركوا الحل، والحكيم يدرك أن الحروب ليست في صالح أحد. وأن التهدئة هي المطلب العقلي في كل وقت {وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا}❐

على أعتاب استقلال كوردستان

سرهد أحمد

✍ قرر شـعب إقليم كوردسـتان أن يخطو نحو الاسـتقلال عن العراق وإقامة الدولة الكوردية المنشـودة، فرغم تهديدات المناوئين وتحذيرات المعترضـين، إلا أن الكورد يأبون التراجع عن تحقيق حلمهم التاريخي في إعلان دولة تتمتع بالشـخصـية القانونية الدولية، وتشـكل لهم نهاية محطة من مسيرة كفاح مسلح طويلة قدموا خلالها تضحيات جسام، وبداية محطة انطلاقة جديدة نحو الاستقرار والبناء والسلام الدائم.

فالكورد لا يطلبون أكثر من حقهم، ولا يتطلعون إلى التوسـع على حسـاب غيرهم، هم يريدون فقط الاسـتقلال بكيانهم ووجودهم الأزلي على أرضـهم، عن دولة قطرية من صـنيعة الاستعمار.

واللجوء إلى الاسـتقلال ليس ترفاً، بل اضـطراراً، لأن الكورد اسـتنفذوا جميع سبل البقاء مع دولة لجأت أنظمة حكمها المتعاقبة إلى عدم الإبقاء على أي بصيص أمل للتعايش المشترك.

فمجرد التفكير في البقاء ضمن الدولة العراقية مدة أخرى هو بمثابة الانتحار، حتى وإن قطعت حكومة بغداد الحالية وعوداً على نفسـها بإصـلاح العلاقة بين الإقليم والمركز، فالكورد ليسوا سذجاً حتى تنطلي عليهم الوعود الجوفاء، فهم اختزلوا تجارب تاريخية مع حكومات غابرة كانت في مراحل الضعف تعد الكورد وتمنيهم، وفي مراحل القوة تتنصل من وعودها.

واسـتشـعار الكورد بأن الظرف الدولي مناسـب لإعلان الاسـتقلال لا يجانب العقلانية، وصـحيح نسـبياً، وإن كان موقف دول الجوار الإقليمي محبط بعض الشـــيء، إلا أن مؤشرات النسق الدولي لا زالت مشجعة.

لقد ولى الزمن الذي لم يكن للكورد فيه أصدقاء سوى الجبال، ولم تكن مساحة تحرك قادته غير الوديان العميقة والتخوم السياسية الفاصلة، هم الآن شركاء المجتمعي الدولي في محاربة الإرهاب العابر للحدود.

فهذه الشـــراكة بمثابة حصانة ووقاية من أي خطوات عدائية قد يقدم عليها الجوار الإقليمي المناوئ للاستقلال، ولا يمكن لهذا الجوار أن يذهب بعيداً عن استخدام ورقة إغلاق المنافذ الحدودية، لأن الخيارات الأخرى ستكون كارثية على المنطقة برمتها.

فالجوار الإقليمي يزعم أن استقلال الكورد سيؤدي إلى تفتيت العراق، متناسياً أن العراق مفكك عملياً، وهو من كرس هذا التفكيك لأطماع جيوسياسية، ولا ذنب للكورد في ذلك.

ولا ننســـى أن القادة الكورد تسابقوا إلى بغداد بعد 2003 ليشاركوا في بناء الدولة مجدداً وإدارتها وفق قاعدة المشاركة لا المغالبة، إلا أن استئثار مكون بعينه بالسلطة نسف كل الآمال بعراق جديد.

إن خروج الكورد من حالة الإلحاق القسري بالعراق العربي، ليس مروقاً عن الدين ولا خروجاً على الملة، بل هو استرداد لحق طبيعي بالوجود، منحه الله {وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}، ومنعه ذوي القربى في العقيدة والتاريخ.

وظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

إن الاستقلال حق ينتزع ولا يمنح، والكورد سينتزعونه سلمياً وقانونياً، وسيقيمون وطناً جاراً للعراق. وهذا ليس حلماً، بل حقيقة نعيش أولى خطواتها❐

الكورد و الانفصال وخطاب (الضحية)

عبدالله ريشاوي

✍ الخطاب الرسـمي والشـعبي في كوردستان يبرر (الانفصال من العراق)، استناداً إلى تعرض الكورد للقمع و الظلم وإجهاض الحقوق من قبل الدولة العراقية منذ تأسيسها وإلى الآن، وحتى في المستقبل.

لذلك، فإن هذا الخطاب يرى أن حل مشكلة الكورد مع الدولة العراقية ينحصـــر في إقامة دولة كوردية تنهي التاريخ الدموي، وتقضـــي على أسباب الظلم التي يتعرض لها الكورد من حين لآخر.

إن هـذا الخطـاب، وإن كان فيه جانب من الصـــواب، ولكنه في نفس الوقت لا يخلو من جملة من التناقضات والإشكاليات، ومنها:

أولاً: الإشـــكـاليـة أو التناقض الأولي لهذا الخطاب، أنه خطاب مبني على (علة معينة)، ألا وهي الظلم وإجهاض الحق، وعلمياً: إذا انعدمت العلة، انعدمت النتيجة.

بمعنى أوضـح: العلة هنا (الظلم)، والنتيجة إرادة (الانفصـال).. فلو افترضـنا أن الحكومة المركزيـة، أو الـدولـة العراقيـة، لم تتعرض للكورد، ولم تجهض حقوقهم، كما هو الحـال في العراق الجـديـد - على الأقل من وجهة النظر العراقية -، فهل يتخلى الكورد عن مطالبتهم بالانفصـــال، وإقامة دولتهم؟ الجواب الحقيقي الذي لا يختلف عليه اثنان، ويؤكده أصحاب الخطاب التبريري للانفصال، هو: (لا)، بكل وضوح، وبلا تردد.

فالكورد يرون أنفسهم أصحاب حق في إقامة دولة كوردستانية على أراضي كوردستان، ولا شيء يثنيهم عن هذا الحق.. إذاً، فالخطاب التبريرى للانفصال خطاب غير منطقي، من حيث كونه يربط حقاً مشروعاً أصيلاً، بمبررات عرضية يمكن معالجتها.

ثانياً: هذا الخطاب يولّد معه شحنة من الكراهية تجاه العرب، أو تجاه بغداد، ومن يمثلون العرب في الدولة العراقية، كونهم من يظلمون الكورد، ويجهضون حقوقهم.. علماً أن القضية الكوردية قضية تاريخية أقدم وأكبر بكثير من الذين يحكمون العراق حالياً، فقد كانت القضية الكوردية قائمة قبل أن يولد (المالكي)، و(العبادي)، وغيرهم من المسؤولين العراقيين الحاليين.

وبالنتيجة، فإن هؤلاء السياسيين الجدد، الذين كانو في يوم من الأيام مساندين لقضية الشعب الكوردي، يرون أنفسهم في خانة الدفاع عن النفس، ويصطف مِنْ خلفهم من يصطف من العرب، الذين لا يؤمنون بوجود ظلم أو إجهاض من طرف المركز تجاه الإقليم.

ثالثاً: الخطاب الكوردي الذي (يبرر) للانفصال، ويربط حق الانفصال بالـ(تبريرات)، هو (خطاب الضحية)، وعلى الكورد أن يتركوا خطاب الضحية، لأنه خطاب ضعيف وهش ولا يرقى إلى طموحات الأمة الكوردية.

وفي نفس الوقت، فإن خطاب (الضحية) خطاب غير مفهوم، وغير مقنع، لمن يراقب وضعية الكورد في العراق الجديد، خارجياً وداخلياً، حيث يتمتع الكورد بحقهم في إدارة شؤونهم، في إطار (إقليم) ويتمتعون بصلاحيات ربما لا يتمتع بها بعض الأقاليم في العالم، ناهيك عن مناصبهم وامتيازاتهم في بغداد، حيث منصب رئيس الجمهورية، والنائب الثاني لرئيس البرلمان، و حصة جيدة في البرلمان والحكومة .

لذلك، فإن أي خطاب يحمل في طياته صوت الضحية، يكون خطاباً شاذاً، وغير مقنع، لا للخصوم ولا للمراقبين.

إذاً، فعلى الكورد أن يتبنوا خطاباً سلمياً منطقياً واضحاً تجاه بغداد، خطاب أصحاب الحق، الذين يرون أنفسهم أصحاب حق في إقامة دولة كوردستانية، حق لا يستند إلى تبريرات غير متفق عليها.

إن الكورد في العراق الجديد، أي بعد 2003، وبعد سقوط صدام، ووصول الكورد إلى المناصب العليا في العراق، يجب أن يعرفوا أن قدرهم قد تغير، وأن سفينة التاريخ قد ارتفعت أعلامها لصالحهم، وأن الرياح تجري بما تشتهي سفنهم، وأن الله قد استجاب لدعواتهم وصلواتهم! لذا فإن عليهم أن يتركوا خطاب الضحية، ويتبنوا خطاب أصحاب الحق، وأن يكونوا أصحاب مشروع، ويتركوا خطابهم الثوري والرومانسي العاطفي.

خطاب أصحاب الحق يختلف جذرياً عن خطاب الضحية، فصاحب الحق يسعى إلى نيل حقه دون إعطاء تبريرات، ولكن الضحية يبرر دائما أفعاله بالاستناد إلى حرمانه، و يربط حقه بجملة من التبريرات.

رابعاً: خطاب التبريرات، خطاب تفاوضي، وليس خطاباً اســـتراتيجياً، بمعنى آخر: إنك حينما تربط حق الانفصـــال بوجود ظلم وحرمان وإجهاض للحقوق، فهذا يعني أنك تطلب من الطرف الآخر الكف عن الظلم، وإعطـائـك حقـك في إطـار دولتـه هو، والجلوس معـه حول طـاولـة المفاوضــات، لحل مشــاكلك.. في حين الكل يعلم أن الانفصــال والحق في إقامة الدولـــــة، حلم انطولوجي لدى الإنســان الكوردي، غير مرتبط بالظلم والحرمان، وغير مرتبط بوضـعية عرضـية، كما أسلفنا.

المفارقة الطبيعية هنا هي أن رفع الظلم عن الكورد لا يقلل من مطالبتهم بحقهم في إقامة دولتهم، بـل على العكس تمـامـاً يزيـدهم قوة إلى قوتهم، والـدليـل أن الكورد في العراق هم أكثر مطالبة بإقامة دولة لهم من الأجزاء الأخرى من كوردستان، في حين أن الكورد في العراق - كما هو واضـــح- يتمتعون بحقوق يحلم بها الكورد في الأجزاء الأخرى! وهذا أوضـــح دليل على أن حق الكورد في إقامة الدولة المنشـــودة، غير مرتبط بظلم وخطايا الآخر، بل على العكس تماماً: مرتبط بتفهم الآخر لهذا الحق.

النقطة الأخيرة، والخلاصـة التي لا بد أن أشـير إليها، هي أن خطاباً يقوم على التبريرات، و يدعو إلى الانفصـال بسـبب خطايا بغداد، لن يسـتطيع أن يكون خطاباً سـلمياً، ولن يولّد نقاشـاً منطقياً وسياسياً حضارياً.

أما خطاب أصـحاب الحق، والذي هو خطاب غير (تبريري)، بل هو خطاب مبني على حق مشروع، فيستطيع أن يكون خطاباً سلمياً منطقياً، ومقنعاً للخصوم والمراقبين في آن واحد.

أنّ ما تعرض له الكورد تاريخياً من ظلم وإبادة وقمع، هو نتيجة للمطلب المشـــــروع في إقامة دولة، وليس العكس، كما يروّج له الخطاب التبريري الساذج❐

حوار

- ملامح تأهيل الورّاق المسلم في القرن الرابع الهجري/النديم أنموذجاً	حوار مع : د. جزيل الجومرد

ملامح تأهيل الورّاق المسلم في القرن الرابع الهجري النديم أنموذجاً

حوار مع الأستاذ الدكتور جزيل عبدالجبار الجومرد

حاوره: د. نبيل فتحي حسين

✍أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم، اسم لامع، عرفه التاريخ الثقافي العربي الإسلامي من خلال كتابه الشهير (الفهرست)، والذي يمثل إحصاءً للعلوم، والعاملين فيها، وما قدموه من نتاج خلال القرون الهجرية الأربعة الأولى..

وفي هذا الحوار الذي أجريناه مع الأستاذ الدكتور جزيل عبدالجبار الجومرد/ أستاذ التاريخ الإسلامي في كلية التربية/ جامعة الموصل، نحاول أن نستعرض جملة قضايا رئيسة تتعلق بالنديم: حرفته، مصطلحاته، تكوينه الثقافي، وهي موضوعات قدم لنا فيها الدكتور الجومرد آراء وتصوراتٍ جديدة تمثل خلاصة جهد عميق مكثف في شخصية النديم، وفهرسته، استمر ما يزيد على عقد كامل من الزمان..

لنقف أولاً عند أهم القضـايا التي تواجه الباحث في حياة النديم، وفي مقدمتها حرفته: (الوراقة).. كيف تقرأون النصوص التي تتعلق بحرفة النديم؟

الدكتور جزيل الجومرد: إنَّ القول بأنَّ (النديم) كان وراقاً، أو نساخاً، أو تاجر كتب، أو حتى شخصاً مهماً في عملية استيراد الكتب وتصديرها، كل ذلك يقتضـي أن نُطوِّر منهجنا في الاستقراء، وأن نبحث عن كثيرٍ من المواصـفات في أنحاء كتابه (الفهرسـت)، لكي نضـمها إلى بعضـها.. فنحن يجب أن نقف عند سَفَرِ النديم إلى الموصل عدة مرَّات، ولقائه ببعض علمائها، وشعرائها، واطلاعه على بعض الكتب فيها، كما ينبغي أن نقف عند سَـفَرِهِ إلى (حديثة)، ولقائه رجلاً شـيعياً جمَّاعة للكتب، اسـمه (محمد بن الحسـين)، ويُعرف بابن أبي بعرة، حيث يقول النديم: "فلقيت هذا الرجل دفعات". ويُفهم من هذه العبارة أنه زاره أكثر من مرَّة، فضـلاً عن ذهابه إلى مكتبة (الحكمة)، واطلاعه على بعض الكتب فيها.. كلُّ ذلـك يدلُّ على أنَّ النديم كان تاجراً يتجوَّل في أنحاء العراق، ويبحث عن النصوص، ربما لكي يشتريها ويبيعها.

وعندما يُنيط أحدهم به ثقةً كبيرةً في رؤية كتبٍ تكاد تكون ممنوعةً أو مثيرةً للشـكوك، فهذا لا يفعله سـوى شـخص غاية في القرب منه، ويدرك مدى تقديره لما يعرض عليه، أو أنه شـخص يدرك أنَّ هذه حرفته، وأنَّ حرفته تفرض عليه أن يرى الكتب أولاً، ثم أن يضـمن عدم الوشـاية بصـاحبها. وهكذا يظهرُ لنا أنَّ النديم طوَّر أخلاقيات الوراقة التي عنده، وكان يمتلك الكثير من الحرص؛ لأنه يتاجر في قضيةٍ خطيرة.

وهنا يمكن أن نتسـاءل عن سـبب متابعة النديم للكتب بعد وفاة أصـحابها: لماذا يتابع الكتب؟ غالباً ما يقوم بذلك لكي يرى مصـيرها، أو ربما للعودة إليها ثانيةً، وشرائها، وتوزيعها. وهذا يعني أنَّ إصراره على متابعة الكتاب الواحد، يعكس لنا أنه ليس فقط عاشق للكتاب، وإنما ورَّاق أيضاً.

وإذا ما قارنا بين ما قاله ياقوت الحموي وابن خلكان عن حرفته، فإننا نجد ياقوت - وهو وراق - حذراً وحريصاً، وهو في معرض الإدلاء برأيه في حرفة النديم، عندما يقول شيئاً يدرك مدى قيمته كمحترف للحرفة، بعكس ابن خلكان الذي يكتفي بإضـافة كلمة (الوراق) إلى نسـب النديم. وللحقيقة فأنا أفضِّـل رواية ياقوت.. وهكذا الحال بالنسـبة إلى (عمر رضـا كحالة)، فهو يكاد يكون نديم عصـــره، ففي كل كتبه كان رجلاً مُعجمياً، تهمُّه الكتب أكثر من أصـحابها، أو الكتب وأصـحابها أكثر من أي عَلَمٍ من الأعلام. واسـتنتاجاته عن النديم تعطي النصَّ قيمةً كبيرة، من حيث الذي يكون وراءه. أنا أقدِّر كثيراً حَدْس محترفٍ كـ(عمر رضا كحالة)، على حَدْس مؤرخٍ عادي أو حتى ممتاز، ولكنه ليس معجمياً ولا كتبياً - إذا صـحَّت العبارة -، أي ليس بالإمكان الاسـتهانة بحَدْس كتبي يتحدَّث عن ورَّاق، وحتى إذا لم يقدِّم شـواهِدَ معينة فيجب - في رأيي - ليس الأخذ برأيه، وإنما الانطلاق منه في بحث جديد.

كيف تنظرون إلى مصطلحات النديم في التعامل الثقافي مع الكتب؟

الدكتور جزيل الجومرد: إذا أردنا أن نجيب على سؤال يتعلّق بمسألة هل إن مصطلح النديم وِرَاقيٌ في التعامل ثقافياً؟ فنحن بحاجةٍ إلى قاموسٍ وِرَاقي، يُبيِّن معاني الورق والقرطاس والطومار والأقلام والخطوط وغيرها. وهذا هو ما فعله النديم في مقدّمة كتابه، عندما حاول أن يقدِّم لنا مدخلاً تعريفياً موسَّعاً، ولكنه مدخل في مصطلح الوراقة. وهذا كلّه يجعلنا نقول: إذا لم يكن النديم ورّاقاً، فماذا يكون إذاً؟ إنه رجل يجيد علم الوراقة، فهل كان ذلك عن ممارسة؟ هل هو كـ(ابن وحشية) في كتاب (الفِلاحة) فلاح؟ ليس بمقدور أحد أن يقول إنَّ (ابن وحشية) كان يمارس الفلاحة، ولكن مصطلحه في كتابه فِلاحيّ. ومثله (ابن بصَّال)، و(ابن وافد)، وغيرهم. وهذا يعني أنَّ علينا أن نعترف بوجود شريحةٍ اجتماعيةٍ ثقافيةٍ ليست من ذوي الحرفة فقط، وإنما الحرفة والمعرفة التي يمكن أن تُدوّن عنها، وهذا قد عوَّض عن التجربة في رأيي.

ومن هذا المنطلق، فإن الحضارة المعاصرة لا يمكن فهمها لهذا السبب، فهناك شرائح اجتماعية ثقافية لم تعد موجودة، ولكي نوجدها فلا بد من تفتيت الحضارة بمفهومها الذي أضفيناه عليها، وإعادة تركيبها تركيباً جديداً.

هل كان النديم عالماً بمفهوم العلماء الذين تناولتهم كتب التراجم؟

الدكتور جزيل الجومرد: تزداد قناعتي يوماً بعد يوم أنَّ النديم ليس عالماً بمفهوم العلماء الذين يترجم لهم (الخطيب البغدادي) - مثلاً - في كتابه (تاريخ بغداد)، ولا تجوز عليه منهجية البحث عن الشيوخ والتلاميذ، لأنه ليس شيخاً، ولا تلميذاً، بل هو محترف، وهذا يزيد من إمكانية كونه محترفاً للوراقة. مرةً أخرى يجب أن نبحث عن هذه الشريحة للمحترفين الكُتاب، كابن وحشية الذي لا نعرف من هم شيوخه، ولا نعرف من هم طلبته، ولكنه كتب كتاباً عن الفلاحة ذا قيمة كبيرة يدلُّ على احترافٍ وممارسة، وقدم لنا نصّاً مليئاً بالمصطلح أيضاً، ولكنه يشبهُ تقريباً ابن حجاج الغرناطي، كما يُشبه ابن العوام الإشبيلي، صاحب كتاب (الفلاحة)، فهؤلاء حرفيون لا يتمشيخون بالطريقة نفسها التي يمارسها المُحَدثون. وهذا يعني أنَّ هناك حِرفاً لا تمت بصلةٍ إلى هذا المعيار في التعامل الذي يبحث عن الشيوخ والتلاميذ في دراسة التحصيل الثقافي، وهذا يزيد من احتمال كون النديم حِرفيّاً نشأ في السوق، وتناول حرفةً لا تُدَّرس، ولكنه غاص في أعماقها، وأصبح خبيراً بها. هذا الرجل يمكن أن نضعه ضمن شريحة أخرى خارج هذا الإطار المنهجي، مما يعني أنه يجب أن نفكر في كون دراسة الحرفي لا يمكن أن نعتمد معها الأسلوب نفسه في التعامل مع المُحدث، أو مع المفسر.

الآن يظهرُ لي أنَّ النديم لم يقصر معرفته بالكتب - كحِرفي - على ذوي الثقافة العالية المجازين، إنما أخذ المعرفة التي تتعلَّق بالصُحف والكتب والأوراق والكتابة والطوامير من أي شخصٍ يستطيع أن يتحدَّث عنها، ولكنه راعى الدقة ونسب الأقوال إلى أصحابها، وبيَّن من أي

وعاءٍ جاءته الفكرة، ولكنه لم يكن مرتبطاً بمنهجية علماء الحديث، ونمطيتِهم نفسِها في النقل من الثقات ورجال المشاهدات وغير ذلك. بل هو يأخذ ممن هو أكبر منه، كما يأخذ ممن هو أصغر منه.. يأخذ من شخصٍ له قيمة اجتماعية، ويأخذ من شخص هو أقل قيمة اجتماعية.. يأخذ من شخصٍ منبوذٍ ذهنياً أو أيديولوجياً، كما يأخذ من شخصٍ مقبولٍ أيديولوجياً.. وهذه هي صناعة الحِرف.

يوماً بعد يوم أقرأ النديم، ويوماً بعد يوم أتحاور معه، وأقرأ بعض نصوصه، وفي كل مرةٍ يُعاد توزيعه على خارطة التكوين الاجتماعي والثقافي لعصره. والآن يظهرُ أنه يستقر أكثر ضمن الخارطة الثقافية أو الحرفية لعصره. وهذا يعني أنه يمكن القول إننا الآن في طريقنا لإيجاد الملامح الرئيسة لحرفة الوراقة من جديد، فعلى الرغم من أن الوراقة دُرست مراراً وتكراراً، ولكن أحداً من المؤرخين لم يقدِّم لنا لحدِّ الآن مقومات الورَّاق المسلم، وأرى أنَّ دراستي للنديم على مدى عقد من الزمان تقريباً تكاد تعطيني الآن صورةً لا بأس بها عن ملامح تأهيل الورَّاق المسلم في القرن الرابع الهجري❐

تنمية بشرية

- العادات العشر للأغبياء	سعد الخالدي

العادات العشر للأغبياء!

سعد الخالدي - مدرب تنمية بشرية

✍" عندما تكون ميتًا، فإنّك لا تعلم أنّك ميت، إنّه أمرٌ مؤلم فقط للآخرين.. نفس الشـــيء ينطبق عليك عندما تكون غبيًا"

مقولة عميقة لـ(ريكي جيرفيه)، أوضحت حقيقة بشرية هامة، ألا وهي: إنّه من الصعب جدًا أن نحدد بدقة ونحكم على نسـبة ذكائنا الخاصـة، فأيًا كان مسـتوى ذكاؤك ففي الغالب ستصور لك أفكارك أنك ذكيٌ، وإنْ لم تكن كذلك على الإطلاق! وسواء كنت ذكياً أم لا، فهي عاداتك وحدها ما يحدد ذلك، وأنت وحدك المسؤول عن عاداتك..

والآن إليك أهم عادات الأغبياء، والتي تمثل فوارق أساسية بين أسلوب حياة كل من الفئتين:

أولًا: الأغبياء دومًا على حق (تأثير دنينج – كروجر):

عالم غبي

ففي مواقف الخلاف دائمًا ما يرى نفسه على حق، ويثق بأنّه الأعلى كفاءة، لديه من الجمود ما يجعله لا يظهر أي اسـتعداد للنقاش، فهو يحارب ويحارب ولكن نقاشـه فقط من أجل إثبات صحة رأيه، ومهما كان الطرف الآخر كفئاً، ولديه الحجة، فلن يفلح في إقناعه، ولن يتزحزح الغبي أو يغير من موقفه في شيء، فيما يعرف بتأثير دنينج – كروجر.

على عكس الأذكياء، الذين بالرغم من أنّ ثقتهم بأنفسهم كبيرة، إلاّ أنّهم دائمًا ما تكون لديهم تلـك المرونـة والقـابليـة للإنصـــات للآخرين، ولا يتخذون قراراتهم قبل الاطلاع على النقاشـــات

والأفكار، وتحليلها، والتأكد من صحة رأيهم الأول، أو حتى تغييره بمجرد أن يجدوا البديل الأفضل، فهم لا يسلمون بشيء بشكل مطلق!

ثانيًا: لا يتحكمون بانفعالاتهم:

صراخ وغضب

فعلى الرغم أنّه من المعروف أنّ "صـــوتك العالي دليل على ضـــعف موقفك"، إلاّ أنّ الأغبياء بمجرد أن يشـعروا بأنّهم يفقدون السـيطرة على الموقف، وأن الأمور لا تسـير كما هو مرتب لها، نراهم ينفعلون، وغالبًا ما يندفعون ويلجأون لإظهار مشاعرهم، والتصرف بغضب، فهي طريقتهم الدفاعية، ظنًا منهم أنّهم بذلك يسيطرون على الوضع ويحمون أنفسهم.

بخلاف الأذكياء، الذين لديهم - على الأغلب - القدرة على التحكم بمشاعرهم، والسيطرة على انفعالاتهم، حتى وإن عبّروا عن غضبهم من وقت لآخر، إلاّ أنّهم يتعاملون بتريّث في المجمل.

ثالثًا: أنانيون يتجاهلون مشاعر الغير:

الأنانية وتفضـيل أنفسـنا من طبيعتنا كبشـــــر، إلاّ أنّه من الهام أن نجد طريقاً للموازنة بين حاجتنا لتحقيق أهدافنا في الحياة، وبين تقدير احتياجات ومشـاعر الآخرين.. وهذا ما لا يضـعه الأغبياء في الاعتبار، فهم لا يقدمون شيئًا بلا مقابل، وفي أيّ شيء لا يرون سوى أنفسهم.

على عكس الأذكيـاء، الـذين يتعـاطفون مع الآخرين، يحترمون مشـــاعرهم، ويحاولون رؤية الأمور من منظورهم، مما يســـهل عليهم تفهّم وجهة نظر الآخر، ذلك أنّهم يدركون جيدًا حقيقة الاختلاف، فنحن لسـنا نفس الشـخص، ولا نفكر بنفس الطريقة، ولا نؤمن بنفس الأشياء، كما أنّ تصوراتنا ودوافعنا في الحياة أيضًا مختلفة!

رابعًا: يستاؤون من نجاح الآخرين:

الغيرة

فـالأغبياء يعتقدون أنهم الأفضـــل على الإطلاق، وبالرغم من أنّ فشـــل الآخر لا يجعل منك نـاجحًـا، إلاّ أنّ ذلـك يســـعـد الأغبيـاء، ويبذلون وراءه مجهودًا أكبر من الذي يبذلونه لنجاحهم الشـخصـــــي؛ فهم لا يطيقون نجاح غيرهم، ظنًا منهم بأنّ ذلك يقلل من شأنهم، ويبعدهم عن بؤرة الضوء!

بخلاف الأذكياء، الذين نراهم يحفّزون الآخرين، ويســـاعدونهم على النجاح، ولا يخافون من ذلك، فهم مقدرون لكفاءتهم الخاصة، ولديهم من الثقة بالنفس ما يكفي، كما أنّهم مؤمنون بأنّ

التعاون يلزم لتحقيق التقدم والإنجاز الكبير، بشكل عام، ويتعاملون بمبدأ المنفعة المشتركة، أو أن يكونوا بموقف الكل فيه فائز، فيما يعرف بال.(Win-Win Situation)

خامسًا: لا يتحملون مسؤولية أخطائهم:

فالأغبياء هم أشـــخاص غير مســـؤولين، لا يعترفون أبدًا بأخطائهم، فعند ارتكابهم أي أخطاء سرعان ما يجدون من يلومونهم عليها، ويحملونهم إياها، ويتنصلون من مسؤوليتهم في حدوثها.

بينما على الجانب الآخر، نجد الذين يتمتعون بالذكاء هم أشخاص مسؤولون بالكامل عن كل ما يحدث بحياتهم، يتحملون أخطاءهم، ولا يلومون سوى أنفسهم عليها.

سادسًا: عديمي الصبر، يفضلون النتائج السريعة:

ليس لدى الأغبياء تصور مستقبلي واضح، وهم يفضلون النتائج السريعة والمتع قصيرة المدى.

على عكس الأذكياء، الذين يحرصـــون - بادئ ذي بدء - على التأكد من ملائمة خياراتهم وســـلوكياتهم في الوقت الحاضر مع ما يريدونه في المســـتقبل، فنجدهم على اســـتعداد دائم بأن يقدموا تضحيات على المستوى القصير، لكنهم في النهاية يستمتعون أكثر، ويحصلون على ما يريدون، على المدى البعيد.

سابعًا: لا يركزون على أنفسهم:

ما أصعب أن تعيش وأنت تحاول إثبات شيءٍ ما لأحد!

هذا تحديدًا ما يدركه الأذكياء، لذا نراهم ينحون آراء الآخرين، وتقييماتهم.. وكما ذكرنا من قبل أنّهم مســـؤولون عن كل ما يحدث في حياتهم، فهم لا يعطون الآخرين أكبر من حجمهم، في حين نجد الأغبياء يبذلون الكثير من الجهد العصبي والنفسي في محاولة إثبات ذواتهم للآخرين، بدلًا من توفيره وبذله في تحقيق ما يريدونه هم لأنفسهم وحياتهم!

ثامنًا: لا يبادرون، فاقدين للقيادة الشخصية:

نظرًا لانعدام مهارات القيادة الذاتية لديهم، فالأغبياء لا يعملون إلاّ تحت إشراف وضـــغط وتشجيع من الغير، وتلقي تعليمات الآخرين، فهم دومًا في انتظار التحفيز منهم!

بعكس الأذكياء: مبادرون، يعملون على الأشـــياء التي يملكون القدرة على التحكم بها (دائرة التأثير)، بدلًا من الانشـــغال بالأشـــياء التي لا يســـتطيعون التحكم بها (دائرة الاهتمامات)، وهم يســـتخدمون هذة القدرة للتأثير على الأحداث، وتوســـيع دائرة التأثير الخاصـــة بهم، ولثقتهم بقدراتهم وشدة إيمانهم بأهدافهم، يحفزون أنفسهم لتحقيقها، ويضغطون على أنفسهم للعمل باستمرار - دون إشراف - لإنجاز أعلى المستويات.

تاسعًا: فاقدي الرؤية، لا توجه أو رسالة واضحة في الحياة:

فالأغبياء غالبًا ما نجدهم فاقدين للرؤية، وغير محددين لهدفهم أو رسالتهم في الحياة، وبالتالي فتصرفاتهم ليست من اختياراتهم الشخصية وما يريدونه لأنفسهم، بينما يتصرفون حسب ما تمليه الظروف والأوضاع، أو حتى المشاعر.

الأشخاص الأذكياء على العكس، لديهم رؤية شخصية، رسالة وتوجة واضح في الحياة، محددين لأهدافهم وأولوياتهم، وبالتالي نجد أن تصرفاتهم من اختياراتهم، وفق ما تمليه عليهم مبادؤهم، وما يريدونه لأنفسهم في الحياة.

عاشرًا: غير متجددين:

لكي نعمل بفعالية، نحتاج من وقت لآخر إلى صيانة وتطوير أنفسنا، وهذا ما لا يلقي الأغبياء الذين يتصفون بالجمود له بالًا، أو يكتفون بمستوى معين.. لكن الأذكياء معتادون على التجديد والتطوير الذاتي بصفة دورية، والعمل على الأبعاد الأربعة (بدنية، عقلية، اجتماعية، روحية) باستمرار.

العادات:

وأخيرًا بعد أن وضعت أمامكم العادات التي تمثل فوارق أساسية بين من يملكون المستوى الأدنى والأعلى من الذكاء، فيجب أن أشير إلى أنّ العادة ما هي إلا نقطة التقاء لثلاثة عناصر، وهي:

المعرفة بما أفعل، ولماذا.

المهارة، أو كيفية العمل.

الدافع، أو الرغبة لأدائها.

وعلى هذا، فإنّ العادات مكتسبة، أو يمكن تعلّمها.. وبالتالي بإمكانك العمل على هذة العناصر لتجنب أو التخلص من عادات سيئة، وكسب عادات أخرى تجدها مفيدة، فأنت وحدك المسؤول عن عاداتك❐

ثقافة

- الخطاط والفنان أحمد عبدالرحمن الأربيلي	اجرى اللقاء: معصوم محمد خلف
- القراءة المثمرة	إعداد: سالم الحاج

الخطاط والفنان أحمد عبدالرحمن الأربيلي على خطى الرعيل الأول

أجرى اللقاء: معصوم محمد خلف

إن الغوص في الأعماق، والتأمل الباطني في النفس المبدعة، يوحي لنا أن الناس جميعا يمتلكون كل القدرات والسمات، ولكن بقدر يتفاوت من فرد إلى آخر، ومن جماعة إلى أخرى.. وإنه ليس هناك اختلاف بين الناس، إلا في درجة وجود هذه القدرات والسمات عندهم ، وبعبارة أخرى: فالفروق الموجودة بين الأفراد والجماعات هي فروق في الدرجة لا في النوع، أو فروق كمية وليست كيفية.. وهذا ما ينطبق على المبدعين كذلك، فالقدرات التي يتمتعون بها موجودة عند سائر الناس أيضاً، ولكن بقدر أقل من وجودها عند المبدعين الذين حباهم الله بقدر كبير من هذه السمات نفسها.

فالإبداع الفني بمفهومه الواسع، هو محاولة الفنان أن يعبّر تعبيراً جمالياً في إطار عقيدته، ولهذا الإبداع وسائل تواصل متعددة تجمع الكلمة والخط والشكل والحجم واللون والكتلة .

والخط العربي هو الفكر الساكن، وهو الجدار الملموس لحاسة الصوت التي تنبعث من خلالها صهيل الكلمات العربية.

كما أعطى الفنان الخط الجميل عناية خاصّة عند كتابة القرآن الكريم، وسرى في جميع البلاد الإسلامية، وأصبح الحرف العربي واسطة التعبير في جميع اللغات الهندية والفارسية والتركية، وأخذ الخط مكانه كفن رفيع، بارتباطه الوثيق بالثقافة العربية والعقيدة الإسلامية .

حيث تشهد الساحة في إقليم كوردستان اهتماماً بارزاً بالخط العربي، وذلك من خلال تبوأ عدد كبير من الخطاطين مجال العالمية والامتياز والتألق والإبهار.. وهذا مؤشر إلى بروز حواضر

جديدة تضاف إلى حواضر الحرف العربي، فقد وضع (إقليم كوردستان) بصمته في ساحة هذا الفن الجميل بكل قوّة وجدارة .

والأستاذ (أحمد عبد الرحمن الأربيلي)، أحد أبرز الخطاطين في ذلك الإقليم، وهو من مواليد عام 1957.. عشق الخط العربي منذ نعومة أظفاره، في المرحلة الابتدائية، حيث تفتّحت بصيرته وبصره على كراسة الخطاط (هاشم البغدادي)/ رحمه الله / فنهل منها، وتواصل مع الخطاط المعاصر (يوسف ذنون الموصلي)، عام 1983، وتدرّب على يديه، وكان قد قطع شوطاً في إجادة فنون الخط.. كما حصل من أستاذه (يوسف ذنون) على الإجازة، ويعد ثالث خطاط، بعد الخطاط (علي الراوي) و(إياد الحسيني)، في الحصول على هذا الامتياز.

تأثر بكتابات الأستاذ (هاشم البغدادي)، وخاصة التي خطها على جدران الجوامع، كجامع محمود الحاج، وجامع الحيدري، واستفاد منها .

تدرّب على يديه العديد من الخطاطين المتميزين، ونهلوا من علمه، وفنّه، وحصلوا على الإجازة منه، وأبرزهم الأساتذة: الخطاط بزار كريم الأربيلي، والخطاط أكرم ذنون العبيدي، والخطاط صباح مغديد الأربيلي، والخطاط محفوظ ذنون العبيدي.

كما كتب جزءاً من القرآن الكريم على الطريقة البغدادية، وشارك في العديد من المسابقات المحلية والدولية، وأحرز فيها مكافآت وجوائز عديدة، أبرزها:

- المسابقة الدولية الرابعة لفن الخط العربي في (استانبول)، باسم الشيخ (حمدالله الأماسي)، وحصل على الجائزة الأولى مناصفة، في خطي الثلث والنسخ.

- حصل على جوائز في مهرجان بغداد الثالث والرابع.
- وما زال يبذل جهده في تعليم الخط العربي لطلابه، ويجود عليهم بما فتح الله عليه.
- كتب كرّاسة في تعليم خط الثّلث بصورة التقطيع، كي يعطي للهواة السبل اليسيرة، والطرق الكفيلة في اكتشاف مكامن السر، والبوح بها بكل شفافية وطلاوة وإعجاز.

وإن هذه الكراسة تعد الذخيرة التي تجمع ما بين الرصانة والليونة والبساطة والحذر، فيبهج النفس، ويسر الخاطر، ويفتح الآفاق، عبر نافذة كانت مغلقة على جميع الفنانين المتعطشين لهذا الفن الرفيع.

إن الخطاط(أحمد الأربيلي) لا يقصد بمشروعه الإبداعي تجاوز عقدة الضبابية والخفايا السرية ما بين الأستاذ والمتلقي في مرحلة التدريب والمثابرة، بل يؤسس لمنهج يجمع بين العلم والعمل، من خلال معرفة صحيحة لضوابط الحروف والكلمة والجملة.

وهو يعرض إبداعاته عن البعد الجمالي في أسلوبيات فنّه، الممزوج بالمرونة والعبقرية من جهة، وبالأصالة والعفوية من جهة ثانية.. لم يقصد البتّة أن يحصر هذه المعطيات في دوائر تلك الحلقات المحددة من الاستنتاجات المعرفية، ذلك أن لكل مجتهد نصيب، ولكل فنان أسلوب يتعامل به مع الحرف والكلمة واللوحة.

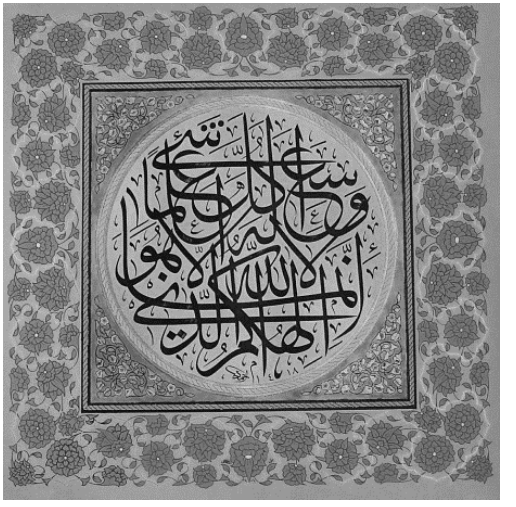

فالتعامل مع الحروف ينبغي أن تكون له أهداف ومقاصد وأصول مشروعة، تؤدي إلى تقديس القيم، والتي يجب أن يتميّز بها أدب المسلم.. فعن أمّنا (عائشة) رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملاً، أن يتقنه. / رواه البيهقي/. وهذه خاصيّة لا يجب التهاون فيها، كي نقدّم نصوصاً جماليةً يمكن أن تؤثر، لأن أيّ نص يخلو من جمالية التعبير، وإتقان الصيغ والأسلوب، لا يمكن أن يعدَّ فنّاً.

ومن خلال هذه السمات والعناصر يتكامل البعد الجمالي مع البعد القيمي والأخلاقي، ذلك أن القيم في العمل الإبداعي عموماً، لا تنتقص من جمالية النص الأدبي، مهما كان جنسه، لأنها سلوك جماعي ينبع من فطرة الإنسان. وقديما لم يقبل (أفلاطون) الشعر، إلا إذا كان مرتبطاً بوظيفته التربوية ومهمته الأخلاقية.

كما ويمتلك الخطاط (أحمد عبد الرحمن الأربيلي) ناصية الإبداع والدخول في عوالم اللوحة الخطية، ويجعلها ضرباً من الإعجاز، حيث يتعامل مع هذه الملكة بكل روح وثّابة، وقوام حروفي رشيق، مما يجعله واحداً من المبدعين الذين يُشار إليهم بالبنان.

حيث تمثّل قاعدة اللوحات الفنية في إبداعاته منظومة متكاملة، وهي نواة تنبثق عنها مبادئ الطريق السوي في التطلع إلى آفاق الجمال الإبداعي للخط العربي، لما يتميّز به من الحبكة المنمقة، والبساطة السلسة، والتي تهفو لها الأرواح في عناق بانورامي شمولي، ذا ألوان وأنوار حيّة، ومتحركة، تسّر الناظرين❐

سيرة ذاتية

الخطاط أحمد عبد الرحمن الأربيلي من مواليد أربيل عام 1957.
خرّيج إعدادية الصناعة في أربيل.
شـارك في المعارض المدرسـية، وحصـل على شـهادة تقديرية من وزارة التربية سنة 1977.
فتح أوّل معرض شخصـي في أربيل عام 1983، وحصل على إجازة الخط من الأستاذ الخطاط والباحث يوسف ذنون الموصلي سنة 1985.
أصبح رئيسا لجمعية خطاطي كوردستان العراق لدورتين متتاليتين.
مَنَحَ أربع إجازات في الخط، وهي على التوالي:
أكرم ذنون
بزار الأربيلي
صباح الأربيلي
محفوظ ذنون
شـارك في مسـابقة أرسـيكا سـنة 1986، باسـم الخطاط حامد الآمدي، وحصل على مكافأة في خطي النسخ والثلث معاً .
شارك في مسابقة ابن البواب، وحصل على مكافأة في خط الثلث، ومكافأة في خط النسخ.
شـارك في مسـابقة الشـيخ حمد الله الأماسي، وحصـل على الجائزة الأولى مناصـفة في خط النسـخ، والجائزة الأولى مناصفة في خط الثلث.
شارك في مهرجان بغداد العالمي للخط، وكرّم وأختير ضمن المتميّزين في العراق.
شارك في مهرجان بغداد العالمي الثالث،وحصل على جائزة الكوفة التقديرية.
شارك في مهرجان بغداد العالمي الرابع لفن الخط سنة 1998، وحصل على الجائزة الرئيسية.
شـــارك في مهرجـانات أربيل القطرية الأولى والثانية، حيث فاز في الأولى بالجائزة الأولى مناصـــفة، واختير ضمن هيئة التحكيم في المهرجان الثاني.
شارك في مهرجان دبي الدولي ، الدورة الخامسة، وشارك في كتابة الجزء العشرون من القرآن الكريم / شهر رمضان المبارك عام 2011 م.
كتب العديد من عناوين الكتب، وكتب جزء عم على الطريقة البغدادية.
كتب العديد من الآيات والذكر الحكيم على الجوامع، ومنها قبة الجامع الكبير في السليمانية.
عضو الهيئة الاستشارية في جمعية خطاطي كوردستان العراق.
أســـتـاذ الخط ، حيـث درّس الخط العربي في عـدّة دورات خطيّـة في الجمعيـة، وفي العـديـد من المحاضرات الخطية، وأصدر عدّة أمشاق خطية، وكرّاسة في خط الرقعة.
أُختير عضوا في هيئة التحكيم الدولية في ملتقى الشارقة للخط، في دورتها الخامسة.
أختير عضوا في هيئة التحكيم في مسابقة النجف الأشرف الدولية.
أصدر كراس مخارج الحروف في خط الثلث، من ثلاثين صفحة، بطريقة التقطيع، سنة 2017م. وهي آية في الجمال والروعة والأداء، بذل فيها عصارة فنه وإبداعه.

القراءة المثمرة

إعداد: سالم الحاج

لماذا نقرأ؟..

هذا سؤال كثيراً ما يطرح، وتتعدد الإجابات عليه.. ولكن أهم ما يمكن أن يقال هو أن الإنسان كائن قارئ، وقد فطره الله على ذلك، وميّزه بهذا عن بقية المخلوقات {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}، وجعل ذلك جزءاً من متطلبات القيام بمهام خلافته في الأرض..

فالإنسان هو الكائن الوحيد القادر على القراءة والتعلم، وتلك هي حكمة الله سبحانه، وقدره، في تهيئة الظروف الممكنة لابتلاء الإنسان واختباره: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}.. ولكن الإنسان – كما هو معلوم – ليس مجبراً في الانصياع لمهام الخلافة تلك، بل هو يقوم بذلك باختياره، بعد أن هيأ الله سبحانه الإمكانيات والاستعدادات.. ومن هنا نرى أن كثيراً من بني البشر لا يقرأون، ولا يهتمون بتعليم أنفسهم.. ذلك أن ملكة القراءة إنما هي دافع فطري موجود لدى البشر، وعليهم وحدهم يتوقف أمر تفعيلها أو تعطيلها..

"هكذا، إذن، ظهرت صناعة الكتاب. وهكذا، أيضاً، صارت قراءة هذه الكتب شرطاً لازماً لاكتمال إنسانية الإنسان. ولا عجب، بعد هذا، أن نجد أول آية في كتاب الله الحكيم، كانت دعوة للقراءة وتصفح الأوراق والتصورات المسبوقة عن العالمين.

ومن هنا، نجد أن الإنسان لا ينال كرامته الموهوبة من مستخلفه: {ولقد كرمنا بني آدم}؛ إلا بعد أن يقرأ، ويكون قارئاً. إن صفة الإكرام لم يُقرنها الباري به، سوى بعد حديثه عن القراءة. إن المُكرمون هم القراء: (اقرأ وربك الأكرم)، أي: اقرأ لتكون إنساناً، ويحق لك السؤال عن الكرامة. أما أن تطالب بالكرامة وأنت هائم في ظلام الجهل وبلادة الحس والألفة الغافلة؛ فذاك ضرب من ضروب التخريف وأضغاث الأحلام.

إن القراءة واجب على كل إنسان كي يكون إنساناً بحق. إنها ليست هواية، كما يُشاع، أو لوناً من ألوان الترف وتسلية الوقت والقضاء على الفراغ. إنها ليست حصاناً يُركب للردّ على الأغيار. إنها منبع النور، يحمل الإنسان على الاتصال بذخائر كل الناس، ومعاناتهم، وكبدهم، في سبيل البحث عن المعنى، وجدوى الوجود، في هذا العالم. إن القراءة اختبار للملكات والقدرات الخاصة بجنس الإنسان، أي التأمل، والتفكير، والتعقل، والمقارنة، وإثارة السؤال".(عبد الكريم سروش)

ومن هنا، كان من الواجب على الآباء والأمهات، وعلى مؤسسات المجتمع كافة، وخاصة التعليمية والثقافية منها، أن تنتبه لخطورة هذا الأمر، وتهيئ كل المستلزمات اللازمة لتفعيل

هذه الملكة، وهذا الدافع الفطري، ولتجعل الناس – كل الناس – يستزيدون منه، لأنه جزء من متطلبات إنسانيتهم، وخلافتهم..

فالقراءة – إذاً - ليست مجرد هواية، أو طقسًا من طقوس الترف أو الترفيه التي يمارسها الإنسان بشكل يومي أو أسبوعي أو شهري أو سنوي.. القراءة هي أول أمر رباني نزل من السماء للأرض، وهي مفهوم عميق يتجاوز فك الخط وقراءة الحروف والكلمات، بل هي فرض ودعوة للغوص في بحر العلوم كي تستخرج منه أفضل ما تخدم به البشرية.. وبالقراءة يتفتح عقل الإنسان، ويكتسب خبرات من سبقوه، وعلومهم، وآدابهم، وبها تنضج شخصيته، وتكتمل إنسانيته..

فإذا عدنا إلى السؤال: لماذا نقرأ؟.. أصبح بإمكاننا القول: إننا نقرأ، لأن ذلك هو أمر الله، ومشيئته، ولأن بشريتنا، ومهمتنا على الأرض، تتطلب ذلك.. ثم نحن، بعد ذلك كله، إنما نقرأ للأسباب التالية:

1- أننا نقرأ كي نفهم، أو من أجل أن نصل إلى الفهم، فالقراءة ضرورة أساسية في حياة البشرية، وليست ممارسة تتوخى الترفيه؛ ذلك أننا لا نقرأ لكي نتسلى.. فعالم القراءة عالم ثري لا متناهٍ، لديه دائماً ما يقدمه لنا. والقراءة تضاعف لنا مستوى رؤيتنا للأمور.

2- القراءة ترفع من مستوى كلماتنا، لتدلّ على رقيّ لساننا، وأناقة فكرنا، ولزيادة حصيلتنا من الكلمات التي تساعدنا على التعبير عن آرائنا ..

3- بالقراءة يتشكّل وعي الإنسان بمجتمعه، والمجتمعات الأخرى. والقراءة تعمل على اتساع مدارك الإنسان، وتفتح له أفكاراً، وآفاقاً، جديدة، كل حين..

4- بالقراءة تتكون الثقافة التي تؤدي إلى ضبط السلوك، وتحسينه، وزيادة طموحات الفرد، وخلق الشخصية المبتكرة والمبدعة. فالمعرفة هي الأداة التي يسيطر بها الإنسان على مقدرات حياته، والتي تمكنه من تغيير بيئته، والسيطرة عليها .

5- العلم غذاء العقل ودواء الجهل، فهو يسمو بالروح إلى أعلى الدرجات، وبالقراءة نتحاور مع أعظم العقول التي عاشت عبر العصور الماضية، ونتعلم منها، ونستفيد من خبرات حياتهم المتراكمة، وعصارة فكرهم وعلومهم..

6-"لست أهوى القراءة لأكتب، ولا أهوى القراءة لأزداد عمراً في تقدير الحساب.. و إنما أهوى القراءة لأن عندي حياة واحدة ، وحياة واحدة لا تكفيني ، والقراءة دون غيرها هي التي تعطيني أكثر من حياة، لأنها تزيد هذه الحياة من ناحية العمق.. ليس هناك كتاب أقرأه ولا أستفيد منه شيئا جديداً، فحتى الكتابُ التافه أستفيد من قراءته أني تعلّمت شيئاً جديداً هو ما هي التفاهة؟ وكيف يكتب الكتاب التافهون؟ وفيم يفكرون؟" (العقاد)

7- ذهب العلماء والمفكرون السابقون، وذهبت الدور، ولم يبقَ إلا العلم الذي خُلّد بالكتب.. فكل منا عندما يقتني كتاباً، فهو لا يقتني مجرد أوراق جمعت، إنما يقتني خلاصات الأفكار لعشرات العقول والممحصين..

8- القراءة في هذا الزَّمن الصَّعب تقلِّل من الضغط والجهد الذي يواجِهه المرء في حياته؛ فالحياة اليومية مرهِقةٌ بأعمالها وارتباطاتها، فينزع المرءُ للكتاب ليخفِّف من هذا الضَّغط الذي يشعرُ به؛ فرواية ماتِعة تنقلك لعالَمٍ آخر ينسيك لحظات الشدِّ التي تمرُّ بها، وكتابٌ علميٌّ يجعلك في اندِهاش وتساؤل يشتِّت لَحظات الضغط التي حلَّت بك، وكتاب في الرِّقاق يزهِّدك في الحياة فلا ترى الحياةَ شيئًا.. فهذا هو جمال الكِتاب، أنَّه يطرد ويزيل الشدَّ النفسي اليومي.

9- القراءة تقدِّم لك المعرفة، فلا زال الكتابَ هو أفضل سبيل لنيل المعرفة، وبقدر ما تزداد معرفتُك، تكون أقدرَ على فهم كثيرٍ من القضايا، وأقدر على مواجهَة مشاكل الحياة.. فالقراءة تمنحك قوَّةً معرفية، يثمر عنها إزالةُ الجهل الذاتي.. المعرفة التي تحصل عليها هي سلاحٌ تواجه به تحدِّيات الحياة، فالمعرفة قوَّة، كلُّ شيء قد يُسلَب منك إلَّا معرفتك؛ فهي ملكٌ خاص لا ينتزع منك إلَّا حين تفقد قواكَ العقلية.

10- حين تقرأ كتابًا فأنت تزيد من قدراتك الذِّهنيَّة، فتزداد لديك مهارات التحليل والتركيب، وتخزين المعلومات تَنشط، فالعقل عضَلَة تنفعِل وتزدهِر وتنمو بكثرة الاستِعمال، وتذبل وتضعف عند تركِ استعمالها. وقد قيل: إنَّ القرَّاء أقَلُّ النَّاس إصابةً بالزَّهايمر؛ لأنَّ الذهن لديهم في حالة عمَل مستمرٍّ، فمستوى الانتِباه يكون حاضرًا حالَ القراءة، والقراءة تزيد وتقوِّي التركيز، وهذا يجعل الإنسان أكثر قدرة على الاستيعاب.

11- العالم مليءٌ بالأحداث والقضايا، والتَّجارِب والعقائد، والقارئ يَكتشف العالَمَ الإنساني الذي يحيط به، فيقرأ ليعرفَ عقائدَ النَّاس وقِيَمَهم، ولكي يثقِّف ذاته.. ولا يمكن للمرء أن يقدِّم رسالته ما لم يقرأ ويتعمَّق في القراءة، وكلَّما قرأنا كنَّا أقدر على مواجهة الباطِل ودفْعِه، فالقراءة تكشف سبيلَ المجرمين، والمرءُ إذا جَهِل الباطِلَ يوشك أن يقَع فيه.. وفي حديث (حذيفةَ) أنَّه كان يسأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن الشرِّ، ويعلِّل ذلك قائلًا: ((وكنتُ أسأله عن الشرِّ مخافةَ أن يدرِكَني))، فمعرفةُ الباطِل ضرورة كي نتَّقيه..

12- التعرف على الحضارات: القراءة هي سفير بين الشّعوب والحضارات، فالإنسان حين يقرأ في الكتب عن الحضارات السّابقة والقرون الغابرة فإنّه يتعرّف عليها، كما وتساعد قراءة الكتب التي تتحدّث عن ثقافات الشّعوب، وتقاليدها، الإنسان على الاقتراب منها والاستفادة منها، وبالتّالي تشكّل القراءة وسيلة تبادل للأفكار والمعلومات، وهي مفتاح لولوج العوالم والحضارات المختلفة.

13- تنمية العقل: القراءة تنمّي العقل وتوسّع مداركه، فعقل الإنسان بلا شكّ إذا اعتاد على القراءة توسّعت آفاقه، وتفتّحت مداركه. بينما ترى الإنسان الذي لا يقرأ: عقله متبلّد، ومداركه مقفلة، محصورة بوجهة نظرٍ معيّنة، أو معلومةٍ خاطئة غير صحيحة. وبالتّالي، فإنّ القراءة هي وسيلة لإنعاش العقل وتجديده باستمرار، وعلى الإنسان أن يحرص على أن يبقى عقله بابًا مفتوحًا دائمًا لقراءة كل ما هو جديد من المعلومات والأفكار، ومن ثمّ تحليلها وغربلتها لكي تنضج عنده الفكرة والمعلومة الصّحيحة.

14- إنَّ القراءة هي الوسيلة الوحيدة التي تُمكِّن الإنسان من اكتساب مهاراتٍ متعدِّدة، وفي الوقت نفسه، وهي أيضاً الوسيلة الوحيدة التي يمكن لها أن تكسبه مكاسب مختلفة أخرى ومتنوّعة، لها أوّل وليس لها آخر، منها أنّها قد تكسب هذا الإنسان بعض المكاسب الماديّة التي قد تقلب حياته رأساً على عقب، وتحسّن أحواله إلى أحوال أفضل. يمكن من خلال القراءة أيضاً أن يقوم الإنسان بتعلّم لغات أخرى غير لغته الأصلية، كما ويمكنه أن يُحسِّن ويُطوِّر من اللغات التي يمتلكها، والتي من ضمنها لغته الأصليّة؛ فالقراءة تعطي للإنسان القدرة على الكتابة بطريقة أفضل، وذلك عن طريق إكسابه عدداً كبيراً من المفردات المختلفة والمتنوّعة، التي تساهم - وبشكل كبيرٍ جداً - في تطوير اللغة عند هذا الإنسان، وفي تطوير قدرته على التعبير عن نفسه، وعمَّا يجول في خاطره من أفكار..

15- وأخيراً: نحن نقرأ لأنَّنا أمَّةٌ (اقْرَأ)، فنقرأ كي نتقرَّب إلى ربِّنا؛ فالعلم يؤدِّي إلى معرفة الله تعالى، وكلَّما زاد المرء معرفةً بالله تعالى زادَت خشيتُه له: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: 28].. نقرأ لأنَّنا نريد أن نرتفع في درجاتِ الآخرة: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: 11].. فالقراءة للمسلم ليسَت فقط مجرَّد تسلية ومتعَة؛ بل هي أعلى من ذلك وأسمى، فهي طريقٌ للجنَّة؛ ((مَن سلَك طريقًا يطلب فيه علمًا سلَكَ اللهُ به طريقًا من طُرق الجنَّة)).

16- كي نستجمع الكلام: إن القراءة واجب على كل إنسان. وإن حث الناس على القراءة لن يُفلح بتسليط الأضواء على الفوائد المعدودة المستفادة من القراءة (كاللغة والبيان، والقدرة على الرد على الخصوم من الأغيار والأعداء). إنما منطلق الفلاح هو إثارة مسألة القراءة باعتبارها قضية وجودية، بدونها يصير الإنسان عنواناً لنص فارغ من المضمون والمعاني والغايات!

• كيف نقرأ؟

لا شك أن القراءة – كما ذكرنا آنفاً – هي موهبة وقدرة أودعها الله سبحانه وتعالى لدى البشر، كجزء من مهمة الاستخلاف، وعمارة الأرض، التي كلفهم بها الله سبحانه.. وهذه القدرة على القراءة تحتاج إلى مستلزمات أودعها الله سبحانه عند الإنسان، ومنها: حاسة العين، والعقل، أو المخ، فضلاً عن اليد، واللسان.. فمن حرم من شيء من هذه النعم، فقد حرم خيراً كثيراً، وربما رفع عنه التكليف!..

ولكن كيف نستفيد من هذه النعم التي أودعها الله لدينا، وكيف نفعّل قدرة القراءة فينا، والتي هي موجودة لدى كلّ بني البشر بالقوة؟!

بالطبع إن أهم شيء في هذه المسألة هو أن نبدأ برعاية هذه القدرة في نفوس الأطفال أولاً، ومنذ الصغر.. فالتعود على القراءة، وممارستها، في مرحلة مبكرة من الحياة، يجعلها جزءاً طبيعياً من عادات الإنسان، بحيث لا يمكنه الاستغناء عنها في باقي مراحل حياته.. أي إنها تتحول إلى ملكة لدى الإنسان، يمارسها بشكل طبيعي، دون تكلف، ولا عنت.. (وموضوع تعويد الطفل على القراءة هو موضوع مهم ومستقل، لا بد من الحديث عنه بصورة مفصلة، وهو أمر له مظانه

ومصـادره التي يمكن الرجوع إليها، ومنها هذا الكتاب المفيد للدكتور عبد الكريم بكار، وعنوانه: طفل يقرأ، وهذا رابطه لمن أراد الاطلاع: download/final/2758.http://mybook4u.com

ولكن دعنا هنا، نطرح – في البداية – بعض النصـائح الأولية لمن لم ينمِّ ملكة القراءة عنده، ويريد أن يكون قارئاً، فبالإمكان القول:

إذا كنتَ ضيفاً جديداً في عالم القرَّاء، فلا تبدأ بقراءة أي كتاب تقع عليه عينك، كما لا تسمع لنصـائح القراء الآخرين الذين مدحوا الكتاب الفلاني، أو المؤلف الفلاني، أو الموضـوع الفلاني، لأنَّ الشـخص الذي يجرّب القراءة لأول مرة يختلف تماماً عن الشـخص الذي يقرأ منذ سـنوات.. والطريقة الصـحيحة للبدء، هي حصـر المواضـيع التي تحبها، مثلاً: (الدين، التاريخ، العلوم، الرياضة... إلخ)، واقتناء (دفتر ملاحظات).. بعدها إبدأ بقراءة مقالات صغيرة، ومواضيع محددة، عن هذهِ العناوين.. يمكنكَ - كبداية - أن تقرأ مقالاً كلّ يوم، لمدة شـهر، والنتيجة سـتكون أنكَ أصـبحتَ تقرأ أسرع، وتعرّفت إلى أسـاليب الكتابة: الجيد والرديء منها، وانتابك الفضـول تجاه عناوين جديدة لم تكن تعرفها من قبل.. وهنا فائدة (دفتر الملاحظات)، فعليكَ أن تسـجل بها أي معلومة تعجبكَ أو تثيرَ فضولكَ ورغبتكَ في البحث .

في المرحلة التالية يمكنكَ البدء بقراءة كتب صغيرة من 30- 100 صفحة.. وحتى تختار الكتاب الصـحيح، قم بعمل اشـتراك في أحد صفحات القراء، واسألهم عن كتب صغيرة في هذا الموضوع، أو شـارك أصـدقائك الذين تثق فيهم في ذلك.. بعد مدة من البحث، سـيكون لديكْ قائمة بخمس كتب على الأكثر، اختر أجمل عنوان، والذي تشعر أنه جذبكَ .

مرحلة القراءة الفعلية للكتاب بالنسبة للقراء الكبار، تشبه أكل وجبة سريعة.. أما بالنسبة لك، فهي تشـبة تجريب وجبة جديدة لا تعرف طعمها، لذلكَ هيئ نفسـك قدر المستطاع، وذلكَ بـأنْ تجلس في مكـان هادئ، ويفضـل أن يكون شرفة (= بلكونة)، أو وسـط أرض فلاة، وهيئ لنفسـكَ مقعداً مريحاً، حتى لا تقطع قراءتك بسبب آلام الظهر.. وأحضـر معك وجبة خفيفة، وليسـت دسـمة.. وابدأ القراءة بقراءة الغلاف الخارجي (الأمامي، والخلفي)، لأنه سيعطيكَ نظرة سريعة عن الكتاب.. وقم بالمرور على صـفحة الفهرست.. وابدأ القراءة.. في أول تجربة يمكنكَ أن تقرأ ربع سـاعـة، ثمَّ تتنـاول شـيئـاً من وجبتـك، ثمَّ تتـابع على هذا المنوال.. ولكن مع الوقت والاستمتاع بالقراءة، لن تستطيع إزالة عينيكَ عن الكتاب حتى تنهيه .

لا تنزعج إذا لم تسـتطع إنهاء الكتاب، أو أنه لم يعجبك، لأنَّ بعض الكتب فعلاً ذات محتوى سيء ورديء، وأسـلوب فقير في الكتابة.. وفي المرة الأولى خذ راحتك في قراءة الكتاب على يوم أو يومين، ولا تنسَ (دفتر الملاحظات)، لأنه سيجعلك أكثر انتباهاً في القراءة، وتيقظاً .

بعدَ قرائتكَ عدة كتب، قم بفتح دفتر ملاحظاتك، واقرأ ما به، ستشعر أنَّك استفدتَ فعلاً من الكتب، وأنك أنجزت شـيئاً عظيماً، ومع الوقت سـتصـبحُ قارئاً نهماً، وسـوف تتذكر الكتاب الذي قرأتـه أول مرة. تذكر أنَّ أولئكَ الذين لا يقرأون هم أفقر الناس، وأبعدهم عن متع الحياه، وعن الخيال والأمل، والسفر في كل مكان، وأنتْ جالس في نفس البقعة الجغرافية.

وكثير من هذه النصائح السالفة، هي نصائح عامة لكل قارئ، سواء كان مبتدئاً أم غير ذلك.. فليس كل من قرأ استفاد من قراءته، وكم من قارئ هو في الحقيقة (غير قارئ)؟!.. فما سرّ أن كثيرين يقرأون، ولكنهم لا يحصلون على الفائدة المرجوة من القراءة؟! إن السر يكمن بجلاء في (القراءة المنهجية)؛ إذ من أبرز ما نعاني منه في قراءتنا هو افتقادنا للقراءة وفق منهج واضح محدَّد، فترانا نقرأ ونقرأ، ثم نكون {كباسط كفَّيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه}، وما ذلك إلا لافتقادنا للطريقة السليمة للقراءة.

وفيما يتعلَّق بالوقت، فهناك أوقات كثيرة تستطيع أن تقرأ خلالها: بعد الاستيقاظ مباشرةً قد يكون من الأوقات الجيدة للقراءة، حيث يكون الذهن نشيطًا، وفي بداية اليوم. كما أن وقت ما قبل النوم أيضًا، قد يكون مناسباً.. وإن كانت بعض الدراسات تقول إن القراءة قبل النوم ليست جيدة، لأنَّ الذهن ينشغل بالأفكار التي يقرأها.. كما أنه يمكن – بل يجب - الاستفادة من كل وقت للقراءة: أثناء المواصلات والتنقل بين العمل والبيت، أو أثناء أوقات الانتظار في مكان عام، أو عند الطبيب، أو حتى الاستفادة من أوقات قيادة السيارة – وخاصة أثناء السفر – للاستماع إلى الكتب الصوتية..

وهكذا لا بد من الاستفادة من كل وقت للقراءة، ولا بد من تخصيص وقت محدد كل يوم للقراءة، مهما كان قصيراً، لأن ذلك كفيل بجعل القراءة عادة، وأمراً لا يستغنى عنه، كما أن القليل سيصبح كثيراً بالتراكم، وكما يقول (د. عبد الكريم بكار): "إذا قرأ الواحد منا ربع ساعة كل يوم، فإنه يضمن قراءة 20 كتاب كل سنة. ومن قرأ في علم من العلوم نصف ساعة كل يوم، صار بعد خمس سنوات أستاذاً فيه"*..

---

* " وقد جرب هذه الطريقة طبيب وعالم من أشهر أطباء العصر الحديث هو السير (وليم أوسلر)، الذي تتلمذ عليه الكثيرون من أساطين الطب المعاصرين... وقد عزا عارفوه عظمته - فضلاً عن تفوقه في فنه الخاص- إلى ثقافته العامة، البعيدة المدى، فقد كان واسع الاطلاع على ما فعله الجنس البشري - وفكّر فيه - خلال العصور المتوالية، وكان يدرك أن السبيل الوحيد للوقوف على أفضل تجارب بني الإنسان هو قراءة ما كتبوه في كتبهم.. لكن مشكلته كانت هي مشكلة كل رجل مشغول، لا يملك خلال الأربع والعشرين ساعة اليومية وقتاً يخرج عن حدود عمله، سوى ما يقتطعه من ساعات قليلة للنوم، وتناول الطعام، وتلبية مطالب الحياة الضرورية. لكن (أوسلر) توصل إلى الحل الذي ينشده في مرحلة مبكرة من حياته، فنظمها على أساس أن يقرأ لمدة ربع ساعة كل ليلة قبل النوم مباشرة، أياً كانت الظروف!.. فكان إذا أوى إلى فراشه في الحادية عشرة مثلاً، يقرأ حتى الحادية عشرة والربع.. وإذا شغلته جراحاته أو أبحاثه حتى الثانية صباحاً، يقرأ إلى الثانية والربع، وهكذا.. ولم يشذ عن هذه القاعدة التي وضعها لحياته يوماً واحداً، خلال نحو نصف قرن!.. وكان الدستور الذي استنّه لقراءاته الليلية أن تكون منعدمة الصلة بمهنته وعمله، فحصل من هذه القراءات على اطلاع واسع نادر المثال، كفل التوازن في شخصيته بين التثقيف المهني والتثقيف العام!

وفي العالم كثيرون من أمثال هذا الطبيب الفذ، نمّوا شخصياتهم بالقراءة في غير نواحي عملهم أو تخصصهم.. وقد اشتهر الألمان بصفة خاصة بالإقبال على القراءة في شتى الموضوعات، ولعل هذا من عوامل تفوّقهم، وتعدّد وجوه ثقافتهم، وشمولها كافة مناحي المعرفة".(كتاب: لماذا نقرأ، لطائفة من المفكرين، تقديم: رجب البنا، دار المعارف، مصر، ط2، د.ت. ص 131- 133).

ولكن كيف نتعلم القراءة المنهجية؟

هناك كثير من السلوكيات والخطوات التي لا بد من اتباعها، لتحقيق الاستفادة القصوى من القراءة، ومن ذلك:

1- الاهتمام بتجهيز المكان الذي سنمارس فيه متعة القراءة، وذلك عبر النقاط التالية:

- الاهتمام براحة المكان، وطريقة الجلوس، وأن تكون مريحة.. فالجلسة المريحة تُنتج قراءة مركزة.
- الاهتمام بالإضاءة، وأن تكون مهيأة بطريقة صحية لا تؤذي العينين، ولا تصيبهما بالتعب والإرهاق..
- الابتعاد عن أي مصدر ضوضاء، كوجود تليفزيون، أو راديو، أو أيّ صوت يُفقِد التركيز.

2- ابدأ بالمقدِّمة: المقدِّمة هي من أهم أجزاء الكتاب، ونحن عادة ما نهملها بحجة رغبتنا الدخول في المضمون مباشرة، وهذا خطأ كبير.

فالمقدِّمة هي مفتاح الكتاب، وهي التي ترسم صورته العامة، وهي التي تقول ماذا يحوي الكتاب، كما أنها تحدِّد منهجية الكاتب في كتابه، فهي المصباح الهادي لنا في القراءة. فأول ما نفعله، هو قراءة مقدِّمة كل كتاب.

3- **انظر إلى الفهرس:** علينا أن ننظر للكتاب نظرة شاملة قبل أن نقرأ حرفاً واحداً، فلا يشدَّنا عنوان معين، أو موضوع نحب القراءة فيه، عن فتح فهرس الكتاب، وأخذ نظرة شاملة عنه، وعن ترتيب أبوابه وفصوله، وعن علاقة كل باب بالآخر.

4- **استوعب التصنيف:** انظر في الفهرس ثانية، واقرأ تفصيل كل باب وفصل في الكتاب، وحاول استنباط الروابط بينها، فذلك أدعى أن نكون محيطين بمنهجية الكتاب وتسلسله.

5- **دوِّن العناوين:** عادة ما يتخذ الكُتَّاب أحد طريقين: الأول: عنونة كل فقرة أو موضوع. الثاني: الكتابة السردية دون عنونة. وفي الحالتين ننصح من يقرأ بأن يحتفظ بقلم وورقة يضعهما داخل الكتاب، ويدوّن عناوين كل فقرة قرأها، على أن يكون العنوان دالاً على مضمون الفقرة، فيبدأ بوضع عنوان الباب الرئيسي، ثم عنوان الفصل، ثم عناوين الفقرات الداخلية، ثم بعد الانتهاء من الفصل، ينظر إلى هذه العناوين ليتذكَّر ما قرأه، ويعرف تسلسل أفكار الفصل. ويعيد الكَرَّة بعد الانتهاء من كل باب، كي يربط بين فصول الباب كلها، وهكذا مع الأبواب حتى ينتهي من الكتاب.

6- لا تُهمِل الخاتمة: من الأمور المهملة عندنا الخاتمة، مع أنها تعتبر خلاصة الكتاب، ومفتاح ما قد يكتبه المؤلِّف.. إذ في المقدِّمة يقدِّم المؤلِّف مساره، وفي الخاتمة يقدِّم ما توصَّل إليه من نتائج، والقارئ يأخذ من الخاتمة النتائج والخلاصات.

7- **قُم بمراجعة نهائية:** قبل أن تغلق الكتاب ألقِ نظرة جديدة على الفهرس، ثم نظرة على ورقتك، وراجع الأبواب والفصول والعناوين الداخلية، وبذلك تكون قد أعدت قراءة الكتاب ثانية، ولكن بطريقة شاملة موسوعية.

هذه خطوات القراءة المنهجية، وبهذه الطريقة يحدث التحصيل الأمثل، وحتى لو سقطت منه بعض النقاط، فستكون العودة إلى الورقة كافية للتذكير. وقد تكون هذه الطريقة متعبة في البداية، وتحتاج إلى صبر ومثابرة، لكن من يطبقها لفترة سيجد نفسه يستغني عن الورقة والقلم، وسيصبح ذهنه قادراً على حفظ المعلومات بترتيبها المنهجي، دون الحاجة إلى أن يكتب حرفاً.

نعم، لا بد للمرء الذي يرغب في قراءة الكتب ومطالعتها من أن يعرف أولاً ما هي الكتب التي يجب عليه أن يبدأ بها؟ وما هي الكتب التي تستحق القراءة؟ ولا بد له من أن يعرف من هم الكُتَّاب الذين يستحقون أن يُقرأ لهم؟ فالقارئ يجب أن يبدأ رحلته التثقيفية بقراءة الكتب التأسيسية السهلة والميسرة. كما يجب عليه أن يأخذ بعين الاعتبار أنه ليس كل كتاب يستحق القراءة، وكذلك الأمر بالنسبة للمؤلفين.

وحتى يتمكن الإنسان من قراءة كتاب ما قراءة ممتازة، ويستطيع أن يحقق من هذه القراءة أقصى استفادة ممكنة، بأقلّ مدة زمنية ممكنة، يجب عليه أن يتخذ العديد من الأسباب والوسائل والطرق التي تحقق له هذه الغاية. ومن تلك الأسباب، عدا ما أشرنا إلى بعضه أعلاه:

تعرّف على الكاتب ودار النشر: من المهم أن تعرف جهة النشر التي أصدرت هذا الكتاب، هل هي حكومية، أم جهة تعتني بثقافة معينة، ولها توجهات فكرية محددة؟ هل هي دار تعنى بالفكر، أم بالربح والانتشار فقط؟ فهذا سيساعدك على تقييم مبدئي للكتاب قبل أن تقرأه. ثم تعرّف على الكاتب، ماهو تخصصه؟ ما الذي جعله يكتب هذا الكتاب؟ ماهو توجهه الديني، أو السياسي؟ ثم اربط موضوع الكتاب بالكاتب.. على سبيل المثال: إذا كان الكتاب عن قضية نسائية، فماهو جنس الكاتب، ولماذا – إن كان ذكراً- اختار أن يكتب عنها؟ وإذا كان الكتاب عن الحرية – مثلاً -، فهل سُجن مؤلفه قبل ذلك، ليكتب عن الحرية؟ وليس صحيحاً بأن الكتاب الجيّد يصدر عن المؤلف الجيّد فقط، فقد تجد كاتباً مغموراً يكتب كتاباً ممتازاً، لكن الكثير منا لا يريدون أن يضيعوا أوقاتاً ثمينة في استكشاف المؤلف الجيّد بقراءة الكتاب، لذلك تعرّف على الكاتب أولاً، قبل أن تقرأ كتابه، أو استرشد بآراء من تثق بهم ممن سبقك في الطريق..

ابحث عن الأفكار: الكتاب يقدم لك الكثير من حياة وعلم وتجارب الكاتب في أفكاره المدونة. لا تقرأ الكتاب بحثاً عن المعلومات فقط، فأنت تستطيع أن تفعل ذلك باستخدام محرك البحث (غوغل) للبحث عن أي معلومة كانت. ابحث عن الأفكار، اسأل نفسك ماذا يريد مؤلف الكتاب أن يوضّح عندما ألف كتابه؟ كيف توصّل إلى أفكاره المدوّنة في هذا الكتاب؟ هل استند على براهين دعمت أفكاره ؟ إلى من يريد الكاتب أن يصل بكلماته هذه؟ كثيرون هم قارئون نهمون للكتب، لكن لا تظهر عليهم أي تطورات واضحة في أفكارهم، لأنهم يقرأون بحثاً عن القصة أو المعلومة. تخيّل أن هناك شخصاً مفكّراً دَرَس ودرّس وسافر واختلط بالناس وواجه العديد من المصاعب، ثم ألّف كتاباً، قراءتك لكتابه تعني أنك حصلت على فرصة عظيمة ليخاطبك هذا الشخص لمدة ساعات، ويعرض عليك أفكاره، فلا تفوّتها بحثاً عن المعلومات.

اقرأ بعين ناقدة: اسأل نفسك: في أي زمان ومكان كُتِبَ هذا الكتاب؟ قد يكون الكاتبُ منحازاً إلى جماعة معينة، أو إلى أفكار معينة، ويظهر انحيازه هذا في كتاباته. ابحث عن حجج المؤلف في الكتاب، وقيّمها: هل هي مخالفة أو موافقة لما قرأته مسبقاً؟ وإن كانت مخالفة، فهل هي أقوى من حجج السابقين؟ تستطيع أن تربط الكتاب بالأحداث الحالية، أو بتجاربك الشخصية، لأن الكتاب أحياناً مرآة لقارئه.

اقرأ في الكتب المخالفة لأفكارك: من غير الممكن أن تتطور شخصيتك وأنت تقرأ لأشخاص يوافقون تفكيرك منذ نشأتك.. اقرأ وفكّر بعقلك، وتذكّر أن الله تعالى خاطب (أولي الألباب)، أو أصحاب العقول، في القرآن، ست عشرة مرة، وابن حزم يقول: "لولا العقل لم يعرف اللهَ أحدٌ".. لا تقلق من الذين يخبرونك بأن هذه الكتب تلّوث أفكارك، فما دمت لست متكبراً، وتبحث عن الحق، فسوف تجده.. ثم إن قراءتك في الكتب المخالفة لأفكارك، تجعلك تعتاد على تقبّل الآخرين، وتوجهاتهم المختلفة عنك، من غير أن تتبناها.

اقرأ الكتب الكلاسيكية (الأمهات): يقول الكاتب الأمريكي (مارك توين): "لا يوجد فرق بين الأمّي والشخص الذي لا يقرأ كتباً جيدة".. والكلاسيكيات تُعتبر من الكتب الجيّدة. تستطيع أن تتعرف على العديد من المشاعر تجاه المواقف المختلفة، والتي لم تجربها من خلال الكلاسيكيات، وبمساعدتها، ستتفهم أوضاع البشر وتقلباتهم بين الخير والشر. الكلاسيكيات مهمة تجعلك تحس بالإنسان وإن أخطأ، لأنك ستتفهم جيداً لماذا أخطأ. نحن نكبر مع فكرة أن في العالم لونين فقط، هما الأبيض والأسود، لكن مع تجارب الحياة نكتشف بأن هناك ألواناً عديدة غير هذين اللونين.. العلم وحده ليس كفيلاً بأن يجعلك إنساناً، لا بدّ من الاطلاع على الأعمال الأدبية والفلسفية. انظر إلى من يشتغل في الطب، أو الهندسة، أو غيرها من العلوم، وهو قليل البضاعة في غيرها، وانضم إلى الجماعات الإرهابية، فهؤلاء لا يرون العالم إلا بلونين فقط!!

اقرأ التاريخ: من يقرأ التاريخ لا يدخل اليأس إلى قلبه أبداً، وسوف يرى الدنيا أياماً يدوالها الله بين الناس. اقرأ التاريخ بأقلام المنتصرين والمهزومين. إن استطعت أن تجد كتاباً في التاريخ كُتب بيد المهزوم، أو من أشخاص ليس لهم علاقة بالمنتصرين أو المهزومين، فاقرأه. مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعية، ستتفاجئ بوجود الكثير من التدليس في الأخبار التي تعايشها، فكيف تحكم على تاريخ كُتب من مصدر واحد (المنتصر)، قبل ظهور الانترنت؟! اقرأ عن الدول العظيمة التي تسمع عنها وتتفاخر بها، وسوف تتفاجئ أن عظمتها بُنيت على عظام المساكين والفقراء.

تفاعل مع الكتاب: لا تقرأ الكتاب دون أن تتفاعل معه. احمل في يدك قلماً تخط به الجُمل التي أثارت انتباهك، ودوّن رأيك وتعليقاتك في هوامش وصفحات الكتاب. استخدم رموزك الخاصة بك.. على سبيل المثال: تستطيع أن ترسم (نجمة) بجانب جملة مهمة، (قلباً) بجانب اقتباس يعجبك، أو (علامة تعجب) بجانب جملة تود الرجوع إليها لاحقاً. إذا واجهت كلمة دون أن تعرف معناها، فابحث عنها في (غوغل). تحدّث عن الكتاب مع أصدقائك، وشاركهم رأيك عنه، وعن مؤلفه. بإمكانك أن تشارك بمقتطفات من الكتاب، عبر وسائل التواصل الاجتماعية

المختلفة. عند الانتهاء من قراءة الكتاب، افتح مذكرة في جهاز الكمبيوتر لديك، ثم اكتب الاقتباسات التي أحببتها في هذا الكتاب، هذه الطريقة تجعلك تعود إليها بين حين وآخر..

- **ماذا نقرأ؟**

هل كل قراءة مفيدة؟ وهل كل ما يقرأه (س) من الناس، يكون مناسباً، ومفيداً، له؟.. وهل هناك مادة معينة، أو لوناً محدداً من الكتب يجب قراءته؟.. وهل هناك ما لا يجب أن نقرأه؟.. ما هو المسموح والممنوع في القراءة؟

هذه أسئلة اختلفت الإجابات عليها بحسب السائلين، وبحسب المجيبين عليها أيضاً؟.. فهناك من يراعي حال القارئ، فيما إذا كان مبتدأ أو متقدماً في القراءة، فيبيح لهذا ما لا يبيح لذاك.. وهناك من ينطلق من آيديولوجيا معينة، أو رؤية محددة للحياة والعالم، فيمنع ويحرم بحسب ما يرى، وما يظن أنه الصواب..

ولكن الجواب الأقرب إلى الصحة هو في القول بأن "الكتب طعام الفكر، وتوجد أطعمة لكل فكر، كما توجد أطعمة لكل بنية. ومن مزايا البنية القوية أنها تستخرج الغذاء لنفسها من كل طعام، وكذلك الإدراك القوي يستطيع أن يجد غذاء فكرياً في كل موضوع". (عباس محمود العقاد)، أو في القول بأن الكتاب مثل القميص " كثيرا ما تكون جودته من مناسبته للابسه، وليست جودة قماشه أو لونه، فقد يكون الكتاب ملائماً لك، ولكن مادته التي يشرحها لا تدخل ضمن أولياتك القرائية" (د. عبد الكريم بكار).. بمعنى أنه لا حظر على القراءة من حيث المبدأ، ولكن ليست كل قراءة مفيدة لكل شخص، فربما كانت هناك قراءة مفيدة لشخص دون آخر، بحسب احتياجاته وأولياته.. فهذه أمور تختلف بحسب ثقافة الإنسان، وإدراكه، وحاجته، وحالته المزاجية والنفسية.. وليس مثل الإنسان نفسه حكماً على نفسه، وما يصلح له من الكتب والعلوم وما لا يصلح، فهو أدرى بما يناسبه وما لا يناسبه، هذا إن لم يكن مبتدئاً، أو مضطرب الفكر، مشوش الذهن.. وآنذاك، فمن الأفضل أن يستمع إلى نصائح أصحاب الخبرة في هذا المجال..

فالأصل، إذاً، أن يقرأ الإنسان كل شيء.. ولكن هل يستطيع الإنسان – عملياً – أن يقوم بذلك؟.. لا، بالطبع، فمن المستحيل أن يستطيع الإنسان قراءة كل شيء خلال حياته القصيرة، وآنذاك فلا بد من الحصر والتحديد، واختيار المناسب والمفيد، والتركيز على التخصص، والمجالات التي تكون أقرب إلى اهتمام الشخص القارئ.. إذ كما يقول (د. عبد الكريم بكار): إنه "لو قدر للمرء أن يقرأ في حياته 60 سنة، وقرأ في كل أسبوع كتاباً، فإنه يكون قد قرأ نحواً من 3 آلاف كتاب، وهو رقم متواضع جداً بالنسبة إلى ما هو منشور"..

ومن هنا، فإن الخبراء في هذا المجال لهم نصائحهم التي تكون مفيدة في الإجابة على سؤال: ماذا أقرأ؟ أو: كيف أختار كتابي؟.. ونستطيع هنا أن نوجز أقوالهم فيما يلي:

هناك عدة طرق تساعدنا في اقتناء كتاب ما، أو قراءته.. منها ما ينجح معنا، ومنها ما قد لا يكون مفيداً لنا، ومنها ما قد يصادف أن يكون رائعاً ، لكن بشكل عام لا توجد قاعدة ثابتة! فشكل الغلاف – مثلاً -، أو عنوان الكتاب، قد يوحي للكثيرين أن مضمونه جيد، لكن الشكل

والعنوان لا يمسّـــان من قريب أو من بعيد مضـــمون الكتاب، وهما ليس إلا أن يكونا حافزين لاقتناء الكتاب، أو اجتنابه!

وكـذلـك، فـإن عـدد الطبعـات، و(أكثر الكتب مبيعاً).. يعبّران عن مدى الإقبال على الكتاب، ولكن ليس بالضرورة أن يكون هذا الكتاب قيّماً.. فقيمة الكتاب لا ترتبط بالضرورة بمدى الإقبال عليه، فكم من كتاب مشهور، وهو غير ذي قيمة، والعكس صحيح!

وكذلك الأمر بالنسبة للمؤلف.. فعندما نقرأ اسم مؤلف معين، فهذا يشجّعنا على شراء كتبه.. لكن هذه الطريقة أيضاً ليست مثلى، فليس كل ما يكتبه نفس المؤلف يكون مميزاً.. لكنها تبقى طريقة أفضل ممن سبقها!

أما البحث في مضـمون الكتاب، وقراءة جزء منه.. فأحسـب أن هذه الطريقة هي الأفضـل، فبإمكانك أن تبحث بالشـبكة العنكبوتية عن مضـمون الكتاب، وأن تقرأ بعضـاً من مقتطفاته ومقاطعه، وأن تجد إذا كانت هذه النوعية تناسبك أو لا.. كما يمكنك أن تسأل غيرك عن مضمون كتاب معيّن، وسـماع آراء من سـبق أن قرأ الكتاب ، مع أن هذه طريقة ليسـت بمضـمونة، فما يعجبني ليس من الشرط أن يعجبك لكنها قد تفي في بعض الأحيان.. وهكذا !!

والقراءة كغيرها، قد تكون نعيماً على القارئ، وقد تكون وبالاً. فأنت حين تختار كتاباً لتقرأه، فقد قررت تقديم وجبة شـهية لعقلك، وهذا يشـبه تماماً حين تغذّي معدتك بوجبة طعام، فهل سـتختار لها وجبة رديئة؛ الخبز فيها متعفن، واللحم فيها تفوح منه رائحة نتنة؟!.. بالطبع لا، لأنك حريص جداً على معدتك، ولا تريد أن ينتهي بك الأمر إلى سـيارة الإسـعاف!.. نفس الحال ينطبق على عقلك: هل تقبل أن تقدم له وجبة متعفنة، سـوف تفسـد عقلك؟!.. وكما يقول (العقاد): "إن التحديد في اختيار الكتب هو كالتحديد في اختيار الطعام، وكلاهما لا يكون إلا لطفل في هذا الباب أو مريض، فاقرأ ما شـئت تسـتفد، إذا كان لك فكر قادر أو معدة عقلية تستطيع أن تهضم ما يلقى إليها من موضوعات، وإلا فاجعل القابلية حكماً لك فيما تختار، لأن الجسم غالباً يغذيه ما نشتهيه"..

نعم، فليس كل الكتب تُقرأ! وهذه حقيقة، ولن يستطيع المرء أن يقرأ في حياته كل ما كتب، وكل ما يطبع، فلذلك لا بد من التخصص، ولا بد من عدم إضاعة الوقت مع الكتب غير النافعة، أو غير ذات الأهمية بالنسبة لك.. فاقرأ الجَميل والرائع، الذي تَسُـرّ بِهِ النُفوس، وتُشـرح به الصدور، ويعينك على تكوين ثقافتك المتميزة..

وهنا نتساءل: كيف تتمكن من اختيار كتاب جيد لكي تقوم بقراءته؟

اتبع، إذاً، الخطوات التالية:

1. ما هو غرضك من القراءة؟

قبل أن تفكر في اختيار الكتب التي تريدها، عليك أن تسأل نفسك عن غرضك الرئيسـي من القراءة، لأنه توجد أغراض مختلفة من القراءة، وكلما أدركت غرضك بسهولة، كلما أمكنك اختيار الكتب بصورة أكثر دقة. فمثلاً القراءة المعرفية، كأن يقرأ الإنسان رغبةً في التثقيف والحصول على المعرفة والمعلومات من الكتاب الذي يقرأه، مما يزيد من حصيلته الثقافية. أو القراءة الترفيهية،

وهي أن يقرأ الإنسان للاستمتاع بالكتب، وتعتبر وسيلة للترفيه بالنسبة له. غرض آخر من بين أغراض القراءة هي القراءة التفاعلية، وهي أن يقرأ الإنسان للتفاعل مع الواقع، (كمن يولد له طفل، فيعتمد على الكتب كوسيلة لتعزيز قدراته على التربية. وبالتالي، فإن هذا سوف يجعل تركيزه منصباً على اختيار الكتب التي تتحدث عن التربية، وكيفية التعامل مع الطفل في مراحله المختلفة). وهناك القراءة الوظيفية والقراءة التطويرية، في الأولى يقرأ الشخص حول مجال عمله ليفهمه بشكل أكبر يساعده على إتمام المطلوب منه، وفي الثانية يقرأ الشخص ما يتفق مع مجال عمله لكن بغرض التطوير، فهو على دراية بما يفعله، لكنه يبحث عن المزيد. وهكذا توجد خمس أغراض من القراءة على الأقل، وهناك – بالتأكيد - أغراض أخرى، فإن كنت قادرًا على تحديد غرضك بالضبط، سوف تجعل من عملية اختيار الكتب أسهل كثيرًا..

2. طلب ترشيحات من أصدقاء تثق بهم:

تعتبر هذه أكثر الطرق شيوعًا في اختيار الكتب. وهي أن تلجأ إلى أصدقائك الذين تثق برأيهم، وتطلب منهم الترشيحات. لماذا يجب أن تكون على ثقة بهؤلاء؟ لأن القراءة تمثل أذواقاً مختلفة لأصحابها، وما يجده البعض مفيدًا، قد لا تجده أنت كذلك. غير أن مسألة ترشيح الكتب لا يجيدها كل الناس من حولك، وبالتالي يجب أن يكون هناك قدر من الثقة في اختيارات الأصدقاء، بحيث لا تضيّع وقتك في القراءة. في هذه الطريقة يعتمد الأمر عليك أنت أكثر من اعتماده على صديقك، لأنك مكلّف بأن تخبره بما تريده بالضبط، وبالتالي فتتم عملية اختيار الكتب بشكل صحيح.. فحتى إن كان صديقك يعرف كتباً متعددة، ويجيد ترشيح الكتب للآخرين، فإنه قد يعجز عن مساعدتك إن لم تخبره بما تريد بشكل صحيح. كذلك كن حريصًا على أن تقسم أصدقاءك إلى فئات حسب معرفتك بمقدرة هذا الشخص في الترشيحات، لأنك قد تملك شخصًا يجيد ترشيح كتب التاريخ، وآخر قد يجيد ترشيح الروايات، وبالتالي لا يمكنك أن تلجأ إلى الأول لترشيح الروايات، أو العكس. فبوجود التقسيم، سوف تجد أنك تحصل على الترشيحات المناسبة دائمًا.

3. اختيار الكتب من خلال مراجعة الفهرس وتصفح الكتاب:

من الوسائل الأخرى التي يمكنك الاعتماد عليها في اختيار الكتب هي مراجعة الفهرس، ومن ثم تصفح الكتاب للتعرف على بعض الأجزاء الموجودة به، والتي يمكنك أن تحددها من الفهرس، مما يسمح لك بأن تحدد إن كانت هذه العناصر هي المتوافقة مع ما تريد أو لا. لكن هذا قد لا يكون كافيًا في عملية اختيار الكتب التي تريدها، وهنا يأتي دور الخطوة التالية، وهي خطوة تصفح الكتاب. فبعد أن تحدد بعض العناصر من الفهرس، تذهب إلى الصفحة المطلوبة وتبدأ في تصفح محتوياتها سريعًا، فيما يعرف باسم القراءة السريعة، التي تعني تصفح الكتاب بسرعة؛ بحثًا عن إن كان ذلك يتوافق مع ما تريد أو لا. فإن وجدت من خلال القراءة السريعة أنك وصلت إلى ما تريد، يمكنك أن تبدأ في القراءة العاديّة لتتأكد أكثر من أن الكتاب يحتوي ما تريد. كذلك فإنه من خلال هذه القراءة يمكنك أن تتأكد من أسلوب الكاتب، وتتعرف عليه عن قرب، فمن الأمور الهامة في اختيار الكتب هي أن تعرف مستوى الكاتب الذي تقرأ له، وأن تكون

مدركًا إن كان يناسبك أو لا، لا سيما وأنه يوجد العديد من الكتّاب الذين يكتبون لكن لا يحب الجميع القراءة لهم، لأنها مسألة أذواق في هذه النقطة، والأسلوب الذي تفضله أنت، قد لا يفضله غيرك... كذلك من الأمور الضرورية في اختيار الكتب أن تقرأ المكتوب على ظهر الغلاف، لأنه يعبّر عن محتوى الكتاب، وهو شيء آخر يمكن أن يساعدك في الاختيار.

4. استخدام مواقع تقييم الكتب:

ماذا لو كنت لا تملك أصدقاء يمكنهم ترشيح الكتب لك؟ وماذا إن كنت تعجز عن تحديد ما تريد من خلال تصفح الكتب؟ قد تظن أن هذا سوف يمثل لك مشكلة، لكن الآن توجد حلول أخرى، وربما كانت أفضل في بعض الجوانب من سابقاتها، وهي أن تقوم باستخدام مواقع تقييم الكتب. ومن أشهر هذه المواقع الموجودة حاليًا هو موقع Goodreads حيث يجمع أغلب الكتب الموجودة على مستوى العالم، ويتم عمل تحديث مستمر له، كما أنه يتيح للمؤلفين التواجد على الموقع، وإضافة كتبهم. إذًا لو رغبت في استخدام هذه الوسيلة لمساعدتك على اختيار الكتب التي تريدها، يمكنك أن تركز على أن تقرأ النبذة التي يتم إضافتها عن الكتاب، وأن تعرف درجة التقييم التي حصل عليها حتى الآن. ومن ثم تبدأ في قراءة المراجعات التي كتبت عنه على الموقع، حيث أنك سوف تجد آراءً متعددة، وتتفاوت في درجة الإعجاب أو عدم الإعجاب بالكتاب. هذه المراجعات تكون تفصيلية أحيانًا، وتساعدك في حسم قرارك حول إن كان هذا هو الكتاب المناسب لك أو لا..

5. عنوان الكتاب، واسم مؤلّفه، ودار النشر:

توجد بعض دور النشر المشهورة بأنها تتخصص في أشياءً بعينها في صناعة الكتب، بالتالي فإن تحديدك لغرضك من القراءة يمكنك من البحث عن دور النشر المتخصصة في صناعة الكتب التي توافق غرضك. أيضًا من الأشياء التي يمكنها أن تساعدك على اختيار الكتب هي عنوان الكتاب ذاته، سواءً كان العنوان واضحاً ومباشراً وكأنه يخاطبك أنت، أو كان كتاباً بعنوان غريب، لكن عليك أن تكون حذرًا، لأنه في الوقت الحالي أصبح العديد من الأشخاص يعتمد على وضع عناوين غريبة لتسويق كتابه، وقد تكتشف في النهاية أنك لم تستفد شيئاً. أيضاً اسم المؤلف يعتبر من العناصر التي تساعد في الاختيار، فمعرفتك بأسماء كتّاب بعينهم تجعل كتبهم مفضلة بالنسبة لك، وهو الأمر الذي يمكن أن يساعدك جدًا. على الرغم من ذلك تعتبر هذه النقطة غير كافية، لا سيما وأن الكاتب قد لا يقوم بالتأليف في مجالات كثيرة، فهو قد يتخصص في شيءٍ بعينه، فتصبح عملية اختيار الكتب الخاصة به لا تقدم لك إضافة جديدة، حتى وإن كنت تستمتع بقراءتها.

6. لا تختر أول كتاب يقابلك:

تخيل أنك في معرض للكتاب وتوجد أمامك العديد من الكتب، وقد قمت بتصفح كتاب معين، ووجدت أنه يناسبك، لكن هل يعني ذلك أن هذا هو أفضل كتاب لك؟ الإجابة قد تكون نعم، وقد تكون لا. والطريقة الوحيدة التي يمكنك من خلالها التأكد من ذلك الأمر هو أن تبحث بنفسك في الاختيارات الأخرى الموجودة أمامك. فأياً كانت طريقتك التي تتبعها في اختيار الكتب

التي تناسبك، دائمًا امنح لنفسك فرصة لمعرفة عدد كبير من الكتب الموجودة، حتى يمكنك اختيار الكتب التي تناسبك بأفضل جودة ممكنة. وينطبق هذا الأمر على كل الطرق التي ذكرناها في الفقرات الماضية. مثلًا إن كنت تعتمد على الترشيحات، اطلب من صديقك أن يرشح لك عشر كتب بدلًا من خمس، بحيث يكون لديك مساحة أكبر للاختيار، وإن كنت تعتمد على مواقع تقييم الكتب، فلا تقرأ تقييم كتاب واحد بل أكثر من كتاب. أما إن كنت تعتمد على طريقة تصفح الكتب التي ذكرناها، فإن الحل هنا هو أن تتصفح عددًا من الكتب، وتحدد لنفسك طريقة اختيار الكتب المناسبة بدرجة من عشرة مثلًا. فعند الانتهاء من تصفح أي كتاب امنحه درجة، طبقاً لأسلوب كاتبه ومحتواه والفهرس الخاص به، وعندما تنتهي من تصفح عدد من الكتب، يمكنك أن تختار الكتاب الذي حصل على أعلى درجة..

وفي رأيي فإن أفضل الطرق في عملية اختيار الكتب هي أن تجمع بين كل هذه الوسائل معاً: تأخذ ترشيحات من الأصدقاء، وتتصفح الفهرس لهذه الكتب، وكذلك تقرأ جزءًا قراءة سريعة كما ذكرنا، وتجمع بعض المعلومات عن الكاتب، وفي النهاية أن تدخل إلى مواقع تقييم الكتب لتحدد موقفك الأخير من الكتاب. فالجمع بين هذه الأشياء يجعلك على قدر كبير من القناعة بالكتاب، سواءً قررت أن تقرأه، أو قررت أن تبحث عن كتاب آخر.

إن اختيار الكتب من المهام الصعبة كما ذكرنا، لكنك لو نجحت في التعامل معها بالشكل الصحيح، فإنك سوف تضمن لنفسك قراءة الكتب التي تناسبك، وهذا هو الأهم في النهاية.

- **كيف ننشئ فرداً، ومجتمعاً، قارئاً؟**

لقد خلق الله الإنسان قارئاً، وذلك من أجل المهمة التي أعدّ لها، مهمة خلافة الله في الأرض، وعمارتها، كما ذكرنا سابقاً، وهذا يدل على عظم وأهمية هذه الصفة، أو المقدرة، لدى الإنسان.. ولقد كانت هذه المقدرة هي الأساس في التقدم المعرفي والحضاري لدى الإنسان، فلولاها لما استطاع الإنسان من تحصيل التراكم المعرفي والحضاري.. يقول (ابن سعدي) في (تيسير الكريم الرحمن):{الَذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}، فإنه تعالى أخرجه من بطن أمّه لا يعلم شيئًا، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، ويسّر له أسباب العلم، فعلّمه القرآن، وعلّمه الحكمة، وعلّمه القلم الذي به تحفظ العلوم، وتضبط به الحقوق، وتكون رسلاً للناس، وتنوب مناب خطابهم، فلله الحمد والمنة"..

إن المؤرخون يؤرخون بحدث اختراع الكتابة، "للتأشير على الفواصل القائمة ما قبل التاريخ، وما بعد التاريخ، ... دلالة على عظمة الزلزال الذي أصاب البشرية بفعل هذا الاختراع. لأن الكتابة خزان لكل ما راكمه الإنسان في سبيل الاقتراب من معرفة الحقيقة، والاقتراب من مُراد الله في هذا العالم البديع"... "هكذا، إذن، ظهرت صناعة الكتاب. وهكذا، أيضاً، صارت قراءة هذه الكتب شرطاً لازماً لاكتمال إنسانية الإنسان. ولا عجب، بعد هذا، أن نجد أول آية في كتاب الله الحكيم، كانت دعوة للقراءة وتصفح الأوراق والتصورات المسبوقة عن العالمين. ومن هنا، نجد أن الإنسان لا ينال كرامته الموهوبة من مستخلفه {ولقد كرمنا بني آدم}؛ إلا بعد أن يقرأ ويكون قارئاً. إن

صـــفة الإكرام لم يُقرنها الباري به ســـوى بعد حديثه عن القراءة. إن المُكرمون هم القرّاء: {اقرأ وربك الأكرم}، أي اقرأ لتكون إنساناً، ويحقّ لك السؤال عن الكرامة. أما أن تطالب بالكرامة وأنت هائم في ظلام الجهل وبلادة الحس والألفة الغافلة؛ فذاك ضرب من ضروب التخريف وأضـــغاث الأحلام. إن القراءة واجب على كل إنسان كي يكون إنساناً بحق".

"إن القراءة واجب على كل إنسان. وإن حث الناس على القراء لن يُفلح بتسليط الأضواء على الفوائـد المعدودة المســـتفادة من القراءة (كاللغة والبيان، والقدرة على الرد على الخصـــوم من الأغيار والأعداء). إنما منطلق الفلاح هو إثارة مســـألة القراءة باعتبارها قضـــية وجودية، بدونها يصـير الإنســان عنواناً لنص فارغ من المضـمون والمعاني والغايات!"..(عبد الكريم سروش، القبض والبسط في الشريعة، دار الجديد: بيروت، الطبعة الثانية، 2010، ص:94-95)

و"إذا كانت القراءة أهم وسـيلة لاكتساب المعرفة، وإذا كان اكتساب المعرفة أحد أهم شروط التقدم الحضـاري، فإن علينا ألا نبخل بأيّ جهد يتطلبه توطين القراءة في حياتنا الشـخصـية، وفي حياة الأمة عامة. فالمسألة ليست كمالية ولا ترفيهية، وإنما هي مسألة مصير!"..

و"لا ريب أن جعل (القراءة) إحدى مفردات أعمالنا اليومية، لن يكون يسيراً؛ حيث يقتضـــي تغييراً جوهريـاً في ســـلوكـاتنـا وعـاداتنـا، كما يتطلـب توفير المـال والوقت، وقبل ذلك الأهداف والدوافع. ومع كل ما في ذلك من عناء ومشـقة، إلا أنه لا خيار آخر أمامنا، وعلينا ما دمنا نود أن نحيا الحياة التي تليق بكرامة المســـلم وغايات وجوده على هذه الأرض، أن نتحمل تكاليف ذلك عن طيب خاطر". (القراءة المثمرة - عبد الكريم بكار، ص 18)

ولتحقيق ذلـك علينا اتباع مجموعة من الخطوات والإجراءات، والتي يمكن اختصـــارها فيما يلي:

1- **الدافع:**

زوّد البارئ – جل وعلا- الإنســـان بعدد من القوى الفطرية (الغرائز) التي تدفعه إلى ســـلوك معين، وترســـم لـه أهدافه وغاياته، من أجل تحقيق توازنه الداخلي، وإعداده للتكيف مع البيئة الخارجية. وتظل حياة المرء معلقة على الاســـتجابة لعدد من الدوافع، وتلبية عدد من الحاجات الأســـاســـية؛ فيســـتحيل اســـتمرار حياة الفرد من دون أخذ الحد الأدنى من كفايته من الطعام والشراب والهواء.

وهناك إلى جانب هذه حاجات ودوافع، لا تتوقف حياة المرء على تلبيتها، وإنما يتوقف عليها تحسين نوعية الحياة، والارتقاء بالإنسان وتوفير الهناء له، مثل الحاجة إلى التقدير والأمن وقسط من المعرفة عن الوســـط الذي يعيش فيه، والشـــعور بالتأنق... مما يصـــنف عادة مع الحاجات الثانوية.

ولم يصـادف الإنسـان مشـكلة في التعامل مع دوافعه الأسـاسـية، لكن مشـكلته الأسـاسـية في الاسـتجابة لدوافعه الثانوية، فالتخلف الحضـاري، يجعل المرء مشـغولاً بتلبية حاجاته الأسـاسـية، ويجعل حسـه وحدسـه ضـعيفاً نحو كل ما يحسّن حياته، ويدفع به في مراقي الكمال. وهذا هو الســـبب الجوهري في انعدام الدافع نحو القراءة لدى كثير من المســـلمين. وحين يقطع المجتمع

شـوطاً في طريق الحضـارة، فإنه يمارس ضـغوطاً مادية وأدبية على أفراده من أجل أن يرحلوا من سوياتهم، من خلال السعي إلى الكمال والاهتمام بما يعدّه مجتمع مختلف أمراً هامشياً..

وإن كان الفكاك من رقبة التخلف الحضـاري هو الحل النهائي لمشـكلة العزوف عن القراءة، فإن هناك جهات عديدة بإمكانها أن تدفع بالناشـئة -خاصـة- خطوة إلى الأمام في هذا الاتجاه، مثل الأسر المتعلمة والمدارس والجامعات والنوادي الأدبية والمكتبات العامة والجمعيات الثقافية.. وأعتقد أن كل مدينة من مدننا جديرة بأن يكون فيها جماعة أو جمعية، مهمتها التشـجيع على القراءة، والمعاونة على توفير الكتاب، على غرار جمعيات أصدقاء المرضى وحماية البيئة..

2- تكوين عادة القراءة:

البدايات دائمة شـاقة، وأشق مراحل الطريق هي المرحلة الأولى، وكثير من الناس يجد صعوبة بالغة عند البدء في أيّ عمل أو مشـروع، وذلك لأن نتائج جهده في البداية تكون ضـعيفة، كما أن اسـتفادته من الوقت تكون غير مرضية؛ فالواحد منا يشعر أنه أمضى وقتاً طويلاً من أجل شيء لا قيمة له. لكن سـيهون الأمر حين نعدّ البداية في أيّ أمر مثل تسـخين (السـيارة)، ثم يتعاظم الانطلاق شيئاً فشيئاً.

البـدايـات التربويـة الجيـدة تبـدأ دائمـا في المنزل، والآبـاء هم المربون الطبيعيون، ولـذا كـان اهتمامهم بالعلم عاملاً حاسماً في تطور الموقف النفسـي لأطفالهم تجاه قضية التعليم، وتكوين عـادة القراءة لـديهم، فهم قـادرون -إن أرادوا- على تكوين حسّ الملاحظة والإصـغاء و الانتباه وتنمية الملكات، كوصـف المشـاهد، وعقد المقارنات ، وتمييز المفارقات؛ وكذلك غرس روح النظام والترتيب والجدولة في حياة أبنائهم اليومية.

... إن عادة القراءة لن تكون لدى الإنسان إلا عندما يشعر بشيء من المتعة واللذة ، وهذا لن يكون إلا حين تكون القراءة عبارة عن نوع من الاكتشاف، ونوع من تنمية العقل، وتوسيع قاعدة الفهم، وكـل ذلك مرهون بامتلاك طريقة جديدة للتعامل مع المواد العلمية المقررة على الطلاب. إن قابليتنا للتعلّم تتحول بفضـل ممارسـة القراءة إلى براعة، كما أنه يمكن للتكرار والتمرين أن يجعلا من حب المعرفة طبيعة ثانية لنا.

3- توفير الكتاب:

لأن القراءة لا تتمتع بأيّ أهمية لدى السـواد الأعظم من أبناء الأمة، فإننا نسـمع شـكوى مستمرة من غلاء الكتب، وعدم توفر المال المطلوب لشـرائها. ولا نشك أن هناك قسماً محدوداً من الناس لا يجد أيّ سبيل لاقتناء الكتاب، بسبب بطالته عن العمل، أو بسبب كبر حجم أسرته.. لكن عند التمحيص في حياة معظم من الناس، سـنجد أن سـوء تنظيم عميلة الإنفاق لديهم هو المسـؤول عن شـعورهم بالعجز عن توفير ثمن الكتب وغيرها. ووقفة متأنية للنظر فيما يهدر من مال شـهرياً على بعض الكماليات، وبعض الأشـياء المقصـود من اسـتهلاكها الظهور والتسـلق الاجتماعي؛ سـتجعلنا نوقن أن السـبب الجوهري للعزوف عن القراءة لدى كثير من الناس ليس شـحّ المال، وإنما انعدام أيّ رغبة لديهم في مصـاحبة الكتاب. ومع هذا فإن قضـية كبرى كقضـية القراءة يحتاج تعميمها إلى عدد من (الحلول المركبة)، وليس إلى حلّ واحد.

4- توفير الوقت للقراءة:

إن أكثر من 80% ممن لا يقرؤون كتاباً في الشـــهر، يعتذرون بأنه ليس لديهم وقت للقراءة، فمدّة عملهم اليومي طويلة، وعملهم شـاق يحتاج إلى راحة مديدة بعده، ثم إن الوقت القصـير الـذي يتبقى لـدى الواحد منهم ينفقه في تدريس أولاده.. أعذار كثيرة يبديها كثير من الناس، مع أن في صـدورهم شـيئاً آخر يتلجلج ، لا يملكون فكاكاً منه: {بل الإنسـان على نفسـه بصـيره *ولو ألقى معاذيره}.

إن الإحساس بالزمان منتج حضاري، ومن العسير على من لا يعيش عصره، ولا يشعر بإيقاعه، أن يفهم بـدقـة ما يقال اليوم عن أهمية الوقت، وأهمية تنظيمه، واســـتثماره، والمحافظة عليه، وهذه ضريبة أخرى من ضرائب التخلف الكثيرة.

إن الوقت هو المادة التي صـــنعت منها الحياة، وســـيكون لكل الذين يبذّرون في إنفاقه أن يجدوا الكثير الكثير من البراهين على حسـن تعاملهم معه. مع أن الموضوعيين من بني البشـــر يعرفون أن استغلال الوقت على نحو كامل مستحيل؛ ولذا فإنهم يتهمون أنفسهم دائما بالتقصير.

لو أن واحداً منا وضع سجلاً كاملاً يوضّح قضاءه أوقاته خلال أسبوع، لوجد أن نحواً من 20% على الأقل من نشاطاته لا يخدم أي هدف، ولا يعود عليه بأي نفع، وليس له أي معنى!.. ولو إننا دققنـا النظر في (المكالمات الهاتفية) التي نجريها كل يوم، لاكتشـــفنا أن كثيراً منها لا حاجة إليه، ولوجدنا أن كثيراً مما يقال فيها، يمكن الاستغناء عنه. وإني واثق أن تنظيم هذا الجانب وحده من حياتنا، كفيل بأن يوفر يومياً نصـــف ســـاعة - على الأقل- يمكن أن نســـتفيد منها في قراءة مادة معرفية ننمي بها ثقافتنا.

إن المشـكلة الأساسية بالنسبة إلى الذين لا يقرؤون، ربما كانت أنهم لا يملكون أيّ أهداف، أو أيّ أولويات، يضـغطون بها على حاضرهم، ويوجهون من خلالها جهودهم. سـيكون مفيداً ونحن نبحث عن وقت للقراءة، أن نكتشف (الساعة الذهبية) في يومنا، حيث يكون الواحد منا في قمة نشاطه، كي نستفيد منها في التفكير الإبداعي، أو قراءة المواد الصعبة، أو التخطيط لأعمالنا.

... لو أن الواحد منا سـأل نفسه: ما هو العمل الذي يمكن أن أقوم به الآن، ثم لا أقوم به؟ لو ســـأل نفســـه: هـل العمل الذي أقوم به الآن له أهمية وأولوية على غيره؟ لوجد كل واحد منا الوقـت الكافي للقيام بالعديد من الأعمال النافعة، ولاختفى الكثير من الفوضى والكســـل اللذين يغلفان حياة المسلمين اليوم!

إن تغيير السلوك في التعامل مع الوقت، يحتاج إلى وقت، وعلينا أن نثابر ولا نيأس.

5- تهيئة جو القراءة:

إن هناك ارتباطاً وثيقاً بين إمكانية الفهم والاستيعاب، وبين الأجواء والأوضاع التي تجري فيها عملية القراءة؛ فالوضـعية غير المريحة للقارئ، والمكان غير المناسـب للقراءة، يقللان من إمكانية استمرار القراءة، كما يجعلان الفائدة منها محدودة.

(عن كتاب: القراءة المثمرة للدكتور عبد الكريم بكار، ص 18 – 26)

وقد تحدثنا فيما سبق عن ظروف وتقنيات القراءة المفيدة، فلا داعي لتكراره هنا..

إن القراءة المثمرة تســـتحق منـا التخطيط والتفكير والمثـابرة والعناء، لأنها من أهم العوامل التي تعيد صياغة وجودنا من جديد!.❐

المصادر:

الكتب:
1- القراءة المثمرة، عبد الكريم بكار، دار القلم، دمشق، ط6، 2008.
2- لماذا نقرأ، طائفة من المفكرين، تقديم: رجب البنا، دار المعارف، مصر، ط2، د.ت.
المقالات:
تمت الاستفادة من مجموعة من المقالات على الروابط التالية :
3- http://mawdoo3.com
4- http://www.jadidpresse.com
5- https://www.sasapost.com/opinion/why-do-we-read-2/
6- http://www.alhayat.com/Opinion/Letters/7553474/
7- alukah.net/culture/0/100302
8- http://mawdoo3.com/
9- http://mawdoo3.com/
10- https://najm49.com/2015/08/26/how2read/
11- http://www.huffpostarabi.com/kamal-almasry/post_14164_b_14718004.html
12- https://6oood.wordpress.com/2009/10/31
13- https://www.ts3a.com/

قراءة في كتاب

الأذواء والأقيال دراسة في التاريخ اليمني القديم	د.محمد نزار
الوسطية الإسلامية دراسة تأصيلية منهجية فكرية	د. محسن عبدالحميد

قراءة في كتاب

الأذواء والأقيال دراسة في التاريخ اليمني القديم

للباحثة: أزهار كامل ناصر

عرض: د.محمد نزار الدباغ

✍ صدر عن دار الفيحاء للطباعة والنشـــر والتوزيع، في لبنان، لسنة 2017، كتاب (الأذواء والأقيال: دراسـة في التاريخ اليمني القديم)، للباحثة (أزهار كامل ناصر)، وبواقع (167) صـفحة. وقد جاء في مقدمة الكتاب أن اليمن تمتعت بموقع اسـتراتيجي يتوسـط القارات الثلاثة (آسـيا، أفريقيا، وأوروبا)، فكانت اليمن همزة الوصـل بين حضارات شرقي البحر المتوسط وبلاد الرافدين وبلاد وادي النيل، وحضارات الهند والصين وشرقي أفريقيا. وقد انتفع اليمنيون القدماء من موقع بلادهم المتوسـط بين الحضـارات فمارسـوا الزراعة، ثم التجارة، حيث بنوا المدرجات ليتمكنوا من زراعـة الجبـال، واسـتخرجوا منهـا المعادن للاسـتفادة منها في مختلف أنواع الصـناعات التي يحتاجونها في حياتهم اليومية.

وقد أقام اليمنيون القدماء حضـارة راقية تميزت بالتنوع والأصـالـة، ومن أبرز سـماتها الحضـارية الفن المعماري المتمثل ببناء القصـور والقلاع والبيوت ومنشـآت الري كالسـدود والقنوات.

وعلى الرغم من الدراسـات العديدة عن تاريخ اليمن وحضارته عبر العصور، والتي قام بها البـاحثون الأجـانـب والعرب، إلى جـانب التنقيبات الآثارية التي أنتجت لنا العديد من المؤلفات التي جمعـت النقوش المسـنـدية، وتبعتها مؤلفات وكتابات بحثية ورسـائل وأطاريح جامعية تضـمنت دراسـة تلك النقوش، إلى جانب المعاجم اللغوية، التي سـاهمت بشـكل كبير في تفسـير

تلك النقوش، اعتمدت معظم الدراسات التاريخية والنقشية دراسة تاريخ اليمن السياسي، وأعمال وإنجازات ملوكه، أو التي وضحت المعتقدات الدينية بما أشارت إليه من أسماء الآلهة اليمنية، لكن حتى تلك الدراسات العديدة عن الآلهة كانت عامة، ولم تكن تخص شريحة أو فئة في المجتمع التي بحثت القبائل اليمنية.

إن الأذواء والأقيال، الذين شكلوا قوة مهمة في المجتمع اليمني، كان لها دور سياسي وإداري، فضلاً عن أنها تمثل القوى القبلية اليمنية، ودراستها توضح أحوال اليمن وميزان القوى عبر فترات تاريخية مختلفة، ولذا وجدنا البحث في هذه المجموعة (الأذواء والأقيال) ضرورة لإلقاء الضوء على القوى القائمة في بلاد اليمن، التي أسهمت في تطورات تاريخية مهمة، أيْ مراحل القوة والانحلال والاضمحلال.

أما سبب اختيار المؤلفة لهذا الموضوع، فهو لقلة الدراسات فيه، ولغنى حضارة اليمن بتراث حضاري كبير وعريق. وهدف البحث: التواصل الحضاري بين اليمن وبلاد الرافدين. أما بالنسبة للصعوبات التي واجهتها المؤلفة، فهي ندرة المصادر أو المراجع المتعلقة بهذا الموضوع، لذلك اضطرت إلى مراسلة الأساتذة اليمنيين، الذين لم يألوا جهداً بالمساعدة وتزويدها بالمصادر والمراجع.

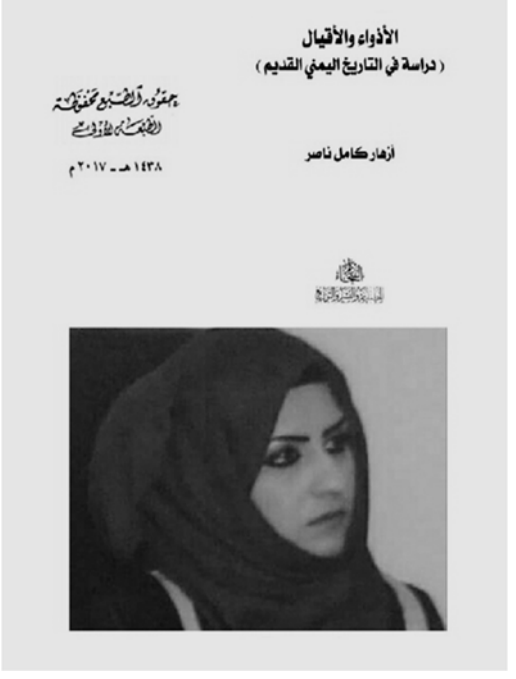

قسم هذا الكتاب إلى أربعة فصول، موزعة على ثلاث فقرات لكل فصل تقريباً. شمل الفصل الأول: تعريف الأذواء والأقيال، ودراسة مجتمع الأذواء والأقيال، وقبائلهم. وتضمن الفصل الثاني: الدور الإداري والعسكري والعمراني، حيث شمل دراسة مناصبهم، وقيادتهم للجيوش، ودور الأذواء والأقيال في مجال العمارة والبناء. أما الفصل الثالث، فقد تناول دراسة أحوالهم الاقتصادية، فشمل الزراعة والتجارة والصناعة. ودرس الفصل الرابع معتقداتهم الدينية، وأبرزها: الآلهة، والقرابين، والنذور، وعقائد ما بعد الموت.

واعتمدت المؤلفة على جملة من المصادر والمراجع في تأليف هذا الكتاب، منها على سبيل المثال لا الحصر: كتاب (الإكليل) للهمداني (ت 334هـ)، إذ تحدث في الجزء الثاني منه عن أنساب حمير، وتناول في

الجزء الثامن وصفاً لآثار اليمن المعمارية؛ من محافد، وقصور، وقلاع، وسدود، ومدن. وعرض في الجزء العاشر لأنساب القبائل؛ وكتاب (القصيدة النشوانية) لنشوان بن سعيد الحميري (ت 573هـ)، وفيه ذكر ملوك حمير ومفاخرهم؛ وكتاب (نشوة الطرب في أخبار جاهلية العرب)، لابن سعيد الأندلسي (ت 685هـ)، وقد أفادت منه في معرفة أنساب القبائل.

أما الكتب البلدانية فمنها كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني، وكتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي، وكتاب (البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي) لإسماعيل بن علي الأكوع، وكتاب (معجم البلدان والقبائل اليمنية) لإبراهيم المقحفي، الذي رتّب مادته على الحروف الأبجدية، وتحدث عن أنساب اليمن وقبائلها.

كذلك اعتمدت المؤلفة على كتاب (نقوش محرم بلقيس/ **Sabaeaninscriptions from mahrambilgis**)، الذي وضعه عالم النقوش (ألبرت جام)، ويحتوي على مجموعة النقوش المكتشفة في حفريات البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان في (محرم بلقيس) بمأرب، وهو من الكتب المهمة التي يستند عليها مؤرخو علماء النقوش العربية الجنوبية.

كذلك جرت الاستعانة بالبحث الذي نشره الدكتور (محمد عبد القادر بافقيه) في مجلة (دراسات يمنية)، بعنوان: (الأقيال والأذواء ونظام الحكم في اليمن القديم)، وهو من البحوث المهمة التي تحدثت عن الأذواء والأقيال بالتفصيل، كما بحثت العلاقة بين قبيلة سيبان واليزنيين، وقد تكون العلاقة هذه قديمة قدم الوجود السيباني، ولكن وضوح تلك العلاقة واتخاذها شكلاً رسمياً يعود إلى الربع الأخير من القرن الخامس، في ظروف يبدو أنها كانت عاصفة وممهدة لأحداث القرن السادس. ولا ننسى المعاجم وأبرزها (المعجم السبئي) لبيستون وآخرون، و(المعجم اليمني في اللغة والتراث) للأستاذ مطهر علي الأرياني.

أما المصادر النقشية، فكان من أهمها كتاب (تاريخ اليمن: نقوش مسندية وتعليقات) لمطهر علي الأرياني، فقد تضمن شرح مجموعة كبيرة من النقوش اليمنية، وترجمتها، وقد قام الأرياني بنشرها وجمعها في هذا الكتاب. وكتاب:(تاريخ اليمن القديم)، لمحمد عبد القادر بافقيه، وهو كتاب تضمن ذكر الوقائع التاريخية، وأورد المؤلف فيه بعض النقوش المتعلقة بالأقيال، ودورهم العسكري والديني. وكتاب (مختارات من النقوش اليمنية القديمة)، مشتركاً مع بيستون وكرستيان روبان ومحمود الغول. وكتاب (تاريخ حضارة اليمن القديم)، لزيد بن علي عنان، وأورد المؤلف فيه النقوش المتعلقة بالأذواء والأقيال، وقد قام عنان بجمعها ونشرها في هذا الكتاب. وكتاب: (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام)، للمرحوم جواد علي، وهو من المراجع المهمة التي تضمنت معلومات عن الأذواء والأقيال، وأورد بعض النقوش المتعلقة بهم. وأيضاً كتاب: (دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام)، للمرحوم منذر عبد الكريم البكر، وقد تضمن دراسة شاملة عن تاريخ اليمن، فضلاً عن كتابه:(معجم أسماء الآلهة والأصنام لدى العرب قبل الإسلام)، ويعد من

المعاجم المهمة التي تناولت دراسة الأوثان والأصنام التي عبدها العرب قديماً،ومنهم اليمنيون القدماء.

واعتمدت المؤلفة في منهجها من خلال هذا الكتاب، على ذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري، بعد اسم المؤلف، في هامش الكتاب. وكانت صيغ كتابة الهوامش صحيحة من حيث ذكر اسم المؤلف، ويتبعه اسم الكتاب، فالمحقق - إن وجد -، ثم المترجم - إن وجد -، فالطبعة، تليها اسم المطبعة، ثم المدينة، والسنة، ورقم الجزء والصفحة.

وقد تم الاستشهاد بالآيات القرآنية، مثال ذلك: الآيات التي ذُكر فيها اليمن في القرآن الكريم، ومن الجوانب الفنية المرتبطة بالمنهج، نجد أيضاً كتابة بعض الأسماء أو المصطلحات باللغة الانكليزية، وكذلك أسماء المستشرقين والكتّاب الأجانب من الآثاريين والمنقبين، وأسماء المواقع الجغرافية المعربة للإنكليزية من الرومانية والإغريقية.

وكان الفصل الجغرافي في غاية الدقة وغني بالمعلومات الجغرافية من مدن وبلدات ومعالم جغرافية أخرى، كالجبال والوديان والتلال والأنهار والبحيرات والهضاب والعيون وغيرها.

وتمت الاستعانة بالنصوص المعززة ببحوث ودراسات باللغة العربية والإنكليزية، المعتمدة على النقوش والكتابات اليمنية القديمة عن الحضارات التي قامت في تلك البلاد العريقة التي كان لها دور مهم في تغيير مجرى أحداث التاريخ، خذ مثلاً قصة أبرهة الحبشي (الأشرم) وحملته على مكة.

وورد في الكتاب ذكر للعديد من المصطلحات الإدارية التي كانت موجودة في اليمن، مما تميزت به عن بقية البلاد، كالمخاليف ومفردها مخلاف، وهي أشبه بمقاطعات إدارية محصنة يحكمها أمير يقال له: قيل، وجمعُهُ: أقيال، وتقسم هذه المخاليف إلى محافد، وهي القصور، ويسمى صاحب القصر (ذو)، وهو بمعنى (الصاحب)، فيقال مثلاً: ذو ريدان، أيْ صاحب ريدان، وهكذا. ومن المفردات الأخرى كلمة: مقولة، وهي المقاطعة التي يحكمها القيل، وجمعها مقولات، وعادة ما تكون من أملاك قبيلته.

ومن الجوانب الدالة على قوة الهوامش، نجد أن المؤلفة عمدت إلى مقارنة الآراء حول بعض المواضع الجغرافية، ومناقشتها، مما أعطى إضافة وقوة للكتاب من الجانب العلمي.

أما في متن الكتاب، فنجد أن المؤلفة لجأت إلى طرح كل الآراء والنصوص والتعريفات الخاصة ببعض المفردات، واستعرضتها تاريخياً في محاولة للوصول إلى الاستنتاج الأقرب للحقيقة التاريخية، مثال ذلك نجده عند حديثها عن الأذواء.

واستعانت المؤلفة بالقصص الشعرية والنثرية، التي كان لها دور بارز في توثيق تاريخ اليمن. مثال ذلك: قصة الملك حسان بن تبع، وحملته للقضاء على جديس في منطقة اليمامة. وكان للمؤلفة إضافات مهمة في متن الكتاب، منها استخدامها لمفردات وأسماء عديدة مستقاة

من معاجم اللغات واللهجات اليمنية القديمة كـــ(المعجم السـبئي) لبيتسـون وآخرون، ومقارنة مفرداته مع معاجم اللغة العربية.

وعالج الكتاب أيضـاً وفصَّـل ذكر العديد من القبائل اليمنية القديمة، حيث تتبعتها المؤلفة بـالبحث والدرس والتحليل، ذاكرة أصـــل الاســـم لكل قبيلة، تاريخياً واشـــتقاقياً، معتمدة على الكتـابات والنقوش والألواح القديمة المكتوبة بالخط المســـند وغيره، واســـتعراض تاريخ القبيلة وحروبها مع القبائل الأخرى، وتنقلات هذه القبائل بحثاً عن الماء والكلأ، وأحياناً ذكر ما تتمتع به القبيلة من خيرات، وما تملكه من أراضي زراعية وموارد وثروات أخرى.

وتوصلت المؤلفة من خلال كتابها إلى عدد من النتائج، أهمها:

1. إن نظام الأذواء والأقيال كان معروفاً منذ القدم في حمير، وملحقاتها: قتبان، وحضـــرموت، أيضاً.

2. تنامي نظام الأذواء والأقيال في الفترة التي عرفت بفترة ســـبأ وذي ريدان، وهي فترة غلب عليها الصـــــراع الدامي، الذي قام فيه الأذواء والأقيال وقبائلهم بدور كبير وملحوظ، إلى جانب الملوك.

3. كان للمرأة دور في مجتمع الأذواء، وقد ورد في النقوش عدد من المصـطلحات أو المناصب المختلفة التي شغلتها المرأة.

4. لعب الأذواء والأقيال دوراً مهماً، سـياسـياً وعسكرياً، وقد امتلك هؤلاء الأذواء والأقيال كتائب حربية خاصـــة بهم، لذلك نالوا اســـتقلالية ملحوظة، وتحولوا في القرن الســـابع إلى حكام البلد الحقيقيين.

5. ينتسب الأذواء والأقيال لقبائل مهمة، شكّلت تحالفات مهمة، وكانوا قادة جيوش، وبالتالي هم يمثلون القوة التي لا يمكن لملوك اليمن الاستغناء عنها.

6. يتمثل الدور الإداري للأذواء والأقيال بإقامتهم المجالس الاستشارية، مثل مجلس المثامنة.

7. خرج من طبقة الأقيال من اسـتطاع أن يعتلي عرش الملوكية، ومن هؤلاء على سبيل المثال: سـعد شـمس أرسـع، وابنه: مرثد، اللذان كانا قيلان في عهد الملك الرشـح يحضـب، وكذلك: يريم أيمن، الذي كان قيال على قبيلة سمعي.

8. كان لهم دور في الجانب الاقتصـادي، تمثل بالزراعة، وبامتلاكهم الأراضي، وحرصـهم على زيادة الثروة والمحاصيل الزراعية. وأيضاً من خلال قيامهم بإصلاح الأرض، وحفر الآبار، وإنشاء السدود، وزرع الأشجار.

9. أما بالنسبة لدورهم في مجال التجارة، فلم ترد إلا إشارات قليلة تدل على إنه كان لهم دور في هذا المجال، حيث لم تسعفنا النقوش، ما عدا بعض الإشارات.

10. في حين نجد أن دورهم في المجال العمراني قد تمثل بإقامتهـــم القصـور، وبنائها، وكذلك القلاع، والسدود، وشق قنوات الري.

11. كان لهم دور كبير في الجانب الديني. يتضح ذلك من خلال القرابين المقدمة للآلهة، شكراً وحمداً لها: إما للسلامة في الحروب، أو لزيادة المحاصيل الزراعية، والنماء، والأنعام، أو للشفاء من الأمراض. وكانت القرابين، أو العشور، تمثل جزءاً مهماً من واردات المعابد.

وضم الكتاب خرائط وملاحق، حيث مثلت الملاحق صوراً لنقوش يمنية قديمة، مصورة بصيغتها الأصلية، ثم ترجمة مقاطع هذه النقوش باللغة العربية، مع ذكر مصدرها، وكذلك بعض اللوحات الزخرفية.

واستخدمت المؤلفة في قائمة مصادرها ومراجعها ما يربو على (210) كتاب، منها ما هو مختص بتاريخ اليمن وآثاره، ومنها ما تعلق بالتاريخ المحلي لليمن، والبعض الآخر له صلة بكتب النقوش واللوحات والكتابات الأثرية، فضلاً عن كتب الأدب واللغة والتراجم والجغرافية والعمارة والاقتصاد والفنون والزخرفة والزراعة، فضلاً عن عدد من المراجع باللغة الإنكليزية، ودراسة واحدة من شبكة الانترنت.

ومن الجدير بالذكر، أن المؤلفة من مواليد مدينة البصرة لسنة 1989، وهي (أزهار كامل ناصر الخليفاوي)، حصلت على شهادة البكالوريوس في الدراسات التاريخية من كلية التربية للبنات/ جامعة باب الزبير في البصرة سنة 2011، ثم قدمت للدراسات العليا، وكانت الأولى على زملائها في السنة التحضيرية، وأكملت شهادة الماجستير سنة 2014، عن رسالتها (الأذواء والأقيال دراسة في التاريخ اليمني القديم)، وبتقدير جيدجداً عال❐

قراءة في كتاب

الوسطية الإسلامية

دراسة تأصيلية منهجية فكرية

قراءة: المفكر الإسلامي الأستاذ الدكتور: محسن عبد الحميد
أستاذ التفسير والعقيدة والفكر في جامعة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد وآله وصحبة أجمعين.

أما بعد: فالإسلام دين الفطرة التي فطر الله ﷻ الناس عليها، وهي تعني حقيقة كل شيء خلقه الله ﷻ، لا تبديل لتلك الحقيقة، وأية محاولة للتجاوز عليها، لا بد أن تنتهي إلى الانحراف، ثم الخراب الذي يصيب ذلك الشيء، الذي يحرّف بل يدّمر كل شيء حوله.

ووسطية الإسلام هي تلك الحقيقة التي تتفرع منها عقائده وشرائعه وأنظمته الأخلاقية، التي تنقل العقائد والشرائع إلى السلوك البشري، لتكون الحياة متوازنة متعاضدة في دفع التنمية الحضارية إلى المواقع الحقيق بها أن توضع.

وهذه الفطرة الكونية والإنسانية تبقى صافية محصنة عندما تسير وتتحرك في ظل أسماء الله الحسنى، التي منح الله ﷻ بفضله عباده أنصبته منها.

غير أن الإنسان الظلوم الجهول يبعثرها، وعند بعثرتها تختل الحياة، وتنحرف الحضارة، وحينئذ يكون كالأنعام، بل يكون أضل، كما قال ربنا ﷻ في كتابه الكريم: ﴿**أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ**﴾[1].

أما الإنسان الفطري المؤمن، فيجمعها بنسبها المعطاة لكل ناحية من نواحي العقل والروح والقلب والنفس، فتنمو بها الحياة، وتسعد بها الإنسانية.

وهذا هو الذي يريد الإسلام أن يقود البشرية إليه، من خلال وسطيته المنبثقة الشاهدة من تلك الوحدة.

ولقد أنزل الله ﷻ القرآن الكريم على قلب رسوله الخاتم ﷺ، بهذا المنهج الفطري المتوازن الجامع الوسطي، وأمره أن ينزله في ظل تلك الوحدة الكونية الكبرى على الحياة، لتسير متساندة غير مجزأة، لكي لا يأخذ الجاهل كل جزء منفرداً، فيحوله إلى دين قائم بذاته، بعيداً عن المنطق الداخلي الإيماني الذي يوحد بين تلك الأجزاء.

ومن هنا كانت حياة رسول الله ﷺ وحدة متكاملة في حقيقة قرآنية موحدة، كل جزء منها يولد صفة من صفاته الكريمة، ليكون قرآناً يمشي على الأرض بين الناس، من حيث هو القدوة الكاملة للكائن الحي في هذا الوجود.

ولذلك لا نجد في سلوك رسول الله ﷺ، غلواً أو تطرفاً أو انحرافاً في كل نصيب من أنصبة الأسماء الحسنى، بل هو الحد الأوسط الذي جمع بينها في منهج وسطي مشهود. بمعونة الله ﷻ الذي أرسله رحمة للعالمين.

والصحابة الكرام أدركوا هذه الحقيقة من حياة رسول الله ﷺ فتمثلوها، ولذا كانوا يقومون قومة واحدة ضد كل شرود أو غلو أو تطرف.

وبرهان ذلك أنهم ألحقوا الهزيمة بكل الانحرافات التي ظهرت من أعماق النفس الأمارة، سواء أتت من داخل المجتمع الإسلامي، أم من خارجه. فلم تستطع من خلال غلوها أو تطرفها أو عنفها أو تكفيرها، أن تسلب من الأمة وسطيتها الإسلامية النابعة من منهجها القرآني وحقيقتها

الإلهية.

وقد سخر الله ﷻ لضبط هذه الوسطية الشاهدة، التي ارتضاها لحياة الأمة الإسلامية بقوله الشريف: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [2]، فقهاء ومجتهدي الأمة على بنائها عبر شبكة دقيقة موزونة من الأصول والقواعد والمقاصد والمآلات، التي استنبطوها من نصوص القرآن والسنة، تقطع الطريق على تحريف الأمة إلى مسالك مدمرة، أو دموية، ما أنزل الله ﷻ بها من سلطان.

وقد وقع الكثير من هذا السوء في تاريخنا القديم، وفي وقتنا الحاضر كذلك، فانبرى له العلماء والباحثون والدعاة، لردّه، وإيضاح منهج الوسطية، كما ردّ السابقون الكرام على من أساء الفهم، أو جهل الحقيقة، أو غالى غلواً مقصوداً للنيل من عقيدة المسلمين ووحدتهم.

وأخونا الفاضل الدكتور (دحام إبراهيم الهسنياني) اقتدى بهم، وسار على منهجهم بمقدمات واضحة، وفهم شمولي دقيق، ودراسة عميقة وواعية، فشمّر عن ساعد الجد، فأخرج لنا هذه الأطروحة القيمة الموسومة: (**الوسطية الإسلامية.. دراسة تأصيلية منهجية فكرية**)، التي كشفت بأسلوب العصر عن تفاصيل هذا المنهج الوسطي، أصولاً وقواعد ومقاصد، بالاستناد إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، والاستفادة من الدراسات القرآنية الموضوعية، والأصولية الدقيقة، والفقهية العميقة، التي نسجها علماؤنا العظام عبر التاريخ الإسلامي المجيد، مع تتبع لأهم الدراسات الحديثة والمعاصرة التي دبجها يراع فقهاء الإسلام ومفكريه ودعاته في العصر الحديث.

أرجو الله ﷻ أن يأخذ هذا الكتاب المهم مكانه في مكتبة التشريع الإسلامي، وفكره القيم، ويفيد الأمة جمعاء، لا سيما الجاهلين والشاردين والمحرفين والغاليين والتكفيريين، الذين صنعوا مآسي كبيرة لمجتمعاتنا الإسلامية، وغيرها من أصقاع العالم، وشوهوا حقائق الإسلام الناصعة أمام البشرية، التي هي اليوم بأحوج ما تكون إلى هداية ديننا الإسلامي الحنيف.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين❐

(1) سورة الأعراف، الآية: 179.

(2) سورة البقرة، الآية: 143.

بصراحة

الكورد وحق تقرير المصير

صلاح سعيد أمين

Selah1434@gmail.com

يعد الشعب الكوردي من أكبر شعوب العالم التي حرمت - حتى هذه اللحظة - من حق تشكيل دولة مستقلة وكيان مشروع، من قبل الذين يؤكدون مراراً وتكراراً في خطبهم ولوائحهم وادعاءاتهم أن تقرير المصير هو حق لكل الشعوب، دون أيّ لبس ولا غموض.

لقد قسم الشعب الكوردي قبل مائة عام على أربع دول إقليمية، وهي: تركيا، إيران، العراق، وسوريا، دون أن يسأل أحد الشعب الكوردي مجرد سؤال: هل أنتم راضون بهذا التقسيم أم لا؟

وليس خافياً على أحد أن الشعب الكوردي طوال هذه الفترة تعرض لأشد أنواع الاضطهاد، وعانى أعتى أشكال المعاناة، من تطهير وترحيل، وحرمان من الجنسية، وحرمان من التحدث باللغة الأم، وإجبار على الدراسة بلغة أخرى، وقصف بالمقاتلات البريطانية بداية القرن المنصرم، وضرب بالأسلحة الكيمياوية، المحرّمة دولياً، نهاية القرن نفسه، فضلاً عن التشريد والتقتيل والإبادة الجماعية...

ومن هنا، فمن حقنا الطبيعي أن ننتقد كل من يحاول أن يعرقل كفاحنا لنيل استقلالنا، تحت ذرائع واهية، خصوصاً الوسط الثقافي المسيّس، ونتساءل: أحلال أن تكون لكم دولة، وحرام أن تكون لنا دولة؟

بعض الأخوة من العرب يقولون إن تشكيل دولة كوردية يخدم الكيان الصهيوني بالدرجة الأولى، وهو تهديد واضح للأمن القومي العربي! والأتراك يلوّحون برفض تشكيل أي دولة كوردية! والفرس يجهرون بأن تشكيل دولة كوردية يعرّض المنطقة للخطر، وأنهم لا يقبلون بها!

بساطة هذه التبريرات تجعلها لا تحتاج إلى إجابة، لكن باختصار شديد، نقول: إن كان إخواننا العرب قد قرروا أن يوحدوا كلمتهم، وأن يجمعوا شملهم في دولة واحدة، ويتخلوا عن الـ21 دولة الباقية، وأن يغلقوا سفارات الكيان الصهيوني في بعض بلدانهم، وأن ينهوا التنسيق الأمني في السر والعلن مع الكيان الإسرائيلي، فحينئذ سنغلق نحن إلى الأبد ملف الدولة الكوردية.

وإن كان إخواننا الأتراك قبلوا أن يتعرضوا لأقل من نصف ما واجهه شعبنا، من كل ما أشرنا إليه سالفاً، فليعيقوا تشكيل دولتنا.

وإن كان إخواننا الفرس رضوا في يوم من الأيام أن لا يتحدّثوا بلغتهم الأم، وأن تفرض عليهم الدراسة بلغة ثانية، فليواجهوا تشكيل أي دولة كوردية في المنطقة.

وأخيراً، لم يبقَ لنا إلاّ أنْ نناشِدَ كُلَّ ذي ضميرٌ حي: أن يصرخ بوجه كلّ من يعترض أن يعيش أي إنسان على وجه المعمورة، كمخلوقٍ كرّمه الله، وأن يحيا أي شعب كباقي الشعوب الأخرى التي منحها الله حق العيش والتمتّع بالحياة❐

تقارير

- برلمان كوردستان .. تفعيل بعد تعطيل	المحرر السياسي
- الكورد يقررون مصيرهم في استفتاء شعبـي على استقلال كوردستان	تقرير: سرهد أحمد
- ملتقى الديمقراطية وحق التقرير المصير بالسليمانية يجمع مثقفين كورداً وعرباً	المحرر السياسي
- الاتحاد الإسلامي الكوردستاني يدين جرائم الإبادة ضد مسلمي الروهينغا	المحرر السياسي

برلمان كوردستان .. تفعيل بعد تعطيل

متابعة وإعداد: المحرر السياسي

✍عقد برلمان كوردستان، مساء يوم الجمعة الموافق 2017/9/15 جلسته بعد انقطاع دام لعامين نتيجة الخلافات السياسية بين عدة أحزاب كوردية.

وعقدت الجلسة بحضور (68) عضواً من الكتل البرلمانية، باستثناء (حركة التغيير الكوردستانية)، و(الجماعة الإسلامية)، ووفق المادة السادسة من النظام الداخلي لبرلمان كوردستان.

ويأتي تفعيل عمل برلمان كوردستان وفق اتفاق مسبق تم بين (الاتحاد الوطني الكوردستاني) و(الحزب الديمقراطي الكوردستاني) .

وكان وفد مشترك من (الاتحاد الوطني) و(الحزب الديمقراطي) قد قام يوم الأربعاء الموافق 2017/4/13 بزيارة (الاتحاد الإسلامي الكوردستاني) للتباحث في اجتماع ثلاثي حول تفعيل برلمان كوردستان ومسألة الاستفتاء، حيث أكّد الدكتور (هادي علي) رئيس المجلس السياسي لـ(الاتحاد الإسلامي الكوردستاني) والمتحدث الرسمي باسم الحزب، في مؤتمر صحفي، عقده عقب الاجتماع، إن الأحزاب الثلاثة المجتمعة قررت المشاركة بجلسة تفعيل عمل برلمان كوردستان يوم

الجمعة الموافق 2017/9/15، مضيفاً: "أكدنا على سرعة تفعيل عمل البرلمان بمشاركة جميع الكتل من أجل حل كافة الإشكالات السياسية والاقتصادية."

وصادق برلمان كوردستان في نفس جلسته، مساء يوم الجمعة الموافق 2017/9/15، على قرار يفوض حكومة إقليم كوردستان بإجراء الاستفتاء يوم 25 من شهر أيلول. وتم التصويت بأغلبية الحضور، والبالغ عددهم (65) عضواً، على قرار يقضي بإجراء الاستفتاء في موعده المحدد.

كما عبر برلمان كوردستان عن رفضه الشديد للقرار الذي صوت عليه مجلس النواب العراقي بالضد من الاستفتاء، معتبرين إياه غير قانوني، وغير ملزم لكوردستان.

وكان السيد (أبو بكر هلدني)، رئيس كتلة (الاتحاد الإسلامي الكوردستاني)، قد قال في مؤتمر صحفي عقده بعد الاجتماع، بحضور باقي الكتل التي شاركت بجلسة يوم الجمعة: "سنصوت على قرار إجراء الاستفتاء في موعده في كوردستان، وفي المناطق الكوردستانية خارج الحدود الإدارية لإقليم كوردستان". وأضاف: إن "أعداءنا توحدوا على الوقوف ضد إرادة شعب كوردستان، ونحن توحدنا اليوم للرد عليهم، والتصويت على قرار يناهض قرار رفض الاستفتاء الذي صوت عليه أعداؤنا"، في إشارة إلى مجلس النواب العراقي، الذي عقد يوم الثلاثاء الموافق 2017/9/12 جلسة أصدر فيها قراراً برفض استفتاء إقليم كوردستان، وجلسة أخرى يوم الخميس الموافق 2017/9/14، قرر فيها إقالة محافظة كركوك: الدكتور (نجم الدين كريم) من منصبه، على خلفية تأييده إجراء الاستفتاء في مدينة كركوك.

وأثناء افتتاح جلسة البرلمان، قال رئيس كتلة الاتحاد الإسلامي الكوردستاني (أبو بكر هلدني)، في كلمة له: "إن تعطيل برلمان كوردستان لقرابة عامين كان خطأ كبيراً لن ينساه التاريخ"، مضيفاً: "إن مسيرة الإصلاح، وحلحلة المشكلات، تعطلت وتعثرت كثيراً"، مشيراً إلى أنه "لم يعد من الممكن ترك الأمور على حالها، واستمرار الأزمة أكثر من ذلك".

وتابع رئيس كتلة الاتحاد الإسلامي الكوردستاني بالقول: إن "الاستفتاء هو الحل الأمثل في الوقت الراهن، فالعراق لم يجلب لنا سوى الويلات"، مؤكداً أنه "يجب العمل على حل الخلافات الداخلية والعمل معاً على إنجاح الاستفتاء"، وقال إن "استقلال كوردستان يستحق التضحية والتنازل عن المطالب الضيقة، وإن وحدة الصف كفيلة بإنجاح الاستفتاء، كما ساهمت في تحقيق الكثير من الأهداف في الماضي، والعكس صحيح"، وختم قائلاً: "علينا نحن أعضاء برلمان كوردستان، من كافة الكتل، أن نكون حريصين على أن يكون البرلمان أكثر قوة وحضوراً وتحملاً للمسؤولية، وعلى البرلمان أن يعيد جميع القرارات الخاطئة إلى مسارها الطبيعي، وخصوصاً المتعلقة بنظام ادخار رواتب الموظفين قسراً"❐

الكورد يقررون مصيرهم في استفتاء شعبـي على استقلال كوردستان

تقرير: سرهد أحمد

✍ توجه مواطنو إقليم كوردســـتان، يوم الاثنين الموافق 2017/9/25 إلى صـــناديق الاقتراع، للاستفتاء على استقلال إقليم كوردستان عن العراق.

وكانت القيادة السـياسية الكوردية قد حددت موعد الاستفتاء قبل ثلاثة أشهر، في ظل شبه انقسـام داخلي، حيث رفضـت كل من (حركة التغيير) و(الجماعة الإسـلامية)، بالإضـافة إلى تيار مدني يسمي نفسه (جبهة لا) الاستفتاء، واصفين توقيت إجرائه بـ(غير المناسب).

في المقابل دعم (الاتحاد الإســلامي) و(الحزب الديمقراطي) و(الاتحاد الوطني)، مع أطراف سـياسـية أخرى، مشـــــروع الاسـتفتاء، مؤكدين تمسـكهم به كخيار وفرصـة أخيرة لإقامة الدولة الكوردية.

وعلى المستوى الاقليمي، رفضت حكومة بغداد بشدة إجراء الاستفتاء، وتدعم توجهها هذا، كـل من إيران، الحليف الأبرز للعراق، وكـذلك تركيا، رغم أن الأخيرة ترتبط بعلاقات ســياســية واقتصادية متنامية مع الإقليم، لكنها تهدد بإجراءات عقابية إذا أعلن الكورد دولتهم المستقلة في هذا الجزء الجنوبي من كوردستان الكبرى.

وعلى المسـتوى الدولي، رفض مجلس الأمن الدولي خطوات إقليم كوردستان نحو الاستقلال، وطلـب في قرار صـــدر عنـه عقـب اجتماع يوم الجمعـة الموافق 2017/9/22، القيـادة الكوردية بالتخلي عن الاستفتاء، والشروع في حوار جاد مع بغداد لمعالجة الأزمات العالقة.

وســـبق ذلك عرضـــاً تقدم به مبعوث الرئيس الأمريكي في التحالف الدولي لمحاربة داعش: (بريت ماكغورك)، خلال اجتماعه بـــ(مسـعود البارزاني)، بحضـور ممثلين عن بريطانيا وفرنسـا، وتضمن تأجيل الاستفتاء في مقابل بدائل، ومنها الاتفاق مع بغداد برعاية دولية.

ورافق الرفض الغربي للاســـتفتاء موقف مماثل من جامعة الدول العربية، وتلا ذلك موقف

سـعودي يدعو الإقليم للاسـتجابة للمطالب الدولية والتراجع عن الاسـتفتاء، بغية قطع الطريق أمام ظهور مشكلات وصراعات في العراق والمنطقة.

من جانبها أكدت القيادة السياسية الكوردية، ممثلة في (المجلس الأعلى للاستفتاء)، على أن البدائل المطروحة لا ترقى إلى مستوى عملي، ولا تقترن بضمانات دولية، مشددة على أن لا رجعة عن الاستفتاء، وستجري العملية في موعدها المقرر.

وبعث (المجلس الأعلى للاستفتاء) وفداً إلى عدة دول أوروبية لحشد دعم القادة الغربيين، وسـبق ذلك إرسـال وفد إلى بغداد، لإبلاغها رسـمياً بالموقف الكوردي، والقبول من جانبها بهذا الموقف.

ويعبر إقليم كوردستان باستمرار عن امتعاضه لعدم التزام حكومة بغداد بمسؤولياتها تجاه الإقليم، ويتهم بعض الأطراف السياسية العراقية بالإخلال بمبدأ الشراكة والتوافق في إدارة العراق.

ولجأت الحكومة الاتحادية قبل ثلاثة أعوام إلى قطع مسـتحقات الإقليم المالية من الموازنة العامة، بشـكل تسـبب بأزمة اقتصادية خانقة، مع وجود حالة حرب ضد (داعش). ورغم جولات من المفاوضـات خاضتها وفود كوردية لثني بغداد عن سياساتها العقابية، لكنها لم تثمر عن شيء، ما شكّل بالنتيجة قناعة لدى القيادة السياسية الكوردية بأن الوقت قد حان لفض الشـراكة غير المثمرة مع بغداد، والتوجه نحو الاستقلال في دولة ذات سيادة.

ورغم تزايد التهديدات الإقليمية والضـغوط الدولية، إلا أن الموقف الرسـمي والشـعبـي الكوردي متماسـك، إذ اتفق الجميع على أن التراجع عن الاسـتفتاء هو انتحار سياسي، ووأد لحلم إقامة الدولة الكوردية.

وشـهدت غالبية المدن الكوردسـتانية تجمعات جماهيرية حاشـدة دعماً للاسـتقلال، آخرها كان في (أربيل)، حيث حضـرها الأستاذ (صلاح الدين محمد بهاء الدين) الأمين العام لـ(الاتحاد الإسـلامي الكوردسـتاني)، يوم الجمعة الموافق 2017/9/22، إلى جانب قيادات سـياسـية كوردية، يتقدمهم السـيد (مسـعود البارزاني) رئيس (الحزب الديمقراطي الكوردسـتاني)، والسـيد(كوسرت رسـول علي) النائب الأول لسـكرتير (الاتحاد الوطني الكوردسـتاني)، وعدد آخر من المسـؤولين الحزبيين والحكوميين.

ويدعم (الاتحاد الإسـلامي الكوردسـتاني) وأمينه العام الأسـتاذ (صـلاح الدين محمد بهاء الدين)، بقوة، إجراء الاستفتاء على استقلال كوردستان عن العراق، وإقامة الدولة الكوردية.

وكان الأسـتاذ الأمين العام قد قال في رسـالة تهنئة وجهها إلى مسـلمي كوردسـتان والعالم، بمناسـبة ذكرى هجرة الرسـول المباركة، وحلول العام الهجري الجديد: إن الوقت قد حان ليعترف المجتمع الدولي والدولة العراقية بحق الكورد في تقرير مصيره❐

ملتقى الديمقراطية وحق التقرير المصير بالسليمانية يجمع مثقفين كورداً وعرباً

متابعة وإعداد: المحرر السياسي

السليمانية: الحوار

✍عقد في مدينة السليمانية يومي 16ـ17\9\2017 (ملتقى الديمقراطية وحق التقرير المصير)، حيث شاركت فيه نخبة من الأدباء والكتاب والمثقفين والصحفيين الكورد ومن العراق والدول العربية، والذي جاء بتنظيم من المجلس الأعلى للاستفتاء في إقليم كوردستان.

وأكد القائمون على تنظيم وإدارة الملتقى، أن الهدف من اللقاء النخبوي هو إجراء حوار عقلاني حول الديمقراطية وحق تقرير المصير بين الشخصيات السياسية والثقافية والكتاب من المكونين الكوردي والعربي المشاركة في الملتقى.

وتركزت المحاور الأساسية لأعمال الملتقى حول قضايا الديمقراطية وحق تقرير المصير والهوية وقضية الاستفتاء، إضافة إلى الدراسات المقدمة من قبل نخبة من المثقفين الكورد بشأن الخلفية التاريخية لتطور القضية الكوردستانية، وسياقاتها التاريخية، وصولاً إلى المستجدات الحاصلة ومواضيع تتعلق ببناء الأمة والدولة الكوردستانية المستقلة.

وشـــارك إلى جـانـب تلـك النخبـة، عضـــوا اللجنـة العليـا المنظمـة للملتقى، كـل من: رئيس تحرير مجلة (الحوار) الأسـتاذ (سـالم الـحـاج)، والـكـاتـب والصحفي المخضـــرم الأسـتاذ (حامد محمد علي)، والذي قال مداخلة له: "لي تسـاؤلات أوجهها للمنصـفين منكم، أو للذين لا يناصروننا على حق تقرير المصـير لنا.. وهي: هل ترضـون لأنفسـكم أن يكون لكم اثنان وعشـــرون دولة، ولا ترضون أن تكون لنا نحن الكورد دولة واحدة بجواركم، ونحن أخوة لكم في الدين والإنســـانية وتربطنا معكم روابط دينيه وتاريخية وثقافية...إلخ؟" مضـــيفاً: إن كنتم إسـلاميين، فها هو نبيكم ونبينا يقول: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسـه)، وإن كنتم ليبراليين وديمقراطيين، فقد سـمعنا منكم خلال العقود الماضـية ولا زلنا نسمع، من شعارات (الحرية والمساواة وحقوق الانسان) ما يكفي أن تلتزموا بها تجاهنا، وأن تشـرفونا بها، وتمنحونها إيانا".

وختم يتساءل: "ألا تعتقدون أن استقلال كوردستان عن العراق وبناء الدولة الكوردستانية، هو عامل اسـتقرار وتنمية للعراق، طالما كانت القضـية الكوردية وتداعياتها عامل عدم الاستقرار والخراب في البلد؟ وهو عامل قوة وضـمان للعرب عموماً، والعراقيين خصـوصـاً، أمام أخطار وتحديات من تعتبرونهم أعداء لكم في المنطقة؟ ."

وكانت فعاليات الملتقى قد بدأت صـباح يوم السـبت، وانتهت في مسـاء يوم الأحد ببيان ختامي، تضـمن جزء منه ما يلي: "لقد جاء عقد الملتقى إيماناً بالتوجهات السـياسـية للمجلس الأعلى للاســتفتاء، الذي يضــم أغلبية الأحزاب الكوردســتانية، وممثلين عن المكونات القومية والـــدينية، بأهمية العمق العربي بالنسـبة لكوردستان – العراق، والتوجه الى الرأي العام العربي ليس في العراق فحسـب، بل في كل البلدان العربية، تأكيداً بأن العلاقات المتنامية بين الشـعب الكوردستاني، بكل قومياته ومكوناته، وبين الشعب العربي، علاقات لا بد من التأكيد على صيانتها وتطويرها لما يخدم إطفاء بؤر التوتر في المنطقة، ويبني سـلاماً عادلاً بين الشـعوب، على أسـس المسـاواة الفعلية، واحترام إرادة الشـعوب في تقرير مصـيرها، والتأكيد على الطريق الديمقراطي المدني في البناء، بما يفضي إلى التنمية ومشاركة شعوب المنطقة قي التقدم والتطور."

يذكر أن المتلقى فقد أحد أعضـائه المشـاركين وهو السيد (أحمد ناصر الفيلي) رئيس تحرير صحيفة (التآخي) الذي وافاه الأجل أثناء فعالية مساء اليوم الأول من الملتقى❐

الاتحاد الإسلامي الكوردستاني يدين بشدة جرائم الإبادة ضد مسلمي الروهينغا في ميانمار

متابعة وإعداد: المحرر السياسي

أدان (الاتحاد الإسلامي الكوردستاني) الجرائم التي يرتكبها الجيش البورمي ضد مسلمي الروهينغا في ولاية راخين بميانمار.

جاء ذلك في بيان صدر عن مجلس شؤون الدعوة، يوم 2017/9/4، وتلقت (الحوار) نسخة منه .

استهل البيان بالقول: "يتابع المسلمون في هذه الأيام ببالغ القلق، الاعتداءات الآثمة، والانتهاكات الخطيرة، والاجراءات التعسفية، التي تقوم بها السلطة الحاكمة والقوات الأمنية في (ميانمار) بحق مسلمي الروهنجيا؛ من قتل وحرق وتهجير وتدمير، على مرأى ومسمع المجتمع الدولي والعالم كله، وخاصة العالم الإسلامي."

وتابع البيان: "نحن في مجلس شؤون الدعوة في الاتحاد الإسلامي الكوردستاني في إقليم كوردستان العراق، ندين ونستنكر بشدة تلك الاعتداءات المشينة والاجراءات التعسفية، ونعدها انتهاكاً فاضحاً للقوانين والمواثيق الدولية، ولمبادئ حقوق الإنسان وحريته وكرامته، وانتهاكاً خطيراً لحرمة التعرض للمواطنين المسالمين، وهو يشكل إرهاب دولة يمارس بشكل ممنهج ضد الأبرياء، واستفزازاً لمشاعر أكثر من مليار ونصف من المسلمين."

وأردف البيان بالقول: "ونحن كشعب كوردستاني نتعاطف مع إخواننا في (ميانمار)، ونشاركهم المعاناة والألم، كوننا ذقنا من قبل مرارة وبشاعة هذا النوع من الاعتداءات التي تستهدف حق الإنسان في الوجود والعيش بكرامة وأمان على أرضه، وتقتل كرامة الإنسان، وتقضي على بصيص الأمل في إقامة العلاقات الإنسانية، على أسس التعايش السلمي بين الطوائف المختلفة دينياً وعرقياً."

وطالب البيان المجتمع الدولي تحمل مسؤولياته تجاه مسلمي الروهينغا، قائلاً: "نطالب المنظمة الدولية للأمم المتحدة، وكافة الجمعيات والمنظمات الدولية، والحكومات، والشعوب، والمنظمات الإسلامية، ومنظمة التعاون الإسلامي، والاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، بالوقوف صفاً واحداً، والقيام بواجبهم الإنساني والإسلامي للدفاع عن إخواننا المضطهدين والمنكوبين في ميانمار... كما ونطالب المجتمع الدولي القيام بواجباته وتحمل مسؤولياته، باتخاذ الوسائل كافة لايقاف آلة القتل والتنكيل والتهجير القسري والاعتداءات السافرة والانتهاكات الخطيرة التي تمارسها السلطات المارقة في ميانمار ."

وختم البيان: "لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نشكر ونساند كافة الشرفاء في العالم، الذين تعاطفوا مع قضية المسلمين الروهنجيا المضطهدين، وندعوهم للعمل ما بوسعهم من أجل إنقاذهم كي يتمكنوا من العيش بسلام وأمان في وطنهم وعلى أرضهم. "

كما وأصدرت مكاتب إعلام الأحزاب الإسلامية الكوردية الثلاثة في إقليم كوردستان، بياناً مشتركاً في الشأن ذاته.

وجاء في البيان المشترك الصادر في 2017/9/4، ما يلي: "نحن كأجهزة إعلام وإعلاميي الأحزاب الإسلامية في إقليم كوردستان، ندين وبشدة المظالم التي تمارس ضد المسلمين في ميانمار، والتي تجاوزت كافة القوانين والمبادىء الدولية لحقوق الانسان، وهي مظالم تزلزل كل ذي ضمير حي."

وشدد البيان على: "إن هذه المظالم التي تمارس ضد هذا الشعب وعلى مرأى ومسمع المجتمع الدولي، تثير الاستغراب والاستهجان، وتفند جميع الادعاءات بالعدالة الدولية، وتطيح بمبادئ حقوق الانسان والمواثيق الدولية ذات الصلة."

وأضاف البيان: "نحن كشعب كوردستان تعرضنا عشرات المرات إلى الاضطهاد والمظالم والإبادة على أيدي أنظمة الحكم المتعاقبة والمحتلة، نعلن تضامننا مع مسلمي ميانمار، ونعبر عن حزننا تجاه هذه الكارثة الانسانية والدولية، كما ونطالب دول العالم والمنظمات الدولية والإسلامية التحرك لنجدة ضحايا هذه الجرائم الخطيرة واللاإنسانية، ونناشدهم وضع حد للابادة والمذابح، وعدم السماح بتكرار سفك الدماء."

ودعا البيان إلى مزيد من الوقفات والمواقف قائلاً: "وإنه لمن المناسب أن يقف الجميع في إقليم كوردستان: حكومة، وأحزاباً سياسية، ومنظمات، ومؤسسات إعلامية، ونشطاء مواقع التواصل الاجتماعي، ومواطنين، ضد هذه الكارثة اللاإنسانية، واتخاذ مواقف من منطلق المسؤولية التاريخية، عن طريق إصدار بيانات تدين المظالم والاضطهاد، وهذا على الأقل يعبر عن جوهر الاعتقاد لدى أي إنسان ذي ضمير حي"❐

الكورد ضحية جهل المسلمين بالإسلام

محمد واني

الإسلام أعطى الحقوق للأمم والأفراد على حد سواء، ولم يفضل أمّة على أمّة، أو إنساناً على إنسان، أو إثنية على إثنية إلا بالتقوى، المسلمون الأوائل ولحين ظهور الاستعمار الغربي، وهيمنته على منطقة الشرق الأوسط قبل 100 عام، بإرثه العنصري النيتشوي، وعقيدته النازية الشوفينية، ونوازعه السياسية الفاشية المدمرة، ومن ثم تقسيمها إلى دويلات وكانتونات قائمة على أساس عرقي وعنصري، تربطها علاقات يسودها التناحر والتباغض والحروب الدائمة والمستمرة.. هؤلاء المسلمون أدركوا هذه الحقيقة، وطبقوها على أرض الواقع، فلم يكونوا يفرّقون بين الكوردي والعربي، والتركي والبربري، في تولي أمور السياسة، ومناصب الدولة العليا.. فها هو قائد كوردي مثل (صلاح الدين الأيوبي) يقود المسلمين، بعربهم وكوردهم، وعجمهم وتركهم، لمحاربة الصليبيين. وكذلك الأمر بالنسبة لـ(طارق بن زياد) الأمازيغي، و(محمد الفاتح) التركي، وغيرهم الكثير، ممن قادوا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، دون أن يكون لديهم تحفظ على العرق واللون.

وكنا قد رأينا كيف أن حزباً إسلامياً عريقاً، في بداية تأسيس العراق الجديد عام 2005، اعترض بشدة على تولّي (جلال طالباني) لرئاسة جمهورية العراق، لأنه كوردي، وكان يفضل العرب السنة لهذا المنصب، لأنه أحق بالرئاسة من الكوردي! هذه النظرة الدونية العرقية لم تكن موجودة في البلدان الإسلامية قبل مجيء المستعمرين الغربيين، وتقسيمهم لها وفق اتفاقية (سايكس بيكو) الجائرة، التي وزّعت الأمة الكوردية على تركيا وإيران وسوريا والعراق، وكبلتها بقوانين محلية (داخلية)، وعالمية (أممية) قاسية، ما أنزل الله بها من سلطان، وهي ما تزال تئنّ وتعاني دون أن يبدي المجتمع الدولي أدنى تجاوب مع مطالبها المشروعة، والفرصة الوحيدة التي سنحت لها لتستنشق هواءالحرية، وتستعيد بعضاً من كرامتها المهدورة، كانت بإجراء (الاستفتاء) لمعرفة رأي الشعب في إقليم كوردستان حول البقاء أو الانفصال عن العراق، وهو أبسط الحقوق الطبيعية التي كفلتها كل الشرائع السماوية والأرضية، ولكن الدول الإقليمية والدولية استكثرت عليه هذا الحق، وعارضته بشدة، وهددت باستعمال القوة لإفشال العملية.. وما يحز في النفس كثيراً، أن نظاماً يدّعي الإسلام، مثل النظام التركي، ورئيساً يزعم أنه يمثل الإسلام، ويراعي حقوق المسلمين، كالرئيس (رجب طيب أردوغان) يقف بشدة بوجه الكورد في سعيهم للتخلص من العبودية، مع أن إقليم كوردستان يعتبر من الناحية الاستراتيجية مجالاً حيوياً مهماً لتركيا، وسداً منيعاً أمام التمدد الإيراني❐